

رواية تاريخية غرامية

هي الحلقة الخامسة من سلسلة روايات تاريخ الإسلام
ونضممن ولاية يزيد بن معاوية وما جرى فيها
من المحادث الناظمة . وإفظعها مقتل الإمام الحسين
وأهل بيته في سهل كربلا، وواقعة
المعركة التي وفاتها سنة 64 للهجرة

تأليف

جرجي زيدان

منشىء الملال

مطبعة الخالان لخالان مصر

سنة ١٩٠١





مقدمة

يسرتنا اقبال قراءة اللغة العربية على مطالعه روایاتنا في تاريخ الاسلام . وتزايد ذلك الاقبال دليل على رغبة ابنا هذه اللغة في استطلاع تاريخ الاسلام . ولا غرو فالله من اهم تواریخ الام وانجذب حوادث الايام . وكنا قد بدأنا بنشر هذه الروایات في الملايين ونحن نقدم قدمًا ونؤخر أخرى . فآنسنا من حضرات المطالعين اقبالاً نشطنا المثابرة على العمل فاصدرنا روایات « فتاة غسان » و « ارماؤسة المفسرية » و « عذراء قريش » و « ١٧ رمضان » وهذه « غادة كربلا » وهي الحلقة الخامسة من سلسلة روایات تاريخ الاسلام وفيها مقتل الامام الحسين وما تقدمه وخلفه من الحوادث الى وفاة يزيد بن معاوية سنة ٦٤ للهجرة وكيف افدت الخلافة الىبني امية الى موت يزيد . وقد مثلنا فيها فضاعة مقتل الحسين او ضحى تمثيل مما يتقطع له القلب وستتبع هذه الروایة بالحلقة السادسة وختار لها اهم فقط التاريخ التي عقبت موت يزيد . والله الموفق في كل حال





الفصل الاول

بنو هاشم وبنو أمية

(ونزاع الخلافة)

قریش قبيلة من عرب الحجاز تحملها بطون عبد مناف . وهو نخاذان بنو أمية وبنو هاشم وكلها يتسبّب لعبد مناف . وكان هذين الخذلين الرئاسة في قریش حبيباً لا ينماز عنها فيها ممتاز . إلا أنّ بنى أمية كانوا أكثر عدداً من بنى هاشم وأوفر رجالاً وكانت لهم الرعامة في الحرب فلما جاء الاسلام والنبي^ص من بنى هاشم اعتزله بنو الهاشميون ودهش الناس من امر النبي^ص ونسوا امر العصبية . لاسيما وان الاسلام بهام عنها كما في الحديث « ان الله اذهب عنكم غيبة الجاهلية وغفرها لانتها وإنتم بنو آدم وآدم من تراب » وما زال العز^ف في بنى هاشم في مكة حتى مات ابو طالب عم النبي^ص وهاجر بنوه مع من هاجر من الصحابة الى المدينة وفهم حمزة والباس عمه النبي^ص وكثيرون غيرهم من بنى عبد المطلب وسائر بنى هاشم . فخلال الجحود في مكة لبني أمية وصارت الرئاسة اليهم في الشام محاربهم المسلمين في بدر وغيرها ورئيسهم يومئذ ابو سفيان والد معاوية مؤسس الدولة الاموية

فلما فاز المسلمون في غزوة بدر وهما ينتصرون في مكة سنة ٧ هـ كان ابن سفيان كبير قریش فيها . وتحقق ان المسلمين فالخونون مكة لا محالة فجاءهم قاسم ثم اسلم اولاده ولما تولى ابو بكر الخلافة لم يكن بنو أمية وسائر قریش ينالون من المناصب ما يناله المهاجرون الاولون فشكوا ذلك الى اي بيكر فقال لهم « ادركوا اخيكم في الجهاد » وانفذهم لحروب الردة فاحسنتوا الجهاد وقوموا الاعراب . ثم تولى عمر فبعث بهم الى حرب الروم في الشام فافتتحوها وظلّ معلمهم هناك . وتولى ولاته الشام منهم يزيد بن ابي سفيان حتى مات في طاعون عمواس خلفه اخوه معاوية . ولما تولى الخليفة عثمان اقر عليهما فاقصلت رئاسة بنى أمية على قریش في الاسلام كما كانت قبله واشتغل بنو هاشم بامر النبي^ص ونبذوا الدنيا

فُلما قُتل عثمان واختلف الناس على من يأழعنونه بعده كان دعاء علي أكثر عددًا ولكنهم كانوا ليقينًا من قبائل شقي من ربعة وبين وغريم وكانت احزاب معاوية كلها من قريش أهل الجأس والشدة وهم جند الشام إلى ذلك الحين . فكانت عصبية معاوية أشد وأمضى . ثم ظهر الخارج من رجال علي فانكسرت شوكته حتى إذا قُتل علي سنة ٤٠ هـ اضطرب ابن المحسن أن يخلع نفسه . فانتقد الجماعة على بيعة معاوية في منتصف سنة ٤١ هـ . وكان الناس قد نسوا دعثة البيو ورجعوا إلى أمر العصبية فدانوا للأقوى — بذلك غالب معاوية واستنزل بالخلافة . وساعده على ذلك دعاؤه وحسن سياسته فأنه كان يصانع رؤوس العرب من بيته هاشم وغيرهم بالاغتسال والاحفال والصبر على الأذى والمركون وكانت غايتها في الحلم لا تدرك على أنه كان من الجهة الثانية يبالغ في الخطأ من قدر بيته هاشم وخصوصاً أهل اليمت منهم وبالخصوص أبا ، الإمام علي . وكان يفرض على من يعتنف بظاهره أن يلعن عليه جهاراً فاذا لم يفعل عاقبة . ولله من هذا القبيل حادث كبيرة اشهرها مقتل حمّر بن عدي الكوفي أحد اشراف بيته كثي في السنة الحادية والعشرين للهجرة وقد قتله لانا أبي أن يلعن عليه كاسحي .

وأقام معاوية خليفة في الشام عشرين سنة (من سنة ٤١ - ٦٠) والمسلون في الحجاز والköفـة يتظـرون موته ليأـذـعونـوا الحسين بن علي لـفـريـوـنـ الرـسـولـ بـنـهـ علىـ انـ الـخـلـافـةـ شـورـىـ بـولـوـهـاـ منـ اـرـادـوـ بـالـاخـابـ كـماـ كـانـ شـائـهـاـ إـلـىـ ذـلـكـ الحـينـ . فـسبـقـهمـ مـعاـويـةـ قـبـلـ موـتـهـ إـلـىـ بـدـعـةـ أـحـدـهـاـ فـيـهـاـ ماـ زـالـتـ مـرـعـيـةـ بـعـدـ إـلـىـ هـذـاـ الـيـومـ نـفـيـهـ بـهـ الـإـرـثـ . فـأـوـصـيـ بـولـاـيـةـ الـعـهـدـ لـابـنـ يـزـيدـ . فـلـمـ تـوفـيـ مـعاـويـةـ تـوـيـ الـخـلـافـةـ يـزـيدـ بـنـ مـعاـويـةـ وـسـنـةـ بـقـعـ وـلـاثـنـوـنـ سـنـةـ وـكـرـيـهـ دـمـشـقـ الشـامـ فـيـاـعـةـ النـاسـ بـيـنـ رـاضـيـ وـمـكـرـ

الفصل الثاني

دير خالد في غوطـةـ دـمـشـقـ

غوطـةـ دـمـشـقـ بـقـعـةـ فـيـ بـلـادـ الشـامـ مـشـهـورـةـ بـخـصـبـهـاـ . مـسـاحـتـهـاـ خـمـسـةـ أـمـيـالـ فـيـ مـثـلـاهـ

تحيط بها جبال عالية وتجري فيها أنهار تسمى بسانتها وتنصب فضلاً عنها في مجرة هناك^(١) وفي هذه المروطة عُرِت دمشق الشام منذ بضعة آلاف سنة . وفيها ما عدا دمشق قرى صغيرة متفرقة فيها المغارس والخدانق من أشجار الناكحة تجري فيها الجداول والأنهار

وكان على ميل من الباب الشرقي من دمشق دير قد تم يقال له « دير خالد » سمي بذلك نسبة إلى خالد بن الوليد لما جاء لفتح الشام في أوائل الإسلام فنزل فيه وكان اسمه قبل ذلك « دير صليبا »^(٢) وهو على مقربة من « مرج عذراء » في بستان تكاثرت فيه الأشجار من كل فاكهة زوجان

وإذا نظرت إلى ذلك الدير من خارجه تخيلت قلعة متعددة لأنة عبارة عن بناه مربع تكاد زواياه تستدير ويكسو جدرانه من الخارج ملاط صقيل . والجدران في صعودها تميل نحو الداخل بحيث تكون قاعده البناء أوسع من سطوه قليلاً . ولكل جدار عضائده من البناء قائمة على طوله . مدخله ضيق فصغير لا يكاد يدخله الرجل إلاً ضيقاً . ولله باب من الخشب المصنوع بالحديد قد كسره من الصدأ غشاء كثيف . وليس للدير مدخل غير هذا الباب . فإذا دخلته مشيئت في طرفة طوطها بضعة اذرع كأنها دهليز ينتهي بباب آخر يستطرق إلى باحة الدير وحواءما الغرف طبقية واحدة إلاً عليه منفردة يقيم فيها رئيس الدير في الصيف والخريف . وللدير في أعلى الجدران نوافذ لا يدركها كف الواقف ولو تطاول إليها بذراعه . وهي كوي صغيرة فيها شبك الحديد . ولا يكاد المتأمل يتفق هناك هنمية حتى يدرك الغرض من بناء تلك الاديرة على هذه الصورة لأنهم كثيراً ما كانوا يخزنونها معاقل وحصونا عند الحاجة . على انهم لم يكونوا يستغون عن استعمال او زريبة بمحسون فيها مواشיהם ودواهم

وكانت زريبة دير خالد بقعة مربعة من الأرض في شرق الدير مساحتها خمسون ذراعاً في خمسين بحيط بها سور من أعماد غليظة مغروسه في الأرض مخاذبة عليها في اطرافها العليا عوارض من الخشب مشدودة إلى الأعماد بأمراس من قشور الأغصان (السلوخ) . والسور اربعه اضلاع ثلاثة من هذه الأعماد والرابع هو جدار الدير نفسه . والزريبة باب مصنوع من هذه الأعماد يدور على مصraig في طرف

احد جدران السور ما بلي جدار الدبر . ويقتل هناك بعارة ضخمة تدخل في هذا الجدار . ويفعل نصف الزرية سفينة قاتمة على اعمدة غابطة تأوي اليها الماشية والدواب في ايام الشتاء

ويحيط بالدبر والزرية والستان جميعاً سورٌ كبير من العلائق المكائف عليه قامة وبعض القامة . بابه من الخشب مثل باب الزرية لكنه اضخم منه كثيراً . وقد علقوا عن ناقوساً اذا جاء طارق دقة فرسعة اهل الدبر فيخون له ذلك هي صنة دير خالد في السنة الستين للهجرة وهي السنة التي توفى فيها معاوية ابن ابي سفيان وخلفه ابيه يزيد بن معاوية على الخلافة الاسلامية في دمشق . وكان رئيس ذلك الدبر شيخاً طاعناً في السن رومي الاصل فضى في الدبر ما ينتف على نصف قرن كان في بيته راهباً وتدرج في مرانب الرهبة حتى صار رئيساً . ولما نزل خالد هناك كان هذا الرئيس راهباً صغيراً فشهد فتح دمشق ولم يكن يعرف العربية . ولكلة اتفها بعد ذلك . وكان اندم عهد وسهولة اخلاقه قد حاز منزلة رفيعة لدى سائر الرهبان . وكانت معاوية بحقرمه وكثيراً ما يجالسه اذا خرج للرياضة في الغوطة وربما مازحة . ولما تولى يزيد الخلافة ظلل على احترامه واصرامه

الفصل الثالث

منظار الغوطة

في يوم من ايام الخريف عام ٦ المذكور اصبح اهل الدبر كالعادة وقد جاءهم النلاجون باموال الذاكهة من بساتين الدبر وفيها سلال العنب والسنجل والنفاح والرمان والكمثرى والخوخ والدرافن . وكان الرهبان يتوقعون قدومهم في كل صباح من ايام الخريف . فنزل بعضهم لمساعدتهم في ادخالها الى باحة الدبر . وبالباحة المذكورة بقعة مكشوفة تمحيط بها الغرف وفي وسطها شجرة من الصنف كبيرة نظلل معظمها ونقرب الصنفافة بئر يستفي منها اهل الدبر عند الحاجة

فادخلوا السلال ازواجاً وفراداً والرئيس لا يزال في علية وقد عاد اليها بعد صلاة الفجر واشتعل في الصلاة الانزادية . فانتبه لفوضاء الناس فخرج من العلية حتى

وقف على قمة سُلْمٍ من الحجر ينتهي إلى الباحة وقد ترمل بعدها فوق المسوح . فأشرف على الرهان فرأى محساون الاجمال كأنهم قد تقدم . فقال لهم « ما لي أراك تدخلون المسال ونحن كما نعلمون لا بد لنا من حمل بعضها إلى دار الخلبية لتفرق في إنترانو . فاقرزوها بحسب أنواعها وأحملوا أربعين منها إلى الخلبية وزوجاً إلى كل من أمرائهم ورئيس شرطوا كالعادة » . قال ذلك وتحول إلى جانب من السطح اشرف منه على مظالم الفوطة . وكانت الشمس قد اطلت من وراء الجبال عن بعد فارسلت أشعتها على تلك المغارس الواسعة فنزععت اطبارها وتذابت عن الأغصان اسراباً تتسابق إلى الخلاء البعيد . وقد اتجه معقلها نحو الشرق كأنها تلقس الشمس وهي تحبها وترحب بها بالفرقة والغرب

ونظر إلى ما بين يديه من البياتين فإذا هي تشرح الصدر وتذهب الغم بروائحها المطرية المائعة عن انغم الز Bowman المتكاثف في اشكال مختلفة وأكثره قائم اسواراً ينصل بين البياتين أو بينها وبين الدروب وعياري الماء . ناهيك بالرياحين الأخرى تغللها الاشجار على اختلاف اشكالها واقدارها وقد اعضاخ أكثرها عن اوراقه الخضراء بالآثار الخطيرة الاولى وفيها الرمان الاحمر والسنجل الاخضر والأسapis والجوخ البنسيعي والتاج الوردي . وفي بعض جوانب الفوطة كروم العنب بشكاله تندل منها العناقيد وفيها الاسpis الشمسي والاحمر الوردي والسود القصبي يقلل ذلك أعداد تكوالين الأرض فيما جيلاً تختلف الوانه باختلاف اعمارها بين الاخضر الحاني والاصفر النافع والاسpis البق والاحمر الزاهي . يرى فيها ما يقدر بـ ٢٠٠ من عماري الماء فوق المصبا . فيحافظ خربه على بقد المعاشر وتحيف الاوراق كأن الفوطة جنة تجري من تحتها الاهوار . والشمس من وراء ذلك ترسل أشعتها فتقصر عن تلك الجارى متلاكة ويستوقف النظر انكمارها عن اسطحة البحيرات في بعض المنتهيات

وكان الرئيس منذ اقامته هناك لا يكاد ينونه صباح لا ينفك فيه مثل ذلك الموقف يمرح بصرن في تلك المناظر الجبلية . فيشتعل بها عاصف من ضوضاء الرهان والفلajoen وهم يستغلون بترتيب الماكينة وحمل الاجمال بما ينذر ذلك من معاه البناء وخوار الديوان وبهيج الحمير في الزرية توقف بهما مل بصنع المخالف العظيم . ثم ارسل بصرن إلى اطراف الفوطة من جهة

مطلع الشمس فرأى آثار الدروب عن بعد . فإذا هي أشبه شيء بآثار المداول إذا جفّ ماؤها . وفيما هو ينظر إليها يصرّ بناقلة علم إليها قادمة من العراق أو الحجاز وفيها النياق والذئب يقطّر بعضها بعضًا . خطاب له استشراف تلك الناقلة لعله يعرفها أو يذير جوهرها فحال البعد بينه وبين ذلك . وكان قبل شيفوختو حادّ البصر لا تجده معرفة الصور عن مثل هذا البعد . فلما اتجه ذلك الآخر وقد كلّ بصري نذكر شيفوخته ولعله أسف لانقضائه مظام العمر . فتقول نحو ساحة الدبر وعاد إلى مخاطبة الرهبان وتدرّبهم في ما يحملونه من الأحوال . حتى إذا فرغ من ذلك نزل إلى الكيسة فاقام صلاة الصبح كالعادة وعاد إلى غرفته العليا

الفصل الرابع

- الضيوف الكرام -

قصد على السلم المجري وفي يده درج يقرأ فيه حتى دخل عليهما فانكأ واستغرق في القراءة . ثم اتبه لمجتمعه جمال تدنه من الدبر فنادي قوي الدبر (وكيلة) وكان كهلاً قوي البنية ممتليء الجسم جاء الدبر من عهد قريب . فلما وقف بين يديه قال له « أني أسع جماعة فاشرِف على الطريق واستطلع خير الثادمين » فاطلَ من بعض جوانب السطح ثم عاد وهو يقول « رأيت جملاً محملة وإنما يظهر من لباسهم إنهم من العراق »

فقال « أظلكم من القافلة التي تهربها عن بعد في هذا الصباح وقد تحولوا إلى فلاناً لنا من اليوم بضيافتكم »

فقال القبيح « وما الذي يدعونا إلى الليل بذلك وهي غرباء لا نعرفهم . أما كفانا ما نقدمه من غلاتنا ومارينا لرجال حكومتنا . أما هؤلاء فإذا نزلوا عندنا إنزلناهم ساعة ربنا يستريحون ثم ينصرفون »

قال « إذا أرادوا الانصراف انصرفوا ولا حرج عليهم وإنما إذا فضلوا البقاء فلا يسعنا غير القيام بضيافتكم عملاً بالمهنة المعطاة لنا من خلقناهم »

ولم يكن القبيح قد سمع بذلك العهدة فقال « وما هي تلك العهدة »

قال « هي عهود أخذت على الصارى من ذلك الخلق نقض عليهم بأمور كثيرة من
جهتها أن يقوموا بضيافة المسلمين ثلاثة أيام يخدمونهم وينادون لهم كل ما يحتاجون
إليه . وهب الله لم يكن هناك عيادة فإذا تزل عدنا ضيف » وجب علينا أكرامه حتى
يرحل ولو أقام سنة »

فحجل التيم من نسوة وراد ان يعتذر فسمع صوت الناقوس فقال الرئيس « لقد
صدق ظني فاستقبل الضيوف ورحبت بهم وبعد ان تخلصهم في اماكنهم اخبرني «
فيgmt أحد الرهبان الصغار ليفتح لهم باب البستان ووقف هو بباب الدير
ينظر اليهم وهم متباكون . فإذا هم ثلاثة عليهم العي وعلى رؤوسهم الكوفيات مشدودة
بالعنال تغطي بعض وجوههم ومهم بضعة جمال تحمل ثناناً واجربة ملوكه تمرأ
جافاً . ويدل محل حالم على انهم من تجار العراق وقد جاءوا بهم الاحمال لبيعها
في دمشق . ولما دنوا من باب الدير لحظ الوكيل من خلال الكوفيات ان احدهم فتاة
في منتقل العمر فاشتبه في امرهم وقال في نسوة لو كانوا قد أقادوا بجرد الاتجار لما كان
ذلك داع لجيء ، تلك الفتاة منهم . فلما وصلوا الى باب الدير خفت التيم لاستقبالهم وخطب
بعض الخدم باليونانية ان يأخذوا الجمال الى الزربية الملاقب واستقبل الضيوف
وخطب لهم بلغة عربية مستحبة لحداثة عهده في الشام . فدخلوا جميعاً وهو يتفقدتهم وكان
احدهم طويلاً فلم يستطع الدخول من باب الدير الا ملاطفات فروا في المطرقة الفيتة
حتى انهوا الى الباب الاخر ومنه الى باحة الدير حيث الصنفاصفة والبشر

الفصل الخامس

— عروس الرواية —

وأنهى الرئيس بدخولهم قائلة لهم هناك ورحبت بهم ودعهم للجلوس فأنسوا
بنصاحة متعلقة بالعربيه وإن تكون العجمة لا تزال بادية فيها . وجلسوا على منتد ستحت
الصنفاصفة وكلّ منهم في شاغل من نسوة . فغير الرئيس فيهن فرأى احدهم كهلاً
في نحو الخمسين من عمر طوبى الشامة عربضاً الاكتاف خفيفاً العضل واسع العينين
اسودها خريف العارضين واللحمة رقيقة الوجه فند ذكر انه رآه غير مرته . في الثاني شاب

لا يتجاوز عمره بضعة وعشرين سنة ولكن من بين مجسمة ابن ثلاثين شخص جسمه وبنى عارضيه ولحيته وكان مشرقاً الوجه تكاد الصورة تندفع من وجهه
 وأما الثالث وهو الفتاة فلم يبالك الرئيس عند النظر إليها عن الأعجاب بجمالها أتعجباً لم يسبق له في نشأة رآها في عمر الطول الذي قضاه في دمشق وضاحها مع كثرة ما شاهد من بنات الروم والعرب والبيط والسريان واليهود ولم تقع عينه قبل تلك الساعة على فتاة في وجهها من الجمال والطيبة ما في وجه هنـ . وقد ادهـ منها بيـ نوع خاص جمال عنـها وإن لم تكونـ كـيرـونـ كـيفـيـ رـفـقـهاـ الشـابـ ولكـهمـ كانواـ حـادـهنـ يـبعـثـ التـورـ منـ بـينـ أـهـداـهـماـ معـ لـامـانـ لـوـارـادـ الرـئـيسـ الشـيخـ اـنـ يـعـبرـ عـنـ ماـ اـمـطـاعـ ذـلـكـ يـاـوـضـ منـ قـولـوـ اـنـهاـ جـذـابـانـ لـانـ مـنـ بـراـهاـ لـاـ يـسـتطـاعـ غـيرـ الـاسـلامـ طـاـ وـالـرـضـوخـ لـسـلطـانـهـاـ . وـقـدـ زـادـهـاـ تـائـرـاـ عـلـىـ الـفـلـوـبـ مـاـ يـخـلـيـ فـيـهاـ مـنـ مـلـامـعـ الـصـحـةـ . وـلـمـ يـكـنـ فـيـ وـجـهـ الـفـتـاةـ سـمـ كـثـيرـ وـلـكـنـ وـجـهـهاـ كـانـ تـاضـرـاـ وـفـيـ روـقـ يـعـانـ يـاـ وـرـاءـ ذـلـكـ مـنـ الـصـحـةـ . وـخـصـوصـاـ فـيـ تـلـكـ السـاعـةـ عـلـىـ اـشـرـ السـرـ الطـولـ وـقـدـ تـورـدـتـ وـجـتـاهـاـ حـقـ كـادـ الدـمـ يـفـطـرـهـاـ . وـالـفـتـاةـ سـمـ الـسـاطـةـ نـوـهـاـ لـخـلـيلـهـ لـهـ اـنـهـاـ مـنـ الـقـرـاءـ . وـقـالـ فـيـ نـسـوـ اذاـ كـانـ اـبـوـهـاـ فـقـيرـاـ بـالـمـالـ فـانـهـ غـيـرـ هـذـهـ الـفـتـاةـ . وـلـكـهـاـ لـوـحـسـرـتـ اـكـامـهاـ وـازـاحتـ لـنـامـهاـ لـعـمـ اـنـهـاـ لـيـسـ مـنـ الـقـرـ فيـ شـيـءـ مـاـ فـيـ اـذـنـهاـ اـنـ اـفـرـاطـ الـلـوـلـقـ وـمـاـ فـيـ مـعـصـمـهـاـ مـنـ الاـسـاـورـ وـالـدـمـالـعـ مـنـ الذـهـبـ وـالـفـضـةـ وـالـعـاجـ نـاهـيـكـ بـهـاـ بـرـاهـ جـنـانـهـ مـنـ جـمـالـهـاـ وـمـاـ فـيـ مـعـانـيـ السـالـيـةـ لـلـفـلـوـبـ مـاـ يـبـصـرـ الـفـلـمـ وـيـكـلـ اللـيـسانـ عـنـ وـصـنـوـ . وـالـجـمـالـ الـذـيـنـ يـعـرـعـهـ بـالـلـيـسانـ اوـ الـفـلـمـ لـهـ جـمـالـاـ وـاـنـاـ هـوـ صـورـةـ يـثـلـهـ الـكـاتـبـ اوـ الـمـنـكـلـ بـالـفـاظـ . وـلـكـنـ الـجـمـالـ مـاـ اـتـيـرـكـ وـصـنـهـ وـخـائـكـ الـفـرـجـةـ فـيـ التـبـيرـعـهـ . ذـلـكـ هـوـ جـمـالـ سـلـيـ عـرـوسـ رـواـيـناـ . وـرـيـاـ دـلـاـ عـلـىـ بـعـضـهـ بـاـ يـجـدـهـ مـنـ الـأـثـيـرـ فـيـ قـلـوبـ الـنـاظـرـيـنـ . فـنـدـ كـانـ فـيـ عـيـاـهـاـ شـيـ لاـ يـعـرـ عـنـ الـأـ بـالـصـعـرـ اـذـ لـاـ بـرـاهـ اـحـدـ الـأـ وـبـعـطـافـ خـمـوـهـاـ وـلـاـ يـكـلـهـ بـشـرـ الـأـ وـيـشـعـ بـسـلـعـةـ طـاـ عـلـيـهـ فـلـاـ يـتـوـيـ عـلـىـ جـدـالـهـ . فـضـلـاـ عـاـ فـطـرـتـ عـلـيـهـ مـنـ الـذـكـاءـ وـحـةـ الـذـهـنـ بـسـاقـةـ الـرـأـيـ مـعـ مـاـ يـخـلـيـ فـيـ وـجـهـهـ مـنـ عـزـةـ النـسـ وـالـأـنـفـ وـهـاـ زـيـنةـ الـمـذـرـاءـ وـسـيـاجـ عـنـافـهـ

وـكـانـ الرـئـيسـ مـلـاـ رـأـيـ اوـلـكـ الضـيـوفـ ظـلـمـ لـأـوـلـ وهـلـهـ اـمـاـ وـلـدـيـهـ وـلـكـهـ مـالـثـ انـ تـبـونـ مـنـ تـبـانـ الـمـلـامـعـ اـنـهـ لـيـسـ اـبـاهـاـ وـانـ تـكـنـ المـشـاهـيـهـ فـرـيـهـ بـيـنـ الشـابـ وـالـشـابـةـ

فافتتح الرئيس الحديث قائلاً « يظاهر انكم قادمون من مكان بعيد . أعلمكم من العراق »

فأجاب عامر لأول وهلة . « نعم يا سيدى إننا قادمون من الكوفة باحتمال التمر الى أسواق دمشق »

ولم يكدر عامر يتم كلامه حتى فقه له الرئيس وتنذر امه فابتدأه قائلاً « أنت عامراً الكندي » فابتسم عامر وقال « أني هو يا سيدى وقد كهنت امرى لآرى هل أنت ذاكر ضيتك اللدم »

فنهض الرئيس وقال « كيف لا أذكر وقد شاهدت من أيام ضيافتو يوماً هائلاً .. أني لا ازال اذكر تلك الساعة الرهيبة تحت تلك الجوزة »

فأشار عامر علام وجهو انه لا يحب تلك الذكرى المؤلمة . واراد استدلال الحديث فنبهته الرئيس الى السؤال قائلاً « أعل هذا الشاب ابنك وهذه الفتاة ابنته وما اسمها » فتوقف عامر لحظة وهو يحك طرف ذقنيه بسجادة ثم قال « نعم ابناها ولداني وأسماها عبد الرحمن وسلى »

فاذكى الرئيس بذلك السؤال وقد لحظ في نفس عامر شيئاً يربى على كفائه فتشاءل بمحضي كانت في جيوبه جعل يعدها بين اصابعه في داخل الجيب . وكانت هذه المحسنة تفوح رقام السبحة عند الرهان في تلك الايام . لانهم كانوا يتعرضون على اتشتهم صلواث معدودة بهم لوهما في اليوم فيضعون في جيوبهم من المحسن يقدر ذلك العدد وكلما فرغوا من صلاة ربوا حصاناً حتى تنزع الجسب فيستدلون على ائمها ذلك الفرض . ولم تخد المحسنات في النصرانية الا في القرن الثالث عشر للبلاد ^(١) — فتشاءل الرئيس بذلك المحسن وحوال الحديث الى موضوع آخر فقال له « بكم قطعتم الطريق من الكوفة الى هنا » قال « قطعناها بعشرين يوماً مع الفائلة »

قال الرئيس « تقدم هذا السفر العوبي مجرد التجار بهن الاماكن . فانها لا تباع بها يساوي تعكم في حملها »

فأشتم عامر من سؤال الرئيس رائحة الارتباط ولم يرد ^{بـ} من ازالة كل شك فقال « صدقتك يا مولاي . ولو كان متكتنا على بيع هذه الاحمال ما تكبدنا المشقة من اجلها ولكننا نبيعها وببيع المجال ايضاً . وهي تباع ضمن غال وارباحها اضعاف ارباح القر

وفي عودتنا لتجربة اخرى ختمها من دمشق الى العراق » . ثم تذكر ان مجيء سليمان لا يعقل فالناس لذلك عذرًا بقوله « أما سليمان فانها احببت مراقبتنا لنرى دمشق ومناظرها فرأينا ذلك اولى ما من البناء في الكوفة وحدها في اثناء غيابنا »

الفصل السادس

الشيخ الناسك

وكان عامر والرئيس يتكلمان وسلى تنظر الى شيخ متكمي ، في زاوية الماحنة وبجانب كلب كبير الاهابة اسود اللون قوي البنية . وكان الكلب قاعدًا على مدخل وقد نصب يديه قافتذع عليها كأنه اسد رايس . وكان بصره متجها الى سليمان كأنه يأمل وجهها وعيناه تلألآن كالملصات

ولما الشيخ المتكمي فانه استانت انتباه سليمان بنوع خاص لغرابة هياج وخدوشة لباسه . ولم تكن رأت مثل ذلك الرجل فقط ولا سمعت بهملا . وقد كان من الشيفوخة بحبيث لم يبق في شعره شعرة سوداء حتى يخبل لك اذا نظرت الي رأسه عن بعد انه غامض يضاهى قد برز منها انف اعتف وعيان سوداوان غاثرناه احدى بمدقيتها قوس الاشباح يعلوها جبين متجعد . وما يزيد منظر ذلك الشيخ رهبة انه لم يدخل شعره ولا غسل وجده منذ اعوام فاصبح الشعر معرسًا لا يسلك فيه مشط . ورأته سليمان يمحك لحيته ورأسه ويحاول مشطها باظافر ممتطلبة كالمناجل . واغرب من كل ذلك اهابها لم تر عليه من اللباس الا ثوبًا من نسيج النمر كالمسوح التي يلبسها الناسك او هي عباءة اصبحت لقدميه لا يعرف لها لون . فنثالت سليمان الشيفوخة تدللاً واخفقاً ووقعت من نفسها ووقع الاعبار

وكان الشيخ متكمي بجانب الكلب وقد غلب عليه العباس . فكان يغض جنبيه فيما وهو لا يريد ان ينام . وكلبه بالقرب منه وكلاهما مستأنس برفقه . وكان عبد الرحمن ايضاً منشغل الحاطر بذلك الشيخ المحرم وكلبه ينظر اليها وينظر في حالمها . فلما ذكر عامر اسم سليمان انتبهت والدهشت اليه والدهشت ظاهرة على وجهها وأشارت الي ذلك الشيخ وهي تقول « ان هذا الشيخ ادهشتني امرة واري عبد الرحمن مندهشاً به مثلني » فسمع عبد الرحمن اسمه فالدهشت وفي لفتو ما يدل على تعبوه منها . فشار الرئي

اليم باصبعه وغض على شفته ودنا منهم فطأولوا اليه باعظامهم فقال لهم هسأ « ان هذا الشيج اشبه شيء بالناسك والمعبدين . ولكنك بخالتهم في امور كبيرة وكان فيه خيلاً ، جاءنا منذ اعوام فاقام عندنا وهذا الكلب الاسود قلما ينارة ليلاً ولا نهاراً . ولم تره من غسل وجهها او قلم اظافره او غير ثوبه . ومن غريب أمره انه لا يأوي الى غرفة ينام فيها فيتوسد يوماً هذه الراوية وبوما تلك وآونة بيت في الزربية وبعض الليلاني بيت في الغوطة على بعض الاشجار او تحت بعضها . ومن اغرب ما فيه انه لا يذوق اللحم ولا الخنزير لا يأكل شيئاً غير الناكحة . فيصلوف البساتين يتعطف الشريطة ويتساقط الاشجار وهذه الغابة لا يعرضها معاشر من امرأة بوجهة وشقق على حاله والناكحة هنا كبيرة هذه العادة عامر « لابد» اذا من ان يكون ذا كرامة لان امثال هذا الرجل يعشون عندنا من اصحاب الكرامات »

الفصل الرابع

طارق آخر

وفيما يهتمون سمعوا قرع الناقوس لخفف أحد الرهبان ليستقبل القadam فطالع وقوفة خارجًا ولم يعد فنهض الرئيس في اثره وكانت ملي قد مدلت يدها نحو الكلب وأشارت اليه بالقدوم اليها . فهرول مسرعاً فتناولته ثقة كانت في جيدها فتناولها من يدها واستأنس بالثباتة ثم عمل يحلك رأسه بشورها وهي تس جيئه باناملها في الحال في الدنو منها وهو يحرك ذنبه . فلما سمع الكلب قرع الناقوس انتصب بفتحة ورفع ذنبه ووجه الثناءة الى باب الدبر وحدق بعينيه ونشر اذنيه كأنه يتوقع ان يرى احداً وقد تأهّب للوثوب عليه فلما حلّ وقف الرئيس خارجًا نحو الكلب بفتحة قوية ذعر لها المجلوس هناك وخصوصه الشيج الناسك وكان نائماً فاقافق بفتحة والذئب الى ما حوله فرأى كلبة بعيداً عنده فناداه « شباب » فدنا الكلب منه وجعل يلحس الاملة وذراعه والشيج يقول « اهلأ بك يا رفيقي وصديقي » ثم قال له « ما ظنك بهذا القadam يظهرلي من عوائلك انك أسلت بو الفتن »

فلا يسمع عامر صوت الشيخ ورأه يتكلّم العربية النصيحة وقد سُمّي كلبة باسم عربي
جاهمي قال في نفسه «يظهر أن الرجل عربي أيضاً فمن هو يا ترى وما سبب حاله؟»
أما الرئيس فكان قد استطاع راحته وأسرع اليه فرائي بالباب رجلاً في لباس
يشبه لباس عامر ورفقاً له . ولكنك اجهن لما رأيَ في وجوهه من البرء الشديد إلى درجة
البياض الناصع . على الله حسبة لأول وهلة رفيناً عامر وقد تختلف في الطريق فربحب به
وقال له «تفضل ان رفاقتكم جلوس هنا متنــاعــين»

فاماً اليه الرجل ان يسكت واجتنبها بين الى مختلف وراء الباب حيث لا يراها احدٌ وقال له « احترس ان تذكر عيبي لاحد وخصوصاً هؤلاء الثلاثة الذين ظننتهم رفاقي . فان في الامر سرّاً عظيماً سأبديه لك في ما بعد . واما الان فاطلب اليك ان تدخلني غرفة لا يراني فيها احد ولا يعلم احد بوجودي هنا . وقد قلت لك احترس لنفسك . والامر يتعلق بمولانا امير المؤمنين »

فُناف الرئيس واجاب على النور «أني فاعل ما ترید وإذا ثبتت ان أخرج هؤلاء الآخرين من الدبر في هذه الساعة فعلت»

قال «لا تخرجهم بل اسلبهم کا بشاوون ولكنني اوصيك ان لاتذكر خبر عيوبش ابداً»

قال «سعاً وطاعة» وادخله من باب في تلك الظرفية يُؤدي الى دعائى يستعارق الى سحر يقيم فيها الرهبان الذين يشغلوان في الصناعة وفيهم الحمايك والمخاطب والتجار وصانع التعمال والسلال وغير ذلك . والظيف الاَرض يعجب لما يراه حتى ظن نفسه في بعض اسواق الكوفة . فاستغرب ذلك منهم اكثراً من استغرايهم ملابسهم لانه كان قد رأى رهبات العراق في مثل هذه الملابس وهي المسوح من نسيج الشعر او القطن فوقه جلد ایض من جلود الماعز لا يفارق اجسام الرهبان ابداً ولا بهاراً الاَ وقت تناول الاَسرار المندسة⁽¹⁾

ومنى الرئيس به حتى أتيحت له غرفة خصوصية بجانب الكنيسة . ودخل الرئيس
معه وهو برد في ذهنه ماسحة منه . ثم عاد إلى ضيوفه في باحة الدير وقد أحب
الأخصار في مجالسهم ومحادثتهم . فأمر بعض الرهبان أن يبعد لهم حجرة ينبعون فيها
قادهم غرفة ليس فيها إلا حصير وعاد . فاغلقوا الباب وجلسوا

الفصل السادس

جدال

وكان أول من تكلم منهم عبد الرحمن خطاطبه عامراً قائلاً « ألم أقول لك إنك أخطأت بجبيتك في أثري بهذه الديار ولو كانت وحدك لكان خيراً ولكنك أصطحبت سلي فما وجئت أساة الظن حق سمعت من رئيس هذا الدير ما سمعته من التاريخ والعربي »

فقال عامر « قلت لك يا ولدي أنني إنما جئت مدفوعاً بما تعهدت به من أمر حرمتك فانك بائزه ولدي وقد مات والدك وأوصاني بكذا لك . ورأيتك اندفعت إلى عمل خطاب لم يقدم عليه أحد قبلك . واردت أن تأتيه منفرداً في بلاد غريبة فكيف لا أبكيك . وإنما سلي فانها أشد قلقاً مني عليك »

فقال « العلاك تخاطبني في عمل انتقم بولاك الرسول (صل) وانجي بو المسلمين » فنقطعت سلي عليه الكلام بصوت هادي « والرزانة بادية على وجهها ونالت الشاشحة ان الامر الذي جئت من اجله امر مقدس اذا انت لم تقدم عليه أقدمت انا ولعل اولى به منك . ننان الرجل الذي تبوي قتله واراحة الناس هنا قد اساء اليه وبيه وبينه ثأر عظيم لان والن قتل والدي كما اعلم . . . قتله شر قتله . . . قتله وإنما أره ولا عرفت له صورة . انه قتل مجرماً الأكدي سيد قومه ووجهم . ولماذا قتله ؟ . قتله لأنهم يطعنة في لعن الإمام علي ابن عم الرسول (صل) — نعم ان يزيداً يستوجب القتل ان لم يكن انتقاماً للإمام علي فانتقاماً لمحجر بن عدي . وإن لم يكن لهذا ولا اذاك فانه يستوجب القتل انتقاماً للمعاد من سلطان شغل عن مصالح الخلافة بالمنادمة على الشراب وتربيه الكلاب والنمرود والفيود ^(٢) ومع النساء النساء والصبد والنقص ^(٣) والشعر وضرب الطنابير ناهيك بهاونه في امر الدهن ^(٤) . فالاقدام على قتلها فضيلة . ولكنك عمل خطاب تخوف بالخارط . . . ألم لك ان توفق الى ذلك وانت فرد ويزيد خلية بحث والاعوان في الانتصار في الليل والنهار ؟ . . . الم اخاف عليك ما يلغفي ما اصاب

ابن ملجم اللعون الذي تحرأً على قتل الامام علي في وسط المسجد ولم ينج من القتل فهل تعرض نفسك بذلك المختار ؟ »

وكان عبد الرحمن جالساً وسلى نتكلم فلما باغت الى هنا التول وقف وجمل بخطه في الغرفة ذهاباً وإياباً وقد ظهر الاعظام على وجهه . فلما فرغت من كلامها اقتضى اليها وقال « تأمي يا سلى بما تقولون وتتهسي كلامك ... فاذا كسرت وانت فتاة تعرفين ان قتل هذا الرجل فضيلة وانه ان لم اقدم عليه انا اقدمت انت فكيف لا اقدم انا وكيف لا اغفل ذلك ولو كثني حياتي ... »

فقطعت كلامها فاقاتة « لا تقل حاتي حماك الله من كل شر . هنا هو الامر الذي حرّكي الى الحاق بك مع عيّ هذا . خرجت من الكوفة وانت عازم على قتل يزيد في دمشق الشام . ومن هو يزيد ؟ ليس هو خليفة المسلمين الا ان وفي بين الحل والعقد وحولة الجبند والاعوان - فلختنا ان نفع بين يديه او يصيّبك شرّ ومحن بعيدان فكيف تكون حالنا . فلختنا بك لذك تكون بقربك لعلنا نساعدك في الرأي ... واما يزيد فانا لا أرى راحة الا بقتله . وقد كان يتوقع القتل من ارتكاب هذه الجريمة او انصاف والله وترك الخلافة بعد شورى المسلمين . وهو لو فعل ذلك ما تولاها الا حبيباً وسيد شباب المسلمين الامام الحسين لانه احق الناس بها . ولكن معاوية ابي الا ان يوصي بها لا ابوها هذا بالرغم عن كل مسلم ... فكيف تغلى عنه ... »

« وزد على ذلك ان معاوية قتل ابي حجرًا شر قتلة . فاذا كنت انت ناقاً ابل حجر لانه عملك فانه والدي وسبب وجودي وقد قتلت ولم ارره . ثم اتكم لم تشيوني بصير الا من عهد قريب . فقد رويت في البادية صغيره لا اعرف غير اللعب والمزاج وانا احسب والدي حجاً في الكوفة والناس اذا ذكرت اطهروا هروء وشهاده . وكتب انفع اذا شئت ان اقدم اليه فارأه وافاخر به قومي . فاعتم ان قيل لي انه مات »

قالت ذلك وغضبت برؤها وتوقفت عن الكلام هدوءاً ثم قالت لعامر « وانت يا عاهر لم تخربني حق الا ان بتفصيل ذلك القتل فلا تنس وعدك بان نفس علي تنصيل الخير على قبره فقد ذكرت انه مدفون بهذا الجوار فهل انت عارف مدفنه ؟ »

فنهد عامر وقال « نعم يا سيدتي اني اعرف مدفنه واظن رئيس هذا الدبر يعرّف ايضاً . الم تسمى تليعة الى ذلك العمل النظائع الا ان ... »

قالت « سمعت ذلك ولكنه لم يسرني اذ يهمنا ان يبقى امرنا مكتوماً عن كل انسان

لزى ما بتني اليو حالنا »

وكان عبد الرحمن لا يزال يخاطر في الغرفة وقد حل عذالة وارخي الكوفة على اكتافه وألقته كأن بردد بصر الى سلي وهي تكلم وهو يعجب بمحببها . فلما قالت ذلك اجاها « اعلى يا سلي يا بنت عمي وخطيبتي وبأ امي وبأ متهى اري .. اعلى رعاك الله اني لاجئنا في عيش حتى انتقم لوالدك المدفون في هذا المرج مرج عذراء . فإذا انا توفيت بذلك حق لي ان اكون لك وتكوني لي كا اوصي والدونا مبذولة ولدنا وقد كانوا احياء فإذا لم اتوقف الى ذلك فلا اسف على حياتي »

فصاحت فيه وقد كاد الحباده يغلب عليها وهي مع ذلك تخادر ان ترفع صوتها خوف الرقباء . وقالت « جيانك اعز حياة عندي وما النائمة من بقائي اذا انت أصبت بسوء لاسع الله فكيف تلومي بعد ذلك اذا لحقتك - واما عيناها عابر فانه بالحقيقة هزلة الوالد لها وقد انقطع عن العالم من اجلنا وهو رفيقنا في السراء والضراء »

وكان عامر مع شدة اعظامه الامر لا يغفل عن مراعاة سلي في حركاتها وسكناتها وهي تكلم نارة ينظر اليها وطوراً الى عبد الرحمن وبعجبها اودعه المخالق فيها من الحال النادره المثال

الفصل التاسع

﴿ حقيقة الحال ﴾

وقد فهم القاريء من خلال الحديث ان سلي هي ابنة حجر بن عدي قتيل مرج عذراء وان عبد الرحمن ابن عمها وابنها خططوا ان وعامر كثيابها . وتنصيل ذلك ان سلي وآمنت في الكوفة قبل مقتل والدها ببافي سنوات فنهض بها الى امرأة عامر ترضعها وهي عند زوجها في البداية . وكانت تلك عادة المختضر بين من العرب اذا ولد لهم مولود عهدوا برضاعته الى بعض نساء البداية فبربوي الخلاء حيث اطهوا تشبيط والموش رغيد فأشبع اولادهم صحبيي البنية شديدي الساعد . فربويت سلي في حجر عامر ثمانين وهي لم تزال وآدتها . فلما سبق والدها الى مرج عذراء سنة ٤١ لاهيرون في جملة من عباق المقتول ثم قتل هناك كما سمعي . وكانت والدتها قد ماتت كان آخر ما تكلمه حجر انه اوصي عامراً بالعنابة بها وان يخذلها ولدًا له وان يزوجها بعها . الرحمن ولكن بعد موته معاوية ابن

ابي سفيان . فضلت في سجن حتى ثبت . وكان عامر كثير التردد على الشام للعبارة وغنوها وخصوصاً في صباح وبيوكته لا يزالون على الصراحتة . فكان اذا جاء دمشق اقام فيها من يتردد على الدبور والكناس يجالس اهل المعرفة فيقصون عليه شذرات من تاريخ اليونان وما يتعارض به من تاريخ الشام وغبرها . وكان لنباهة ومحظوظ كل ذلك وبشهادة حقيقة كان معدوداً بين رهطه من اصحاب معرفة واسعهم اطلاعاً في التاريخ . وآنس عامر في سلي نباهة وذكاء ورغبة في استطلاع افاصيص الاولين فكان يقص كل ما انصل اليه من اخبار الترس والروم وما بينها

وكانت كثيراً ما تأسلاه عن والدها وهو يكتم خبر مقتله حتى اتفق بذلك عامر بنت ان الناس ذكر واخره وهي تسمع فاستطاعت ذلك فباح لها عامر عقيقة الامر فثارت حذيبها وهاجت عواطفها وعولت على الانقام في باطن سرها

واما عبد الرحمن فهو ابن عمها وريفي مهها في تلك الابادية وقد قطعت سرها على ان تكون زوجة له . فربما مما منذ كانا هلقاين يكلان الرمل ويساقنان الماعز والغزلان على النيل والمضاب . وقد مات والده وهو طفل وعامر كنبلة فلما ادرك وسمع بقتل عدو حجر وما اعظمها الناس من امن عول على ان يتأمر له . وكان كساير بيبي كندة وغيرهم من دعاء اهل البيت لا يرون بغاية حذيبة في الخلافة . فشب هو وابنه عمرو على كر الامور بين والصرق لآخر البيت وكان معاوية لا يزال حياً والناس يتوقعون موته ليتابعوا الامام الحسين . فصبر على ما في نفسه وقد نزل هو وعامر الحجاز ومعهما سلي وقاموا في المدينة في منزل الامام الحسين زماناً ينتظرون ما يأتي به الفرج

وقضت عليهم الاحوال قبيل وفاة معاوية ان يعودوا الى الكوفة فوصلوها وقد مات معاوية وجاء الحسين بجامعة يزيد فعلم ذلك على عبد الرحمن فاقسم الله لا يفرح قبيل ان يقتل يزيداً ورافقت سلي على ذلك وعامر لا يبدي اعتراضًا ولكنه لم يكن يحسب عبد الرحمن يقدّم على ذلك العمل من يعما

فاصبح عبد الرحمن ذات يوم فودع سلي وعامرًا وخبرها انه عازم على دمشق ليبرر بقصصه فاسمهلاه وهو لا يصدقه وآخيراً ودعها وخرج بريد دمشق . وفي مساء يوم سبعه تعاظم بليل سلي فلم يهدأ لها باليال حتى لاحت دهي وعامر وقد احتملا بتجارة التمر . فالثالثياً وفي قافلة قبل الغوطة بقليل فسأله ذلك ولاهها على جهتها ولكنها لم ير جملة في ارجاعها فجاءها معًا الى الدبر كما قد رأيت

فبعد ما دار بينها من الحديث قالت سلي «لا بدّ لنا من تذرّع بالحكمة . أما ذلك يزداد أين رجاله وجعله فهو رُّ لا نرضاه لك ولا هو مستطاع . فهل من رأي صائب رأيته في الوصول إلى هذه الغاية ؟ »

فَلَمَّا فَاتَ ذَلِكَ رَجَعَ عَبْدُ الرَّحْمَنَ الْمَصْوِيُّ وَجَلَسَ وَهُوَ يَمْحَاجُ كَوْفِيَّةً عَلَى رَأْسِهِ
وَقَالَ «إِنَّكَ تَعْلَمُ بِالْحُكْمَةِ - وَلَا نَظَرَ فِيَّ الْجَهْلُ إِلَّا هَذَا الْحَدُّ فَإِنَّمَا مُنْتَهِيَّمُ عَلَى هَذَا
الْأَمْرِ بِجَهَالَةِ وَلَكَنِّي رَأَيْتُ رَأْيًا سَاعِرَضَهُ عَلَيْكَا وَإِذْنَكَ تَوَافَّنَتِي عَلَيْهِ»
قَالَ عَامِرٌ «وَمَا هُوَ»

فلا سمعت على قوله ابنته وأبرقت عيناه سروراً باصابة رأيه وقالت انه رأي حمن . ولكن علينا ان نراقب خروجه للصيد « قال عامر « ذلك على فاني اذا اصبعنا عدداً دخلت دمشق باحتمالي وتجاري واستطلعت خير الصيد »

فناالت سلي « وعلى الله التدبر ولكنني انقدم اليك يا عباده ان تدلنا على فبر والذى فتزوره ويا كحل عيني يتزايد واسمع خبر مقتله بالتنصيل »

فقال «ان القبر يا ابتي على ربع ساعة من هذا الدير نخت شجرة من الجوز كبيرة
ناظر للرأي عن بعد ولكننا لانستطاع الذهاب إليها الاً ليلاً ليلًا هرانا الرئيس او غيره
من يعرفون المكان فيشقنه بنا»

وقبلاً بقية ذلك اليوم بالاستراحة من وعاء السفروم بينما هبون للغروب في الليل
الى قبر حجر

الفصل العاشر

الاحتياط في الخروج

ولما غربت الشمس صعدوا إلى سطح الدبر وهم يظاهرون برغبتهم في الفرج بمعطر الفوطة ليلاً . فلأنهم رئيس الدبر وكان جالساً في بعض جوانب السطح يصلي على انتزاعه . فتغافلوا عنه وجلسو يخادثون . حتى إذا فرغ الرئيس من صلاته بهض وأقرب منهم . وكان الفرق في تلك الليلة بدرًا كاملاً فما أزف الغروب حتى أطلَّ من وراء الأفق كأنه يطلع إلى الشمس يلقس وداعها وهي تتجاهل غرضه وقد ظلت سائنة لا تلتفت إليه ولسان حالمًا يقول إذا كنت تبني لقاني فاتبعني . وكأنه علم بمحاجته إلى نورها فغيرى في أثرها يضع خططاً ويسترق من اشعتها حيالاً يرسلها على تلك الفوطة الواسعة الأطراف وفيها من الناكحة أزواجه ومن المياه أقنيه وبجورات ينعكس النور عن استطعنه متناثراً كالصايح . ولم تمض ساعة حتى علا البدر فاندار تلك المحدثات النساء فاصبحت بحرًا كبيراً لا يوان بباب فيه عن هدبر الأمواج حفيث الورق وخرير المياه مع زفرقة الطيور وهي ثانية إلى أوكرارها أسراباً متكتلة تسمح المخلوق المظام

وأشغل عامر بالحديث مع الرئيس . أما سلى وعبد الرحمن فانهما ليها وإنفنت بتأملان في ذلك المنظر البديع وسلى لا نزال مشغلة الحاضر بما يهدد حبيبها عبد الرحمن من الخطير المفيل . وهي مع ذلك تشاغل نفسها بالنظر إلى ما بين يديها من الأشجار الباسقة والنباتات الجاربة والأشعة المفلترة مع ما يقلل ذلك من تفريذ المصادر وإصوات الماشية في الزرية وفيها معاهد الماعز وخوار الزبران وجمعة الجمال . على أن هذا كلة لم يأبهها عن مقتل والدها وما شفوعة من ساع حديث عامر في تلك الليلة

واما عبد الرحمن فقد كان همه تدبر الحيلة لبلوغ اميده بقتل بزيد لا يلتفت إلى الفوطة ولا مناظرها . ثم حانت منه لفته إلى سلى وهي تنظر إلى الفوطة وقد قابلها البدر ووقع ضوءه على وجهها كما أنها قمران تلاقياً على موعد . فثار في بزيد الحس واعجب بما في آية عمرو من المعانى البدعية . وتذكر اصحاب الشعراء في جمال البدر ف قال في نفسه « أين تلك الصافية المستديرة الصماء من هذا الملوك الناطق الذي يبعث نور الحياة من عيشه » وكان لسان حاله يقول

بدربى أرق مهانةً « والفرق مثل الصبح ظاهر

وكان عامر بباب الرئيس يلتوون مختلفة لا علاقة لها بما في نفسه من أمر سجور وعزمه على زيارة قبور في تلك الليلة . وكان نظر شائعاً إلى الجوزة التي يعدها نظلل ذلك النير . ينصل ذلك ويغافل الرئيس تماماً يلطف نطلعة حتى إذا وقع نظره على تلك الجوزة عرفها عن بعد من كبرها وانيساط اغصانها فتهجد تنهداً عيناً وجعل يغرس في العارق الذي يوديه إليها . ثم التفت إلى الرئيس فقال له « سجان الخالق العظيم ما أجمل هذه الليلة المقررة وما الطف بهذه المأذنات البدعة »

قال الرئيس « إن ذلك يدلنا يا ولدي على قدرة الباري سبحانه وتعالى . إنني لا أتفق هذا الموقف لا سيّما بحسب العناية العظى التي أعدت للإنسان كل ما يحتاج إليه من دواعي سروره وإنساحه في هذه الحياة الدنيا »

قال عامر « سبحانه جل . لما كان ما أجمل صنعه وما أبدع خلقهاته . إن في العراق كثيراً من البيوتين الفضة ولكن أكثرها شجارها من الخيل . وأما أصحاب الناكحة التي أراماها في هذه الغوطة فانها خاصة في بلاد الشام . وتحذرني نفسى أن أخرج في هذا الليل أربعين بشداً رياحين واجول بين الشجر — فهل ترون مانعاً من ذلك ؟ »

قال « لا أرى مانعاً ينفك غير أنني انقل النظر إليها من فوق هنا السطح فانه أوسع للنظر وخصوصاً في ضوء القمر »

قال « صدقتم ولكنني سمعت ابنى هكذا تنشق إلى المخروج فوعدهما أن أرافتها فخشى هنفي ثم أعود » . قال « لا مانع من خروجكم وإذا شئتم أرسلت معكم بعض الرهبان يرشدكم ويسير في خدمتكم » . قال « أنى أعرف الطريق جيداً فلا حاجة لنا بالرفاق » . قال « أفعلوا ما بدانكم »

الفصل الحادى عشر

﴿ الخروج إلى الجوزة ﴾

فقول عامر إلى عبد الرحمن وسلى وقال لها « هل بما نازل إلى الغوطة تمشي بين الشجر؟ فند أذن لها حضرت الرئيس بذلك «

فهذا وتحولوا جميعاً فنزلوا الحباجة الدير وأطلقوا منها إلى الحجر الذي كانوا مقيدون في برا
في انتهاء النهار فرأوا بهما منتوحاً فاسرع عامر إلى إغلاقه . وفي ما هو عائد رأى كلب
الناسك نائماً بالقرب من الباب ولم يرشحه منه فعجب لانفراده هناك وقد سمع أن ذلك
الشيخ أهزم قلما ينارق كلبة ليلًا ولا نهاراً »

وكان عبد الرحمن وسلي قد سبأه إلى باب الدير فخرج في أثرها وهو يقول « لقد
رأيت شيوخاً نائماً وحده بقرب حجرتنا فإذا ذكرني بذلك الشيخ الجليل . وما أدهشني من
امن الله يحكم العربية الفصي وفي طبعه ما يقارب لغة العراق . ووالله وددت لو خلوت
بولاسالة عن أصله »

فقالت سلي « ابن هوم من العراق وما الذي يأتي به إلى هذا الدير أني لا أحببه إلا
رجالاً أباه ولتكن استأنست بكلوب شيوخ وباليتها نصطلوب هذا الكلب فإنه قد يدفع
عنا أذى الدبابات أو ينهاها إلى لص أو نحوه »

فقال عبد الرحمن « دعونا من هذا الرفيق إنما في حاجة إلى الستر أكثر مما إلى
رفقة الكلاب »

وكانوا قد وصلوا إلى باب الستان فلتفوا وخرجوا إلى الفوطة ومظاهرون في
بادئ الرأي إنما يريدون الفتوى . حتى إذا نواروا عن الدير أوغلوا بين الأشجار
المكاثفة وعامر يسير إلى الإمام وسلي وعبد الرحمن بمعانه . تارة يطأطعون وطوراً
يأنزلون وهم يجسّسون الطريق بضوء القر المنبعث من خلال الأغصان وقد رسّت اظللاً
على الأرض صوراً تشبه اشباح الآدرين متوجة لا حراك بها أو كأنها أرواح علوية
خافت أن يراها الدير فنهياً جذوع الأشجار

وما زالوا يطأطعون فتاة أو يعبرون جسرًا وهم ساكتون وقلب سلي يختنق نظاعماً إلى
قبر والدها وعبد الرحمن يذكر في ما قد نوى عليه من قتل بزید

حتى اشرقو على مرتفع خفيف تعلوه شجرة من الجوز متبسطة الأغصان ظلال يغمة
خالية من النبات وفيها مرتقبات من الأزربة على غير نظام . فلما أطلقوا على الجوزة وقف
عامر فوتفقا في اثنين وهذا يتوفغان أن يسمعا منه قوله يدل على القبر فإذا به قد أذنت إلى
سلي وأشار به إلى أكمة صغيرة بجانب ساق الجوزة وقال « هذا هو بما سلي قبر والده »
وما أتم كلامه حتى ترامت بكلبها على ذلك التراب وجعلت تقبلاً وتباكي وتصيح
« وواللهاء ... هذا هو زراك قاين أنت ... ابن أنت يا حجر بن عدي صيد كنة »

وأوغلت في البكاء

اما عبد الرحمن فتقدم حتى وقف بجانب سلى وقد اكبر البكاء «لأنه انتقام لا ليبك» فوقف الى ساق الم gioze وقال لسلى «لا تبكي يا سلى ان البكاء لا يجوز على ميت سنتكم لانه في الغد» والناتر الى عامر وهو يقول «انفص عن علينا يا عيّاه تنصيرل متنقل صاحب هذا القبر»

قال عارف «اجلسا يا ولدي» لافهم عاليكا الخبر كاعانته ثم قال بصوت ضعيف «ياعلا اتنا في ارض العدوان فبنبقى هنا ان نتسلل ما استطعنا»

وسكنوا برقه وهم ينظرون الى ما حوطم فاذا بالمكان خال من انسان الناس لا يسمع فيه غير خبر بر السوافي عن بعد وتنقق الفنادع وقد وقعت اخلال تلك المجوزة على ما حوطم فاودوا الى الفلال بجانب القبر وجلسوا على التراب ولئن جائحة وعيناها تدعى عان وهي صامة نطالع بعثتها وتشتار ماسية قوله عامر من حديث والدها

الفصل الثاني عشر

جحو بن عدی

اما ما في مجلس جنوبي وبدأ بالذاتية خلاها واستغفر الله ثم افتح الحديث فاثاله
اعلى ياسلي ان والدك صاحب هذا التبر كان من اقوى انصار الامام علي وقد حارب
معه حروباً كبيرة وجاهده عمه بسينه ولسانه جهاداً حسناً الى آخر نعمة من حياته . فلما
قتل الامام علي وصار امر الخلقة الى معاوية بن ابي سفيان في دمشق ظللَ والدك وغيره من
الاصحاء على دعوته بن غاہر ومستتر . ولكن المسلطان اصبح سلطاناً معاوية واستغل
امر بني امية . وكان والدك يقيم في الكوفة مع قومه ينادي بمحى علياً على رؤوس الاشهاد
« وكان معاوية كأنه عين قد جعل دينه الحط من كرامة علي وسأراه هل البيت
فكان يأمر الناس ان يلعنوه . فذهب من يطاع خائفاً و منهم من لم يكن يفعل وفي متقدمة
هؤلاء والدك حجر وبعض رفاته

«وبعث معاوية في سنة 15 للهجرة عالماً إلى الكوفة أسمه المغيره بن شعبة وأوصاه حين بعثه قائلاً: أما بعد فإن الذي أحلم قبل اليوم نقع العصا وقد يهزى عك الحكم

بغير التعليم وقد اردت ايها،ك باشياء كثيرة انا تاركها اعتقاداً على بصرك ولست تاركها ايها،ك بخصلة - لا تارك شم عليٰ وذروة الترم على عثمان والاستغفار لله والعرب لاصحاب عليٰ والاقصاء، لم وللاطراء بشيعة عثمان والادنان، لم . فنال له المفرب قد جربت وجررت وعلمت قبلك انغيرك فلم يذمي وسللو فخمد أو نثم . فقال معاوية هل تحدى ان شاء الله « فاقام المفرب عاماً على الكوفة وهو لا يدع شم عليٰ والوقوع فيه والدعاء لعثمان والاستغفار لله . فكان بذلك اذا سمع ذلك قال - بل اياكم ذم الله وامن . ثم يقول انا اشهد ان من تذمون احق بالتفصل ومن تزكون أولى بالذم . فيقول له المفرب يا محرر انت هذا السلطان وغضبه وسلوته فان غضب العطهان يهلك امثالك . ثم يكف عنه ويصفع . فلما كان آخر امارة المفرب قال في عليٰ وعثمان ما كان قوله فقام بذلك وصاح فيو صيحة سمعها كل من بالمسجد وقال له : مر لانا ايه الانسان بارزاقنا فقد حبسها عنا وليس ذلك لك وقد اصبحت مولاماً بدم امير المؤمنين . فقام اكثرا من ثلي الناس يقولون صدق حجر وبر مر لانا بارزاقنا فان ما انت عليه لا يجدي علينا نفعاً . واكثرها من هذا القول وابناته . فنزل المفرب فدخل عليه قومة وقالوا على م ترك هذا الرجل يجترئ عليك في سلطانك ويتول لك هذه المقالة فيسخط عليك امير المؤمنين معاوية . فقال لهم المفرب اني قد قتلتة : سبأني من بعدي امير بمحسبة مثل قبصع به ما ترون انه بصعبي فبا خذه وينتهي . اني قد قرب اجي ولا احب ان اقتل خيار اهل هذا المصر فيسعدون باشفي ويزع في الدنيا معاوية ويشق في الآخرة المفرب

« ثم توفى المفرب وهي الكوفة زباد بن ابي المشهر بدعاو ومكنه . فقام في الناس فخطفهم عند قدوتهم ثم ترم على عثمان وأثنى على اصحابه وامن فانه . فقام بذلك فتعلّم كما كان يتعلّم بالمفرب . فكظم زباد حتى ادا عزم على الثنك به دخل وصعد المدرجات يوم محمد الله واثني علية ووالدك جالس ثم قال : اما بعد فان غبـ.الـيـنـ الـيـ وـخـيمـ انـ هـوـلـادـ جـعـواـ فـاـشـرـ وـاـمـتـوـ فـاـجـتـراـ وـاـلـىـ اللهـ لـتـنـ لـمـ نـسـتـيـسـوـ لـاـدـاوـيـمـ بـدـوـاـكـمـ وـلـسـتـ بـشـيـ انـ لـمـ أـمـنـ الـكـوـفـةـ منـ حـجـرـ وـاجـمـلـةـ نـكـلـاـ اـلـ بـعـدـ -- وـبـلـكـ باـحـجـرـ سـنـطـ العـنـاءـ بـكـ عـلـىـ سـرـحـانـ . ثم ارسـلـ الىـ والـدـكـ يـدـعـوـ وـهـوـ بـالـمـسـجـدـ . فـلـماـ اـنـهـ رـسـوـلـ زـبـادـ يـدـعـوـ قالـ لـاصـحـابـهـ لـاـتـارـ وـلـاـ كـرـامـةـ . فـرـجـعـ الرـسـوـلـ فـاـخـبـرـ زـبـادـ اـفـارـ صـاحـبـ شـرـطـهـ وـهـوـ شـدادـ اـبـنـ الـهـيـمـ الـمـلـالـيـ اـنـ يـعـثـ الـيـوـ جـمـاعـةـ فـتـعلـ فـسـمـ اـصـحـابـ وـالـدـكـ فـرـجـعـواـ وـاـخـبـرـواـ زـبـادـ فـلـماـ رـأـيـ زـبـادـ اـمـتـيـعـ وـالـدـكـ بـاـهـلـوـ اـسـحـابـهـ اـحـتـالـ حـيـلاـ شـقـيـ حقـيـ كـنـ منـ النـفـسـ عـلـىـ

مجدية . وذلك ان بعض اصحاب والدك استأذنوا زباداً على ان يرسله الى معاوية في الشام فآتاه زباد وارسلوا الى والدك رحمة الله فحضر عند زباد . فلما رأه قال مرحبا بك يا عبد الرحمن حرب ايام الحرب وحرب وقد سالم الناس . على اهلاها تخني برافتش . فقال والدك ما خلعت طاعة ولا فارقت جماعة واني على يعي . فامر به الى السجن فلما تنوّل قال زباد والله لا حرصن على فداع خبط رقبتو^(١)

« ثم جد زباد في طلب اصحاب مجرم فهربوا واحد من قدر علوهم وجاء بعض الوشاة الى زباد فقال له ان امراً منا يقال له صيني من رؤوس اصحاب مجرم . فبعث زباد فاني يه فنال : يا اعدو الله ما تنوّل في اي تراب . قال نعم . قال فذاك ابو تراب . قال كلاماً ما اعرفك يو - اعرف علي بن اي طالب . قال نعم . قال فذاك ابو تراب . قال كذلك ابو الحسن والحسين . فقال الله صاحب الشرطة يقول هو ابو تراب وتنوّل لا ؟ . فنال صيني فان كذب الامير أكذب أنا وأشهد على باطل كأشهد . فقال له زباد وهذا ايضاً ؟ علي بالعصا . فجاوه بها . فقال ما تنوّل في علي . قال احسن قول . قال والله اضر بي فضر بي حتى لصق بالارض . ثم قال افلعوا عنه - ما قولك في علي . قال والله او شرحتي بالموسي . ما قلت فيه الا ما سمعت مني . قال لنعلمه او لا ضر بن عننك . قال لا افعل . فاوثن حديثاً وحيثـ^(١) . اني والله لم از أشجع منه الا والدك رحمة الله

« ثم جمع زباد اثني عشر رجلاً اتهمهم بالنصرة لعلي واشهد شهوداً ان مجرماً جمع اليه الجموع واظهر لهم الخليفة معاوية ودعا الى حربه . وانه قال ان هذا الامر لا يصلح الا في آكل اي طالب . وانه وئب بالصرخ وخرج عامل امير المؤمنين واظهر عذر الي تراب والترجم عليه وبالبراءة من عدوى وان هؤلاء الاثني عشر الذين معه هم اصحابه على رأيه ثم دفع زباد والدك واصحابه الى اثنين من خاصته وسلمها تلك الشهادات وامرها ان يسروا بهم الى الشام

« فساقهم من العراق حتى انتهيا بهم الى هذا المكان وهو مرج عذرها فوضعهم هنا وساروا الى دمشق فدخلوا على معاوية وعرضوا عليه الكتب التي كانت معها . واتفق في مجلس معاوية اناس استوهبه ستة من رفاق والدك فوهم ايام وبعث انساً الى هذا المرج فوصلوه في المساء نحو هذا الوقت

الفصل الثالث عشر

﴿ مقتل سجر ﴾

«وكنت قد صحبت الجماعة من الكوفة متذكرة ومبكراً عن عد انتظار ما سيكون . فلما رأيت القادمون من دمشق ومعهم الأسلحة والانساع علمت انهم قادمون ليقتلوا وأصحابه . ولم أكن أعلم ان معاوية وهب ستة منهم . فدنوت عدد ذلك من والدك فلما بصر في دعائى اليه وقال لي قولاً لا أنساه عمري وكأنني يوم قد تحقق دنو الاجل فقال «أبي اوصيك يا عاصي بخلافني سلي . . احتنف بها ما استطعت ولا تزوجها ألاً يابن عها عبد الرحمن ولكن لا تتعل ذلك ألاً بعد موته معاوية هذا . فإذا مات وعاد أمير الخلافة شورى المسلمين فائهم بولون الحسين لاحالة فإذا ولتها هو فانه يعم لها ان شاء الله » ولم يذكر والدك وأعني عليه بن كلامه حتى وصل القادمون من عد معاوية فاستندوا والدك وستة من رفاقه وقالوا لهم قبيل التغل : أنا قد أمرنا ان نعرض عليكم البراءة من علي والعن له فان فعلتم ترككم وان ايم قتلناكم . فقالوا لسنا فاعلي ذلك . فأمر خبرت القبور وأحضرت الاكتنان وقام والدك وأصحابه بصلون عامة الليل . فلما كان العدد فندموا ليقولون فقال لهم والدك اتركوني اوضأ وأصلي فاني ما توضاًت الا صليت فتركوه فصلى ثم اصرف منها وقال والله ما صليت صلاة قط اخف منها ولو لا ان ظننا في جرحاً من الموت لاستكريت منها . ثم قال لهم أنا مستعدتك على امنا فان اهل الكوفة شهدوا علينا وان اهل الشام يقتلونا اما والله لئن قاتلتهم بيه فاني لا اول فارس من المسلمين هلك في واديها وارول رجل من المسلمين بجهة كلابها . ثم مشى احمد الي بالسيف فارتعد حملة . فقالوا له زعمت انك لا تخرج من الموت فابرا من صاحبك وتدعك . فقال وما يلا اجزع واري قبرًا مخمورًا وكفناً منشورًا وسيئًا مشهورًا وإن والله ان جزعت من التغل لا اقول ما احيط الرب . فقتلوا والمني عليه وقتلوا ستة من رفاقه ثم صلوا عليهم ودفون في هذا المكان ^(١) . وهذا هو قبر والدك رحمة الله . وخرجت اما الى الكوفة ثم فتحت بعثة ذلك وربتكم انت وعبد الرحمن كما تعلمين

الفصل الرابع عشر

الانتقام الانتقام

وكان عامر يتكلم ولسي وعبد الرحمن شاخصان بابصاراتها وقلباتها يكادان يندعنلان . فلما بلغ الى هذا الحمد لم تهالك سلي عن ان قالـت « ويل لنساء القلوب فحالة البراءة الا نلة لم يلعن الامام علياً قتلوه ؟ » ثم قالت « ان الله منافق من النوم الظالمين » فوقف عبد الرحمن واستهل خبرـاً ابرق فرنـاً في ضوء القراءة وقال وهو ينظر الى التبر « اعلم ايـها الرائق بالحركة . اعلم ايـها باـعـاه باـخـبرـهـنـ عـدـيـ . اـنـيـ لاـ اـخـاطـبـ تـرـاـيـ وـلـكـنـ اـخـاطـبـ رـوـحـاـ طـارـمـ لـاـ اـظـهـراـ تـنـارـيـ هـذـاـ المـكـانـ . اـلـمـ رـحـلـكـ اللهـ اـنـيـ مـنـاقـفـكـ بـجـدـ هـذـاـ الخـبـرـ قـرـيـباـ اـنـ شـاءـ اللهـ »

واستوى السكوت تحت تلك الجوزة هدية لم يكن يسمع فيها الاً مليون العوض وخبرـرـ المـاءـ . وكان كلـ من هـؤـلـاءـ الدـلـاثـةـ يـنـكـرـ فيـ شـيـ وـرـجـعـ الاـفـكـارـ الـاـنتـقامـ . ثم هـبـتـ سـلـيـ منـ مـكـانـهاـ بـفـتـنةـ وـجـهـتـ عـلـىـ قـرـاءـةـ وـتـنـاؤـلـتـ حـنـنـةـ مـنـ زـارـيـ يـدـهـاـ وـقـالـتـ وهيـ تـنـظرـ الىـ السـاءـ منـ خـلـالـ الـاـغـصـانـ « اـنـتـ نـعـلمـ ايـهاـ الـهـمـارـ الـعـظـيمـ اـنـ وـالـدـيـ هـذـاـ قـدـ مـاتـ مـظـلـومـاـ وـاـنـتـ وـحـدـكـ نـصـيرـ الـمـظـلـومـينـ اـنـهـ قـتـلـ فـيـ وـيـلـ نـصـرـ بـيـتـ نـيـكـ (ـ صـلـمـ) اـنـهـ قـتـلـ فـيـ نـصـرـ الـاـمـامـ عـلـيـ وـصـيـ الـبـيـ وـصـيـ دـانـ عـوـ »

ولمـ نـمـ سـلـيـ كـلـامـهـ حـتـىـ سـمـعـواـ صـوـتاـ عـيـقاـ كـأـنـ خـارـجـ مـنـ اـعـاقـ التـبرـ اوـ كـانـ هـائـقاـ مـنـ عـالـمـ الـاـرـواـحـ يـتـوـلـ بـصـوـتـ ضـعـيفـ وـقـعـ هـسـاـ فـيـ اـذـنـ كـلـ مـنـهمـ عـلـىـ حـدـةـ « وـبـشـرـ الـذـينـ ظـلـمـواـ بـعـذـابـ الـلـمـ »

فلـمـ سـمـعـواـ الصـوـتـ اـشـعـرـتـ اـبـداـهـمـ وـوـقـفتـ شـعـورـ رـوـهـمـ وـنـوـلـهـمـ الـدـهـشـةـ وـظـالـلـاـ

صـامـدـيـنـ هـيـةـ وـكـلـ مـنـهـمـ يـحـسـبـ نـاسـةـ قـزـرـدـ بـسـاعـ ثـلـكـ الـآـيـةـ وـيـلـتـ اـلـ رـفـيـعـ وـالـبـغـنةـ

ظـاهـرـةـ عـلـىـ وـجـوـهـمـ . فـنـهـبـ حـالـاـ اـنـهـمـ سـمـعـوهـاـ جـيـعاـ عـلـىـ السـواـءـ . وـخـيـلـ لمـ اـنـ رـوـحـ

خـبـرـ تـنـطـقـ مـنـ عـالـمـ الـغـيـبـ اوـ اـنـ رـوـحـاـ مـنـ الـاـرـواـحـ الـعـلـوـةـ تـخـاطـلـهـمـ عـلـيـوـ

اـرـادـةـ الـخـلـاقـ الـعـظـيمـ . فـتـقـعـواـ وـاـسـتـوـلـتـ عـلـيـهـمـ الرـهـيـهـ وـكـلـمـ سـاـكـنـونـ لـاـ يـدـونـ حـرـائـاـ

وـنـصـورـواـ الـمـكـانـ مـسـكـونـاـ بـعـدـ اـنـ كـانـواـ بـجـسـونـةـ مـهـبـورـاـ . وـكـانـتـ سـلـيـ لـاـ تـزالـ قـاـبـةـ

عـلـىـ الزـرـابـ يـدـهـاـ وـعـدـ الرـجـنـ وـافـقـ وـالـخـيـرـ مـشـرـعـ فـيـ يـدـهـ

وبنـاً عامـر بالـكلـام فاستـعاـذ بـالله وفـرـأـ النـاتـحة . وـلـم يـكـد يـهـم تـلاـوـهـا حـقـ اـبـدرـهـ عـبدـ الرـحـمـنـ وـهـوـ يـلـغـدـ خـبـرـهـ وـقـالـ وـصـونـهـ خـدـيقـ منـ عـظـمـ الـدـهـشـةـ « اـرـأـيـتـ يـاـ عـاهـ كـيفـ انـ اللهـ مـعـنـاـ وـصـوتـ المـاـنـفـ شـاهـدـ . فـهـلـ بـعـدـ ذـلـكـ مـنـ شـكـ فـيـ خـجـاجـ الـهـمـةـ الـتـيـ اـشـهـدـتـ نـسـيـ لـاجـلـهاـ »

فـسـكـتـ سـلـىـ وـقـدـ اـفـتـنـتـ فـيـ باـطـنـ سـرـهـ اـنـ عـزـمـ عـبـدـ الرـحـمـنـ الـهـامـ مـنـ اللهـ وـلـكـهـ نـظـرـاـ مـاـ تـخـافـهـ مـنـ الـخـاطـرـ عـلـيـ جـهـاتـهـ لـمـ تـخـرـضـ عـلـيـ ذـلـكـ بلـ تـرـكـ الـأـمـرـ بـحـرـيـ بـعـرـاءـ الـعـابـيـ

وـوقفـ عـامـرـ وـهـوـ يـنـفـسـ التـرـابـ الـذـيـ لـصـقـ بـثـيـابـهـ مـنـ جـلـوسـهـ هـنـاكـ وـيـنـولـ « سـرـ يـاـ اـبـيـ وـانـكـلـ عـلـيـ اللهـ وـثـقـ بـهـ وـقـدـ سـعـتـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ : وـبـدـرـ الـذـينـ ظـلـمـواـ بـعـذـابـ الـأـلـيـمـ »

وـنـفـضـ سـلـىـ يـدـهـاـ اـيـضاـ وـتـحـولـاـ جـمـيعـاـ خـوـ الدـبـرـ وـالـقـرـ قـدـ تـكـدـ الشـاءـ وـالـسـكـوتـ سـاعـيـدـ اـرـهـبـ ماـ عـهـدوـهـ وـمـ قـادـسـونـ لـشـقـ ماـ اـلـرـفـيـ نـفـوـهـمـ مـنـ حـدـيـثـ عـامـرـ وـكـلامـ الـهـانـفـ . وـاصـبـحـواـ اـذـاـ وـقـعـتـ اـقـدـامـهـ عـلـىـ عـشـبـ اوـ التـرـابـ فـيـ اـثـنـاءـ مـشـيـمـ مـعـيـاـ لـوـقـعـهـ دـوـبـاـ وـإـذـاـ دـبـيـتـ دـاـبـةـ اوـ نـفـقـتـ ضـفـدـعـ وـقـعـ ذـلـكـ فـيـ آـذـانـهـ وـقـعـاـ شـدـيدـاـ . فـشـواـ عـظـيمـ الـطـريقـ وـكـانـ عـلـىـ رـوـسـهـ الطـيرـ وـعـامـرـ يـنـكـرـ فـيـ بـابـ الدـبـرـ وـمـنـ يـنـفـهـ هـلـ بـعـدـ مـضـيـ نـصـفـ الـلـيـلـ . وـخـافـ اـنـ يـوجـبـ غـيـابـهـ شـيـهـةـ فـغـيرـ الـطـريقـ الـتـيـ جـاءـهـ مـنـهـاـ

الفصل الخامس عشر

الناسك

فـاطـلـلـاـ عـلـىـ الدـبـرـ مـنـ جـانـبـهـ الـغـرـيـ فـرـأـيـهـ هـادـئـاـ فـيـ هـلـةـ نـيـامـ تـخـافـهـ اـنـ لاـ يـحـدـدـوـ اـنـ يـنـتـعـمـ بـنـعـمـ الـبـابـ . لـكـمـ تـحـولـاـ يـائـسـونـ مـدـخلـ الـبـستانـ حتىـ اـذـاـ اـشـرـفـ عـلـيـ شـاهـدـاـ شـجـعـاـ قـادـمـاـ خـوـهـ مـنـ الـجـانـبـ الـآـخـرـ . فـظـلـيـ لـأـولـ وـهـلـهـ ضـيـقاـ طـارـقـاـ وـعـبـراـ لـنـدوـمـوـ فـيـ أـوـاسـطـ الـلـيـلـ . وـنـيـامـ يـنـفـسـونـ فـيـوـ فـالـتـ سـلـىـ « هـذـاـ هـوـ الشـيـخـ النـاسـكـ بـعـيـتوـ . اـلـ تـرـوـنـ الـجـلـادـ عـلـىـ ظـاهـرـهـ ! وـرـاسـهـ لـشـدـةـ يـاـضـوـ كـانـهـ قـطـعـةـ مـنـ نـلـجـ ؟ »

وكانوا لم يروا ما شاهداً قبل ذلك الحين فجهلوا من نشاطه وخدعوه وقال عبد الرحمن «كنت حسبي لا أول وهلة شيئاً الناسك ولكنني أشتهرت في أمره لما عاينت من نشاطه وسرعة جريوه فاني لا ارى قاتمة محدودة كما كنت انواع ان تكون بعد ان رأيناها في باحة الدبر»

فقال عامر «ولا اظن مثيل لهذا النشاط الا انصاره على اكل الناكحة والخمار دون اللحوم على اني استغرب خروجه في هذا الليل واخشى ان يكون قد رأى تحت الجوزة او اعلمه سمع كلامنا او اطلع على شيء من امرنا» فنالت سلي «لومز» بما رأيناها او سمعنا خطواته فند كان السكوت سائداً وضوء القراء ساطعاً ولكنني اظنه كان يحول في الغوفة يتناول الاثار كما احكى لنا الرتس عن غرابة اخلاقه وكيفية عيشته»

وفيما يباهسون كان الشيخ قد ادرك باب البستان وعالجه بأداة في يده حتى افتح قدره ووقف ينظّر وصوّط . فاستقر بواحداً في ذلك ولم يفهموا السبب الذي حمله على هذا العجل . ولكنهم حملوه على غرابة اخلاقه . وخصوصاً بعد ان دخلوا الباب وحين دخلوا هم في اثر . ثم اخذوه ولم يعودوا يشاهدونه كأنه كان غلاً وزوال . واما ما فاسرعوا الى غرفتهم يباهسون المنام بعد المشفقة والسرير الطويل

الفصل السادس عشر

الخروج للصيد

ولهم بالرغم عن تعجبهم لم تفهمني اجنائهم الا فيل الفيل لما ثار في خواطرهم تلك الليلة . على ائمهم لم يكادوا يباهرون حتى افاقوا على ضوضاء الرهان في باحة الدبر وهم لا يفهمون شيئاً لذلك . فهضوا مذعورين وخرج عامر للبحث عن السبب ثم عاد والدھنة نعلوة . فما يدرره سلي بالموال عن سبب دھنته

فقال بهجوت خافت «ان اهل الدبر يستعدون لاستقبال يزيد بن معاوية» فبغت عبد الرحمن وقال «كيف يستقبلونه ولماذا؟»

قال «لأنه ذاهب إلى الصيد في هذا الصباح . ومن عادتو إذا مرّ بهذا الدبر ان يستريح في وساعة وينصرف »

ولم يتم عامر كلامه حتى اخْتَلَ قلب عبد الرحمن بغير ان يمازج ذلك شيئاً من الخوف ولكنها البغة تجعل أشد من ذلك

فاما سلى فبالطبع اتها تأثرت أكثر من عبد الرحمن نسبة ما بين الرجل والمرأة من دقة الشعور . فقال عبد الرحمن « هل انت واثق يا عمه ما تقول وهل نرى بزيداً في هذا الدبر اليوم »

قال « ليس ترولة هنا امرأاً واجباً ولكنه خارج إلى الصيد لا محالة وسيمر من طريق يقرب هذا الدبر ويغلب على الفلن انه يعرج اليه وينقم هنديه لأنه يعرف رئيس الدبر وبختيره . والرئيس بعد مائة من الملاكمة والاشربة فإذا شاء اقام او ظال سارياً في طريقه »

فقالت سلى « ارجو ان ينزل هنا لكي اعطيه لاني لم ار وجهه بعد »
فقال عبد الرحمن « ولكنك لانقدر بن على ذلك الا اذا جلس في مكان مشرف
بحيث ترينه ولا يراك »

قال عامر « ولا انا اريد ان يرى وجي فالاجدر بنا ان نخذ مقاماً في خلوة تشرف على باحة الدبر واذا استطعنا ان نشرف على بستان الدبر ايضاً كان حظنا اوفر . لأن بزيداً اذا اراد الصيد خرج في حاشية كبيرة وفيها الباز باربة والعنابيون وساسة النيود والقرود والنكلاب وحملة الزاد والخدم والاعوان وغير ذلك ما يحتاجون اليه في انتهاء صيدهم »

فقال عبد الرحمن « وهل يفيون طوبلاً في الصيد »

قال « ربما اقاموا اسوعاً او شهراً او بضعة اسابيع ^(١) وهم في مشارفهم ومعهم كل ما يحتاجون اليه من الطعام والشراب والكساء . كذلك كان ينعل ملوك العراق عندنا من عهد الفرس . فند كان الملك منهم اذا خرج للصيد ينعله حائطاً طولة فراسخ يبندى من دجلة مثلثاً او من الفرات على زاوية . ثم يخرج الملك او الامير ومعه الرجال والاعوان على الخيول والبغال والخيور يطاردون الفران وحجر الوحش وغيرها من الطرائد نحو الحائط والدبر وينعمونها من الرجوع فلا تزال نفر من امامهم وهم

يهدوتها حتى يدخلونها وراء ذلك المحاط فتختصر بينه وبين الدهر وليس لها مجال . فإذا انصرت هناك دخل الملك ومن معه من خاصته وتأتوا في القتل فينقولون ما يقتلون ويطلقون الباقى . وأظن بنزيداً فاعلاً في هذه الفوضة مثل ذلك

فقال عبد الرحمن « وما المحيلة في مكان نسأرك فيه »

قال عامر « دعوا ذلك الى » وخرج الى رئيس الديار . وكان الصبح قد ازدج الرئيس على السطح برأسه تنبأ به اعامر في تعذيب الديار وضيق حي وفرض الطائف واعداد المجالس وترتيب الفاكهة في الآنية واستحضار المياه الباردة الخلاة بالسكر وانواع الاشربة المخلوقة

الفصل الرابع عشر

العلية

فصدع عامر اليه وجاء فرحب الرئيس به . فتجاذل عامر وسأل الله عن سبب ذلك الا هنام فقال « ان امير المؤمنين مار » بما في هذا الصباح بطر بيته الصيد ومن عادته اذا خرج للصيد ان يجعل هذا الديار اول محطة يقف فيها »

فاظهر عامر ارباحه لذلك وقال « وقد بلغني ان مولانا الخليفة يهمكم ويهتمكم لقدم عهدهم في هذا المنصب »

قال « ربنا فعل ذلك تنفلاً منه ولا غرو فاني اعرف والله من قيلو وكثيراً ما كان يحيى السنى واجالسة . وكان خليه هنا يومئذ صبياً ينفرج احياناً الى هذه الفوضة ومعه معلم كان يعلمه حرّكات النجوم وانساب العرب امهه دغفل^(١) وكان اذا اتاني انس في ذاك كرمته . فلما تولى الخلافة ظلل ذاكراً الصحبة

فقال عامر « ان منظر امير المؤمنين بمحاشيته وخدمته ما يشرح له الصدر واراني كبير الشوق الى مشاهدة ذلك المشهد وابتي اشوق مني اليه . ولكنني لا ادري كيف استطيع ان اراه » اياه من غير ان يراها احد لان عادتنا تقضي بالتجنب »

فقال الرئيس « ذلك امرءين يا ابني فاني اقدم لكم غرفتي فوق السطح شبابسون فيها في اثناء تلك الزهارة »

فاثني عامر على تنضله وقال «بورك فيك يا مولاي» وتحول لاستدعاء سلى
وعبد الرحمن
فلا تحول عامر ذكر الرئيس ماسعا بالامس من الضيف الابرص المشتكى بان
طهلاه حكاية تتعلق بامير المؤمنين ولكنها لم يعد يستطيع الرجوع في قوله
وبعد قليل عاد عامر وعده رفيقا فصعدوا جميعا على الملم الحجري حتى اتيها الى
علية الرئيس فاستقبلهما واوصاهما بالشتر ما استطاعوا . فلم ينفعوا لوصيتو معن غير مغاراهم
في مقتضيات الحجاب

فدخلوا العلبة وما تأذننا تعال احدهما على باحة الدبر والآخر على بستانه .
فاطلبو على البستان والغوطة من ورائهم يستطلعون موكب الخليفة قبل وصوله . وقد اشرقت
الشمس وارسلت اشعها على تلك المروج الخضراء لتحملها الجداول في العبرات وتطايرت
العصافير وغنت البالبل الحانا تذكرها اصوات الماشية والخيول والجمال في التربية
فأشتعلت اذاهنهم تلك المناظر البدعة بايجاثتها من الوان الفاكهة والرياحين والازهار

الفصل الثامن عشر

— بزید وابن زیاد —

على انهم لم يكادوا يستغلون بذلك حق تبرهن لهم من بين الاشجار خيول قادمة من
ناحية دمشق في هيئة موكب يتقىدهم فارس بلباس زاهي وعلى رأسه عامة صفرة . وجعل
ثيابه جهة ارجوانية موشاة والتي جنبه سيف مرصع انكسرت اشعة الشمس عن اتجهاره فاضاء
كم المشعال . ووراء الفارس بضعة عشر فارسا آخرون في مقدمتهم فارس هو احدهم
زيادا واقر لهم قيافة من الفارس الاول .
فعلم عامر لاول وهلة ان الفارس الاول بزيد بن معاوية ولكنها لم يتبرهن وجها بعد
المسافة ولا عرف رفيقه . على انه حسبة من بعض خاصيه
ولم يفال ذلك سلي عن الاستئهام فقالت « من هو هذا الفارس يا عياد العلة
الخلية المزعوم »
قال « يظهر من لباسه انه هو بعيتو »

قالت « ومن هو رفيقة الرأك الى جدي يظهر لي انه من اخواتي »

قال « اظنه كذلك فاذا اقترب تزمهن وابنك بحقيقة حاله »

وطلت ابصارهم شاهضة الى هذين الفارسين لا يلتفتون الى ما ورائهم حتى اقتربا من سور الميدان . وكان رئيس الديب قد خرج بهجانه لاستقبال ذلك الضيف العظيم فترجلت الفرسان ودخل الخليفة اولاً والى جانبها رفيقة ووراءها بقية الحاشية فتشوا في البستان وعاشر يندرس فهم وسلوى عبد الرحمن ينظران الى عامر فرأيا سعادته تغيرت واللثمت الى سلي

فتالت « ما سبب هذه البغبة يا عمه ماذا رأيت »

فنهض وقال « يا للعجب سمعان جامع الاشباء والظافر انطبق من ها هذان ؟ »

قالت « كلاماً ومن عنى ان يكوننا »

قال « اما الاول صاحب المحلة الارجوانية الذي تربى ووجهه شديد الادمة وعلوه اثر الجدرى ^(١) فهو بزيده بن معاوية الذي يسميه اصحابه امير المؤمنين خليفة رب العالمين والخلافة برثته منه . وهو كما تربى وفتح حصن الصورة ^(٢) لم يتجاوز الرابعة والثلاثين من عمره ^(٣) ولم يغير الجدرى شيئاً من جهاله . ولكن الخلافة لا تحتاج الى المجال وخصوصاً اذا كان صاحبها منخساً في الملاهي ... اما رفيقة الماشي مرحباً فاذا اقترب منكما شهدنا منها رائحة المسك وهو عبد الله بن زياد »

فلما ذكر ابيه ارتعدت سلي وقالت « أهل اباه الماعي في قتل ابي »

قال « هو هو بعيد »

فقال عبد الرحمن « يا للغرابة قد اجمع القاتلان ... ولكن سيفعل كلها ان شاء الله » قال ذلك وحرق اسنانه . فنظر عامر الي شذرماك انه يوجبه على ذلك النصر يقع لهم محاطون بالرقاب والاعداء من كل ناحية

ولم يكدر يقترب بزيد ورفاقه من الديب حتى وصل اتباعهم ودخلوا البستان زرافات ووحدانها وفيهم الرأكون على البغال والحمير وفهم الشاة وهم الاكثرن . ولكنهم على اشكال شقي في ملابسهم وازياتهم وفيهم اصحاب الملابس الفصيرة والطويلة على اختلاف الالوان وبينهم حملة المحراب والنيلال بعضهم يقولون فهو داً واخرون يصيدون

(١) الخميس ج ٢ (٢) ادب السلطانية للغوري (٣) الخميس ج ٢ (٤) ابن النيبر ج ٢

قروداً وغيرهم يهررون كلاباً . وفي ايدي الكلاب اساور الذهب وعلى ظهورها المجالس المنسوجة بالذهب يجدها عبيد^(١) يخدم كل عبد كلباً فينوم بكل ما يمناج اليه من العام و النظافة . و شاهدوا في جملة تلك الحاشية اناساً يحملون طيوراً جارحة كالبار والصقر والعقارب

و انشر هذا الجموع في البستان لان باحة الدبر لا تعيهم جميعاً . ولا اسل عن الجلة لاختلاط الا صوات وفيها صهل الخيل وتهدق الحمير وشحوج البغال وصباح التفالب ونباح الكلاب وضحك القرود وصرصرة الزراة وحذف الاجنة . بخال ذلك فوضاً ، وصلمة وقمعة ما يشغل الذهن ويستوقف الانتباه . ولم يدخل الدبر الا يزيد وخاصة وفهم ابن زياد

الفصل التاسع عشر

ضروب الصيد

فلم ينالك سلي عبد ذلك عن الاستههام عن الجموع المختنن وما يحملونه او يسوقونه من انواع الحيوان

فما يدركها عامر قبل ان تبدأ بالمسحال فقال «انا يا سلي في مشهد بديع يدر ان يتفق بذلك ان تراه . ولذلك فاني أقص عليك خلاصته : فاعلي ان الخليفة خارج للصيد ورها اوغل في الغوطة واقام في سفرته هذه اسابيع عديدة كما قلت لك قبلآ . وهو مطلع بالصيد حتى شغله عن مهم المخلافة . ولا يقتصر في صيده على نوع من انواع الحيوان بل هو يصطاد الفايور والقطباء والارانب وحرار الوحش وغيرها وهذا هو السبب في كثرة هذه الحاشية . فان منهم حنظلة اليهود وقد اركبوا على الخيل — ويزيد هذا اول من اركبها عليها^(٢) اما اول من اصطاد باليهود فهو كليب بن واائل الشهير في حروب الجاهلية . وهي تصعادل له الغزلان وحرار الوحش ونمبوها . وترى في هذا الجموع عيداً يسوقون الكلاب وعلها الابسة الناشرة والاساور الذهب فان لمزيد ولعما غريباً في انتهاها وهي تصعادل الغزلان والارانب

« وأما الطيور التي تربتها في أيدي حاملها فنها الباز وهي حاملة الباز بار . والباز كما تعلمون من الجواجم التي تفترس الطيور الضعيفة كالدراج والخيارى والورشان والعصافير^(١) . فيجمل الصيادون الباز من الجمال ويعملونه الطيران والرجوع المكانى . فإذا خرجنا به للصيد أطمعنا قليلاً وينقض الباز بار عليه من رجليه بعد أن يكسو كنهه بفناز من جلد . وإذا امتدت النظر في هؤلاء الباز بارية رأيت النفايز الجلدية تكسو أكفهم . فيحيى الباز بار وهو قابض على رجل الباز فإذا اشتم الباز رائحة دراج أو حمار رفرف والنفس الافتلات فينبثط الباز بار فيطير حتى يقع على طرده فيفتها وإلباز بار يركض في أثره . وقد يهم^٢ الباز بأكل الطربة فيدركه الباز بار ويخرجها من فمه . وقد لا يهم^٣ بذلك

« وهكذا ينبع العتاب ويقال لحامله عناب وكذلك الصقر والثاءمين وغيرها من الجواجم . ولكنها لا تصلح إلا الطيور الضعيفة كما ذكرت »

فاعترضه عبد الرحمن قائلاً « ولكنني سمعت أن الباز قد يصطاد الغزال أيضاً » قال عامر « ربما اصطاده ولكنه لا يستطاع ذلك وحده . فانت بعض البزة إذا اطلقتها على غزال رفرفت على وجهه واعتبرت مهرب فتعمق عن الترار السريع ربها بدركة الكلب أو الفهد وينتهي . ناهيك بصيد حمار الوحش فإن النهد يصطاده وقد يصطادونه بالبال . وحمار الوحش كثير في « جرود » وهي قرية في هذه الفوطة^(٤) وكانت سلي مصنفة تسع حكاية الصيد وهي تعرف شيئاً منه ولكنه لم تكن تعرف هذا القinden فيرو . فلما وصل عامر إلى هذا الحد ظهر من نفسه كلاماً أنه لهم باقفال الحديث فقالت سلي « ولكنني أرى جماعة من هؤلاء الغطمان يسمون قروداً منها قرد عليه قباه من حرب أحمر وأصفر وعلى رأسه قلسنة من الحمر يرث ذات الوان بدعة وقد يركب على ابنان وتحتية عليها سرج من الحرير الأحمر متقوش بالوان جعلة^(٥) وبين يديه خادم يمسوسه وبطاعنة الفاكهة من ين . فما هو شأن هذا القرد؟ »

ففضحك عامر وقال « هذا هو أبو قيس وقد رباء^٦ بزيد وساه بهذا الاسم فإذا جلس بزيد للشراب مع مناديه طرح له متكناً معهم . وهو قرد خبيث كثيراً ما يركب على ذلك الآنان ويخرج لمسابقة الخيل في أيام الحلبة (السباق) وقد يجوز قنص السبق عليها كلها »

(١) جنة الحيوان ج ٢ (٢) مرآصد الأطلاع ج ١ (٣) مروج الذهب ج ٢

الفصل العشرون

الخباقة

فانشأ رتسلی ما سمعته عن بزید وقالت «أألي هنا بلغت حال المخلافة . این ذلك من عصر المخلفاء الراشدين وقد كانت اثواه من الکبر ياس الغایظ ونعامم وحمائل سروهم من الالیف یمدون في الاسواق کبعض الرغبة^(۱) ؟ الله الله يا عرب يا ابن الخطاب . الله الله يا علي بن ابی طالب ويا ابی بکر الصدیق . . . این الرهد والشتوی . این العدل والقسط این الجزم والعزز این العلم والنفل . أیاه و ایاهناء على الاسلام والمسلمین ! فما يبدرها محمد للحال وقال «لاتندی یاسلى ان وقت النجاة قریب . ولا أظلك بعد ما سمعت ورأیت ترددین في اطلاع حربی في ما عزمت عليه وغداً لاظهر قریب » فتهجدت سلی واطرقت وكأن قلبه دھماً على خطر پردد حبیبها ولكنها ظلت صامدة وفیا هم في ذلك فإذا بیحاج الكلاب قد علا في باحة الدبر وفیه عوا شیوب فخولوا الى النافذة المطلة الى تلك الباحة فرأوا الخليفة ورجاله جلوساً على طنافس فرشوها لم تخت الصنفاصه وبين ایديهم موانعین الثاکهه والرهیان وقوف باقداح الماء على السکر وانواع الاشربة الخلیة التي يستخرجها الرهیان من الانمار وفيها اصناف المخمر المسقرجة من العنبر او النساج او البلح وكل منها یلون خاص بو كالاحمر والاصلف والبرتقاني وغير ذلك . وكان الرئيس جالساً باحترام بين بزید ویکه قذح من النضة يقدمه له لیشرب . ولكن الصنفاصه سجیت كثيراً من منظر تلك الجلسة فلم یروا الجلوس الآمن خلال الاغصان . على ان عوا الكلاب کاد بص اذنهن وقد شغلهم عن کل شاغل

وبسبب عواليها ان بزيدها لما دخل باحة الدبر تبعثة كلامه وعليها الالبسه
والاساور كما تقدم . وكان شباب وصاحبة ناثرین على دكة في بعض جوانب الباحة . فلما
شعر الشيخ بجهي زيريد ارنعات فرانصه لم يجد يستطاع البقاء فهرول واتزوى في مشتر
من الدبر ولم يدع شباباً لمرافقته . فظل الكلب منكنا حتى دخل بزيدها انتشرت كلامه

تحت الصنفافة واشتم شيبوب رائحتها فكان اشد نفقة ورقة من صاحبها فأخذ في النباح
والكلاب تجيبة كما تقدم

فلما طال بالكلاب العوا ولم تسكت امر الرئيس بعض الرهبان ان يطرد شيبوباً
من ذلك المكان فانبهه فركض الى السلم وصعد الى السطح . وكان لعلة الرئيس كوة
واسطة نشر على السطح فادخل الكلب راسه منها فرأى سلي ورفينتها فخشم بصوت
الاستهان ووشب الى الداخل ودنا من سلي وقد ارسى اذنيه وهو ذيالة فاستانت في
ووجعلت تمسح رأسه بيدها وهو يدنونها ويملعك جبهة بيدها . على انها خافت ان
تشغل يو عن مشاهدة الضيافة فشققت بثرات جافة كانت في جيبيها . وكان شيبوب قد
أكل الناكحة مثل صاحبها وان يكن ذلك غير طابع

الفصل الخامس والعشرون

— النظرة الاولى —

وعادت سلي الى انطليع من النافذة واهل الباحة مستغلون عها بالاطنة امير
المؤمنين واكرام وقادته وكلائهم لا تزال تسبح بقوة الاستقرار . فلم يكن من شيبوب
 الا انه اجاهاها بنية ارجنت لها العلبة واستلقت اعياء القاتلين تحت الصنفافة . فالتفت
بعضهم الى جهة المصوت وفي جملة الملتقطين عبد الله بن زياد رفيق الخليفة وصديقه . فوقع
بصره على وجه سلي فلم يبال ذلك عن الاعجاب بجماليها وهبها وشعر لسعدي بجادب
جذب قلبها وامتالك عياظته

اما هي فلحظت انباء الناس لنباح شيبوب والفنانات بعض الى العلبة وفروع نظر
ابن زياد عليها فبرعت الى الداخل وقد غلب عليها الحباء وتبولت هيأها للحال . وكان
عامر وعبد الرحمن متشغلين عن النافذة بمحدثين بينهما . فلما عروى شيبوب وتحولت سلي
عن النافذة التفت اليها فاذا هي قد صبغ وجهها الحباء وظهر عليها الاختهار . فايندرها
عبد الرحمن بالسؤال عما حملها على ذلك فاظهرت عدم الاكتتراث وقالت « ان نباح
هذا الكلب قد استلقت امثال بعض الجالدين بين يدي الخليفة فتعلموا الى النافذة »
فقال « وما الذي تخافينه »

فقطع عامر عليه الكلام قائلاً « ومن انت اك بخوفها وما هو الا الخوا ، غلب عليها » و كان عيده الله من زياد قد افتتن سلي بغير ذلك النظر على غير انتظار . ولم يبق له صبر عن رؤيتها والبحث عن حماها . ولكنها لم يمس على ذلك والخلفية معاً فمول في باطن سر على الاسراع في العود من الصيد بجملة يختزها لزيد وبعوده يرجع الى الدبر وحده ويبحث عن تلك الغادة الثانية

على انه لم يفألك عن سوال الرئيس خلسة عن سكان تلك العلبة . ولا تمل عن حال الرئيس عبد ذلك السوال بعد ما كان سمعه من ضيقه الابرص من خطارة امر اوائل الضيوف وعلاته ذلك بالخلفية . فلما سمع ابن زياد يسأل الله عزهم خلق قلبه من الخوف ولكنها تحبل واجاب بسذاجة قائلاً « انهم يا مولاي رجال وابنة وابنة وهم من اهل العراق نزلوا ضيوفاً علينا » ثم اتبه لعدة ظنه برضي عيده الله فقال « ولا يخفى على مولاي اتنا مكلتون بتلبيضيافتهم لانهم مسلمون . فائزناهم وقنا بخدمتهم عملاً بعهده الخلفية عمر بن الخطاب وهي تغفي علينا بضيافة من ينزل علينا من المسلمين ثلاثة ايام » فقال عيده الله « فعلت حسناً » واطأن بالله من حيث كونهم مسلمون وترجع لزيد ان تلك الحسنة عربة ولكن يتأكد ذلك قال مغالطاً « الم نقل ان الثلاثة رجال وامراؤن وابنة »

قال « كلاماً يا مولاي وانا هم رجال وابنة وابنة . ولابنة فتاة لا زوج لها » فازداد اطمئنان عيده الله ولكنها خاف اذا طال غيابه ان تخرج سلي من الدبر فلا يعود يظهر بها فتال للرئيس « وهل نظن اقامتهم نطول في هذا الدبر » قال « لا ادري ولكن اظمهم يسافرون فربما يهلي جواده . وكان الخلفاء الراشدون لا يأخذون الحشم او الخنزير كانوا يسررون منفردین كاحاد الناس . فإذا صلوا في الجماعة صلوا امام الناس . فلما قتل الامام علي في المسجد بالكتوفة رأى معاوية بعد

فاصطف الجماعة بالترتيب الذي تعودوا في مثل ذلك الحين . فشيء بزيد وحوله شرذمة من الحشم ومعهم الحراب يخترونها بها ربما يهلي جواده . وكان الخلفاء الراشدون لا يأخذون الحشم او الخنزير وانما كانوا يسررون منفردین كاحاد الناس . فإذا صلوا في الجماعة صلوا امام الناس . فلما قتل الامام علي في المسجد بالكتوفة رأى معاوية بعد

نهاه من عوائق تلك المقاومة^(١) ونبوذه كربلي الخلافة ان يبني انسنة متصورة في الجامع
يصل فيها متزدراً خوفاً ما اصاب علياً واذا بعد وقف الحرس على راسه بالسيوف واذا
مشي او جلس في مجلسه قام الحشم بين يديه بالحراب^(٢) وهو اول من فعل ذلك ثم
اصبح قاعدة مرعية لمن جاءه بعده من الخلفاء واولم الله يزيد هذا
فخرج يزيد بجاشيه من الدبر والرئيس يشيعهم الى البستان بهباً حتى ركبوا وهو
يدعو لهم بالسلامة
اما عبد الله فانه خرج وقلبه مشغول بسلبي وهو بعد نسنه بالرجوع اليها عاجلاً

الفصل الثاني والعشرون

الحب والانتقام

اما سلي فانها نزلت هي ورفقاها بعد انصراف الاخبار حتى دخلوا غرفتهم وبعد
الرحمن ساكت لا يتكلم . وقد ادرك عامر سلي ما جاش في خاطر عبد الرحمن من أمر
الانتقام . فلما وصلوا الغرفة هم بالجلوس الا عبد الرحمن فانه ظلل وافتنا والقانق ظاهر
على وجهه . فتخاهات سلي حالة ودمعة للجلوس فقال « أتدعيوني للجلوس وقد أذلت الساعة
التي نحن في انتظارها منذ اعوام »

ففهمت مراده ولكنها تجاهلت وقالت « واي ساعة تعني »

قال « أراك تخاهلين حين لا ينفع الغاها فند قضي الامر فإن اوان الانتقام »
فاختلاج قلبها في صدرها لما تخافه عليه من الخطير الشديد بعد ما شاهدت من كثرة
تلك الخواصية ومعهم العدة والسلاح وقالت « دعما من الانتقام يا عبد الرحمن فان
الساعة لم تأت بعد »

قال « وكيف ذلك وما ان يزيداً خارج للصيد بكلادي ونبوده وجوارحه »
قالت « ذلك هو الامر الذي اخافه عليك ... باهلا لانني يدك الى الملائكة ...
ان المركب خشن والطريق وعر »

قال « لئن عزمت وعولت والاتصال على الله » قال ذلك وهو يبحث عن مخبره

ويصلح نهاية ويناسب المفروج

فامسكت سلي بذيل ثوبه وقد توردت وجنتها وغائب عليها الحب والحياء مما
وقالت «قف باقئه لاتذهب اني والله خائفة عليك من هذا الامر العظيم ... انك فرد
وم جماعة »

فقال «دعيني اني لا االي لها يكن من كثريهم وقد صحت على الانتقام وهذا هو
وقتها فلا ثني عزبي »

فقالت وهي تكاد تشرق بدموعها «لا ... لم يشن وقت الانتقام ... فلا تذهب الان»

قال «اني لا ااري فرصة اثنين من هذه دعيفي ياسلي ... دعيفي اقتل هذا الرجل

وانجبي المسلمين من خلافتي وانتم لحجر بن عدي واشفي غلوطي منه »

فقالت « اذا لم يكن بد من الذهاب دعني اذهب معك ... فاما ان تُهلك او

ان تخبو جويعاً »

قال «ليس عاراً علي ان اصطحب ملاكاً لستك الدماء ...؟ دعيفي ياسلي»
وحاول التلاص منها فاذا هي مسكة ثوبه بكافي يدها . فتضصب واراد ان يخلص بالعنف ثم
نظر الى وجهها فرأى الدموع تتساقط من عينيها فسكن غضبة ووقف وهو ينظر اليها بعين
الحب الملتئون وقال لها «ما هذا يا سلي ... ما الذي تتعلمه ... انك تضعفين عزتي
وتحمليين على الجبين ... ما الذي يدعوك الى ذلك ؟ وعهدي بك اشد حتفاً معي
وأكثر رغبة في الانتقام ...»

فقالت وهي تخوش بالبكاء وصوتها يتجلجج «ألا تدرى ما الذي يدعونى الى
ذلك ...؟ هو الحب يا عبد الرحمن ... ان الحب يحملني على هذا الخوف» ثم قالت
بصوت ضعيف متنعلج وهي تنظر الى الارض «ان الحب حلو شهي لذيد ...»

فابتسم ايجاباً بقوة كل اهدا وابتدرها وهو يغلد عذاته ان تغلب عواطفه على ما في نسو
وقال «صدقت يا حبيبي ان الحب حلو ... ما احلاته ... ولكن الانتقام يا سلي
احلى منه ... ليس في العالم الذي من الانتقام ولا احلى منه ... دعيفي اخرج الى هذا
الرجل الذي يسي ننساء امير المؤمنين فاقتله بهذا المخجر واتقم لك ولني وانقذ المسلمين
من خلافتي ... او اموت في نصرة الحق و ...»

فقطعت كلامه وقالت «لاتذكر الموت يا عبد الرحمن ان ذكره يُؤلمي ويُؤذنني ...

حراك الله من شره»

قال « لا يُولِك ذكره وقد ذاقه قلي من هو أكرم عبد الله بي . ذاته الابام على وذاته والدك حجر بن عدي وذاته كثيرون غيرها في سبيل نصرة الحق . فما أنا خير منهم ... وقد آن وقت الانتقام »

وارادت سللي ان تحبطة فوق عامر وقد تأثر لما شاهده من ذلك الجدال العنيف ووقع في حيرة لا يدرى ما منها ينتصر ولكن خاطب عبد الرحمن اسكنينه وهو و قال « ههل يا بني وارفق بنا واعلم اذا صحيت على النهار انك سالك طرفاً وعراً لا ترضي ان تسلكك وحدك ... دعني اسير معك لعل افعوك في جهادك او ان اكون بين يديك فيصيبي ما يصيبك »

فالفت عبد الرحمن الى عامر وقال « وانت ايضاً يا عمه شبط عزيبي ؟ ألم نسبع كلام المايف معآ لم يقل ذلك المايف فوق قبر حجر (وبشر الذين ظلموا بعناب اليم) اترى بعد ذلك مجالاً لتأليل . دعوني اصرف اذا لم يكن اجازة لدعوى المايف فانتقاماً لحجر الرائد تحت تلك الجبوبة المأتوطنة ظلماً . وان لم يكن انتقاماً له فانتماماً لاصر النبي (صلم) وان عم ووصي الامام علي . وان لم يكن هذنا ولا لذاك فانصاراً للحق وانقاداً للإسلام والمسلمين من سلطان شغل عن الخلافة برعاية الجوارح والكلاب والنمرود والمنادمة على الشراب (١) وغير ذلك ما تعلماؤ »

فاراد عامر ان يدافعه لعله يندفع عن عزمه شنقة على سللي فقال له « لا انكر عليك نهاية الغاية التي انت رام اليها ولكنني اظن الوقت لم يكن بعد »

الفصل الثالث والعشرون

الاصرار

فقل عبد الرحمن من الجدال فقال « لقد ضيقنا علي السبيل وانا لا ااري وقنا انساب من هذا الكفيا بمهدى » ثم التفت الى سللي وقد هاجت اتجاهة فوق هباج غضبو وكأنه تحقق عظم الخطير الذي يهدده في طريفي فقال « ويكفي يا سللي ان يكون تأجيل قتل

هذا الرجل باعثنا على تأجيل افتراضنا ... يا ستهي امي ... ألم اجعل قنطرة شرطاً لعد زفافنا ؟ ألمك تغنين العد وانا اسعى فيه واشتري به بمحاتي ... ألم اعاهد نشي على ذلك ؟ آه يا سلي افي عالم بما يهددي ولا اجهل خطر الطريق ولكنني مفعط لرکوب هذا المركب فائزکيفي وادعي لي فان دعاك من دعاء الملائكة لانك ملاك بدوره أنسان » قال ذلك واختنق صوته فسكت وهو ينظر الى سلي وعيناه تلمعن بما غشاها من رopic الدمع وقد هاجت انجاته وتاررت عرواطنه وهو يغاليها بشبابه ورسالته وسلبي لازلال حمسكة بعارف ثبوه والحب والمحبة يتدارعها والعرق يهديه من جينها . فلما سمعت كلامة اطرقت الى الارض والدموع ينطر من آمامها وهي تخاول اخناءه بسكونها . وعامر ينظر الى ذيتك الحبيبين وقلبة مشارك لها جيئماً ولا يدرى الى ايها يتصر

وظل الجميع ساكتون على تلك الحالة هيبة والقلوب شجاعي وشغام . وضر باما اصوات حية تتصح عا لا يعبر عن التعاق الصرع

ظلوا صامتين وبعد الرحن يغالب عرواطنه وهو يخاف ان تغلبه ولكنه امسك نفسه واعاد الكرن بخدهم وصبر وقال بصوت هادي « لا اجهل يا سلي افي سائر في مجده ذات خطر عظيم . ولكنك تعطين انا انا قطعنا البراري والفنار وجينا هذه الديار ولا غرض لنا غير الانتقام . وقد اردت المهي وحدي فايقنا الا الخاقاني وهذا ما اكت اخنوفه من ياديه الراي فلا تكوني عثرة في سهلتي وسبيل الحق ... اني انا جئت هذه الديار لقتل هنا الرجل ليس الا ... ام صدقنا انا جتنا للاتجار بالثر والجمال ؟ ... ما جتنا الا للقتل ... ايديك بما بعد ان استحرنا الله وعزمنا ان نرجع الى الوراء ؟ وليس من العار ان يكون ابن ططم الباغي احسن ثباتاً مني . وهو انا ارتکب بشباه قتل نفس بريةة وانا اسعى في استئصال شجرة فاسنة ... اني اسعى في اغاثة الاسلام من فساد تولا ولا علاج له غير النفع فاذا قُتل يزيد عادت الخلقة الى حينينا سيد شباب المسلمين الامام الحسين ابن بنت الرسول (صلعم) فائزکافني امضى لسيبي فقد انكلت على الله في أمرى وما الموت الذي تخافاته على الا سنته في خلتو . فاذا حكم علي بموالي اسرى اسوي بذوري من التوم الصالحين وأكون قد تهانيت الزرى قرير العرين التي وجه ربي بامام معاشرتها وكل ذرة من ترأى تشهد بحسن جهادي . فإذا فزت وحيبت فاني احجا سعيداً وسلبي قريباً وحيبياً والحسين مولاي وخليفة المسلمين هذا هو النول النصل ... وقد كننا ترددأً وجينا »

فلم يبق منه مجال للدفاع فقال عامر « دعوي يا سلي ... دعوي ان الله دعاه الى عمل صالح واستخاره دون سائر المسلمين فمی ان يوفقاً ... دعوي والتي امرك الى الله ... »

فترك سلي ثوب عبد الرحمن ولكنها ظلت صامتة فقام عامر كلاماً قاتلاً « والآن اذا أنت خرجت في اثر هذا الركب فما الذي تفعله وكيف نطلع نحن على خرك ... لا ترى ان اسرى أنا معلم ؟ »

قال « اقسم بترية عي التاوي في هذا الجوارانة لا يذهب معي في هذه المهمة احد . اما خاري فصاحبكم اليكم بنسبي والا ... » وسكت فعادت سلي الى القلق وقالت « ولا ماذا ؟ ... قل ... »

الفصل الرابع والعشرون

﴿ العالمة ﴾

قال « اني ذاهب الان في اثر هن الحملة الى حيث يتزلون لمقدم فاختي في بعض الاماكن حتى استزد بزيداً فاقتله (ان شاء الله) وامكنا انها هنا في انتظارني بقية هذا النهار وطول ليله فاذا جاء مساء الغد ولم اعد اليكم اعطياني . فلا ادرى ابن اكون ... »

فقال عامر « سر واتكل على الله ونحن في انتظارك الى غروب الغد فاذا غابت الشمس ولم تعد علينا ... »

فقطع عبد الرحمن كلام عامر قاتلاً « لا اظني بعد مباشرة قتل الخليفة الا مضرراً للأخفاء فلا استطيع دخول هنا الدير ... » وسكت ولبث بذكر ثم قال ... « ولكنني ارسل اليكم عالمة »

قال عامر « ما هي عالمة وكيف ترسلها »

قال « ادع اليكم بهم اكتب بين ريشتيه اسم المكان الذي تأتفق فيه فتواتياني اليه ... فاذا جاء غروب الغد انتظراً سهي على سطح هذا الدير . ولن اذكر لكما بيت الريشتين غير اسم المكان فلا خوف منه اذا وقع يد الربان »

فانجذب عامر بذلك النطانة وقال «أهلاً لعم العلامة» فتابعت عبد الرحمن قوماً صغيراً وأسهموا وقلد المختجر وليس ثواباً يشبة ببعض اتباعه بزيد وترمل برداء فوق ثيابه . وكانت سلي في اثناء ذلك تنظر اليه وقولها لا يطاؤها على مفارقتو . فلما اتم الاستعداد وهم بوداعها خلق قلبها وندمت على قولهما بذهابه . وارادت ان تعود الى منعو فلم يترك لها فرصة واسرع ففتح الباب وخرج . فلم يجد في امكانها التظاهر بشيء مخافة ان يتبين الرهبان عامر . ظهرت بالسكونة وارادت ان تثبت بظهورها فاذا هو قد ادرك باب الدبر وخرج منه فاصطعبت عامراً والقامت سطح الدبر لكي تثبت ببصرها وهو سائر في الفوضة . فصعدا السلم وها يتظاهران بالليل الى التفرج . فلما اشرفوا من المصطبة رأيا عبد الرحمن قد قطع البستان حتى خرج من بابه وهو لا يلتقط همه ولا يسرق ثم اوغل بين الاشجار

وفيما ها يتظاهران اليه من خلال الاشجار رأيا رجلاً ملائماً خرج من الدبر وسار في اثر فلم يعرفاه ولا اشتتها به خلو ذهنها من رفيقها راقبها هناك . ولو علما من هو ذلك الملام وما نسبته من الشرك لعبد الرحمن لتعقباه واوديوا به او ارجعوا عبد الرحمن عن عمده وما كان ذلك الملام الاً الصيف لا يرض الذي جاء الدبر بالامس واحبباً في بعض الغرف كما قدمنا . وكان قد رافقهم خلسة منذ خرجا من الكوفة لغرض في نعمائهم او حبيبياً به لسلى لازمتدت فرائصها ولما صبرت الى غروب الليل تنتظر رجوع حبيبها

وطلت سلي واقفة لاطفالها بعيقها وتحدق بعيونها بين الاشجار حتى غاب عبد الرحمن عن بصرها فلما توارى أحست كأن قلبها اخلع من مكانه ولم تعد ثيالك عن البكاء لما غلب عليها من الخوف على حياة حبيبها وندمت طماراته في سترة هذا وعادت الى غرفتها حزينة كثيبة لاتخاطب عامراً ولا تنظر اليه

ولم يكن عامر اقل ندمآ منها على ذلك فظل صامتاً ونزل في اثر سلي والرهبان في شاغل عنها برفع الآية والابسطة التي كانوا قد اعدوها للخليفة



الفصل الخامس والعشرون

البكاء

ودخلت سلي غرفها وقد أظلمت الدنيا في عينيها ولم تجد فرجاً لها من ذلك إلا بالبكاء . فاطلعت دموعها واستغرقت في الغريب وكان ندمها حدتها بما سبلاه عبد الرحمن من الحظر العظيم ونافت بكليتها إلى الذهاب في اثناء خلسة لها تكون له عنواناً في شيء . ولكنها لم تكن تعرف الجهة التي سار فيها هو ولا التي سار فيها موكب الخليفة فظللت تتراوح بين اليأس والرجاء . وعاشر جالس وقلبة منتفض وفي نفسها هاجس امسك عن بيانيها تخفيها لما ظهر له من خوف سلي . ثم تجلد وتقدم إليها وجعل يختلف عنها بكل ما في وسعه ما يدعو إلى الاطمئنان وهي لا تصنف إلى

على أنها عادت إلى تعليق نفسها بليل المدى فتصورت فوز حبيبها بليل يزيد وما يترتب على فوزه من الامر العظيم الذي شوق إليه نفس كل مسلم من دعاء أهل البيت فضلاً عن شفاء غليلها بالاتصال لوالدها فسكن روعها وخف بكاؤها . فاغتنم عامر تلك الفرصة وقال لها « خفني عليك يا سيدتي وإنكلي على الله فإذا ذكري كلام المأني فوق قبر والدك المتتحول ظلماً وإنكلي على الله وعسى أن يسعدنا المحظ بليل المدى . وما قبل هذا الخليفة بالامر العسير لانه لا يستطيع دفاعاً . وخصوصاً ان عبد الرحمن لا يتوي التهجم على قتله جرافاً كما قد عملت ولكنه يتوقع انفراده ولو بعد أيام . فهل تخافين عليه منه اذا كانوا متزدين ؟ ألا تخذلين عبد الرحمن كثوا ليزيد اذا تبارزا ؟ لا تخافي ولا تخزني وإنكلي على الله انه نعم النصیر »

فوقع كلام عامر من ثنمها وفوجع الغوث على الأرض الظلانية وسمحت دموعها وتهضرت تشاغل بترتيب ما انتهز من الانوار والآية عبد ما ليس عبد الرحمن ثيابة . ثم استأنست وقد غالب عليها القلب بعد ذلك البكاء وشعرت بالتعاس . وادرك عامر فيها ذلك فتركها في الغرفة وخرج ليخلو بنفسه ويفكر في أمر

وظلت سلي نائمة إلى المscr وعاشر يتردد إلى الغرفة فيقتضدها فإذا رأها لائزلا نائمة عاد إلى المطبخ أو دخل الكيسة أو كل بعض الرهبان بشؤون لا بهم ولا لهم وفيها هو عائد مرة رأى شيئاً يحتم الصنفاصفة فذكر الشیخ الناسك وما توسّم

فيه من الغرائب فخطر له ان يذهب اليه لعله يسمع منه كلاماً يطئها على عبد الرحمن وهو يعتقد الكراهة في مثل هؤلاء الناس . ثم خطر له ان يصطحب سلى لشارك في ذلك الالتفات ففتح الترفة فرأآها استيقظت مرعوبة وقد غلب عليها الا تباض . فنال « ما بالك يا بنتي ملي اراك متزعجة ؟ »

قالت والدمع ملء عينيها « آه يا عماه كيف تسائلني عن سبب ازعاجي وانت تعلم وزد على ذلك ان الاحلام قد تراكت علي وزادتني قلقاً » فاظهر عامر الاستخفاف بما خافتة من الاحلام ولم يlsaً ان يساًها عن تفاصيل الحلم ولكنه ابدرها فائلاً « دعينا من الاحلام الى الواقع وهلي بما الى الشيخ الناسك مجلس الو عسانا ان نسمع منه بشارة اني والله اعتد الكراهة في امثاله » فارتاحت سلى لذلك الرأي ووقفت للحال وقد انبسط وجهها وزالت عبوسته وقالت « لند رأيت الرأي الصواب يا عماه هنا بنا الي اين هو ؟ »

قال « اذلة في بعض جوانب الدير فتد رأيت كلبة الساعة تحتم الصنكافة فلا يبعد ان يكون هو في زاوية من زوايا الدير او في بعض غرفه »

الفصل السادس والعشرون

— الكهف —

قال ذلك وخرج وخرجت هي في اثنين . فلما اطللا على الباحة رأآها الكلب فهروه الى سلي وهو يحرك ذئبه ويغمض استئناساً بها . وانفرد عامر البحث عن الناسك ثم عاد وهو يقول « سألت عنها في كل اطراف الدير فلم اقف لها على اثر و قال لي الرئيس انه خرج مذ كان الخليقة هنا ولم يعد »

قالت « هل تظنة في بعض جوانب هذا البستان »

قال « ربما كان هناك هم بنا اليه »

فتشيا حتى خرجا من باب الدير والزربية الى بينهم وفيها الماشية والدواجن كما قدمنا فوقنا ب التعليمان الى جوانب البستان . وكان الكلب قد خرج في اثرها ثم رأى به هرول

خوا اليسار وامعن في مسرىن فقالت سلى « يظهر ان شيئاً اشتم رائحة صاحب
فاسع يطلبه فلذذهب في أثر »

وبناءً فإذا هو قد انتهى الى جبرة قديمة العهد في استل ساعتها كهف يشبه غرفة
صغيرة أوى اليها الشيخ النساك . ورأيأه عن بعد جالساً الاربعاء ويداه ممدودتان
على ركبتيه وقد اطرق كأنه يذكر في محضلة بيته حلها . فلما وصل الكتب ابو وجعل
يلحس يده ويشكلك به تحبياً انتهى الشيخ من غسله فرفع بصري وشعر حاجبيه يغطياها
وامسك لحيته وثناها الى قبوي وأطبق شانتي علىهما . فوقعت عينه على سلى وامر فجعلها
يندرس فيها وها قادمان ابو بنكران في ما يبدأن بـ « الحديث . ولكنها لم يكادا يدركا و

حق سمعاء يقول بصوت جهوري اخترق اعماق قلوبها « اين عبد الرحمن !! »

فلم سمعت سلى اسم حبيبها خلق قلبها وارتعدت فرائصها . ولم يكن عامراً قلي بفتحة
منها وأغلق عليها . فلم يعلمها بماذا يحبها و

ولم يصلها اليه حتى وقف بخطبة ورشافة كأنه شاب في عطوان الشباب وصاح فيها
« اين عبد الرحمن . اين ذهب ! »

فافضرعت سلى واستغربت معرفة عبد الرحمن وهي بالجواب فارتاج عليها . فاجابه
عامر قائلاً « واي عبد الرحمن ؟ »

قال « انسالي يا عامر عن عبد الرحمن وانت كهيلة ؟ قل اين ذهب ؟ وقد كان
معكم بالامس »

فتصور عامر نسمة بين يديه ولبي من الاولياء فقال « ائه سار في جهة اذا كانت
فيك كرامة عرفها من ثلاثة نسك »

قال « اظنه ذهب وراء يزيد بن معاوية الذي يسمونه الخليفة »

خاف عامر وسلى ان يسمعه احد يقول ذلك فالتفتتا فإذا ها في معرل عن الناس
فقال عامر « نعم يا سيدى »

فنصح النساك يداً ييد ونظر الى الماء وقال « حراك الله يا عبد الرحمن من ذلك
الحائر المناق . . . كيف تركها يذهب تحت هذا الخطأ العظيم »

الفصل السابع والعشرون

استطلاع الغيب

فلا سمعت سلي كلامه ترامت على قدميه وصاحت «قل يا سيدى ! ! قل لي بالله ما هو ذلك الخطأ»

قال «الخطأ عليه من ذلك الابرص الذى خرج في اثره»

قال عامر «وأي ابرص يا مولاي . . . قل بالله . . . قل افصح . . . لقد اقترنت خاطرنا» فاطرق الشيخ وسكت لا يدري حركاً وهو يتبعض على لحيته ثم يتركتها وبداء نرتعشان من عظم الأثر . فلم تعد سلي تستطيع صبراً على سكونه فقالت «قل بالله يا سيدى . . . قل ما الذي يصيب عبد الرحمن في سفره هنـ . . . وـونـ هو ذلك الابرص؟»

فرفع النامك طرف ثوبه حتى غطى رأسه ثم قال «الا تعرفان ذلك الابرص؟ الا تعرفان شير بن ذي الجوشين؟

فهلا باصوت واحد «بلى نعرفه وـونـ هو؟»

قال «انه خرج في هذا الصباح من هذا الدبر ملائعاً بعد خروج يزبد وأظنه رأى عبد الرحمن خارجاً فاقتنى اثره ليوقع به»

فالتقت سلي الى عامر والشيخ لا يزال ساتراً رأسه بيده وقالت «تبأ ذلك الخائن أظنه اقتنى اثرنا من الكوفة وقد علم بالفرض الذي جئنا من اجله الى الشام . . . تباً لك يا شير ياخاين» ثم التقت الى الشيخ وقالت «ماذا نعمل الآن . . . يا سيدى . . . قل لي كيف نعمل . . . وما الذي تحفته على عبد الرحمن . . . يظهر لنا انك من الاولياء ذوي الكرامات» قالت ذلك وقاها بخنق وقد اصطركت ركبتيها ولم تعد تستطيع الوقوف وهي مع ذلك تحسب نفسها في حلم وعامر ينظر الى ذلك النامك نظر الاستغراب لا يدري كيف ينمر فراسنة . ولكنها شغلت عامر الخطأ المدقع بعد الرحمن عن البحث في تلك الفراسة وجعل اطلاع ذلك النامك على سرم محمل الكرامة . على انه احب ان يغالطه فقال له «نزلك يا سيدى تخاطبها بالرموز واللغاز فما هو خبر عبد الرحمن وما الذي هو ذاته من اجله»

ولم يتم عامر كلامه حتى سمع قبة ذلك الشيخ من تحت الغطاء ثم انقطعت النهاية بذلة وقال الشيخ «أخبرني يا عامر وتجاهل؟ . إنك معنور بجهالك . ولكن الامر الذين جئتم من أجلو الى هذه الديار لا يخفى على هن الاجمار ولا على هذه الاشجار . . . وإذا لم تصدقاني أسأل المايف الذي كلسك من الجوزة الم بقل لكم : وبشر الذين ظلموا بعذاب اليوم .»

فلا تسأل عن حال عامر ولسي عند مسامعها ذلك الكلام . اما عامر فهم يهد الشيعه وأراد ان يقتلهما وهو لا يبالي برائحة قذارهما وقدارة ذلك التوب . فلما احس الشيخ بيد عامر جنب نفسه منه واززو في الكهف والغطاء لا يزال على رأسه فقال له عامر «باقه ايها الشيخ الجليل الا كثفت عن وجهك وافصحت عن نسرك» فزوجن الشيخ وقال «تأدب يا عامر ولا تتطاول الى ما لا يعنوك واعلم انك لن اخاطبك بعد الان الا مستترًا ويكتفيك ما علمته من امراءن ذي الجوشن الابوص (١) وما يهدون من اللائق بعد الرحمن»

خفافت سلي ان يغضب الناس منها اذا اكثرا من السؤال فنالت «لان غضب يا سيدى ولا يسووك سؤالنا وانت تعلم حالتنا بعد ما ظهر من اطلاعك على امرنا واننا انا سائلتك سؤالاً واحداً لا تزد علیه شيئاً . هل تخيبنا عليه» فلم يزد على قوله «نعم» هي اي نعم فنالت «هل ترى من باس على عبد الرحمن في سرت هذه وما جعلتنا في انقاذه .»

فوجم الشيخ وسكت برهة ثم قال «ارجوان لا يكون عليه باس باذن الله . لانه انا عرض بنوس في سبيل مصلحة المسلمين . وهذا آخر ما اقوله لك فلا تزدنا» قال ذلك وهرول مسرعاً والكلب يجري في اثنين نحو الغوفة وخلف سلي وعبد الرحمن على احر من الجمر . وقد جمد الدم في عروقها وها يكادان يمسكان النساء من شدة البغيضة

الفصل الثامن والعشرون

الجنة

فلا توارى الشيخ وكلبه عنها خلاً برهة صامتين ثم قالت سلي «ما قولك يا عاوه
هذا الشيخ وما معناه من كلامو»
قال «أني والله في عجب عجائب من أمره وقد كنا نسبح بالآوليات معًا فشاهدناه
اليوم شهادة عين»

فقالت سلي « أني أحسبي في منام » قالت ذلك وهي تفرك عينيهما وتنتفت الهـ ما حوالها فلم تر شيئاً يهـقظها

وادرك عامر استغراها وحيرتها فنال « لا تستغرب يا سلى ما شاهدتو من تطلع هذا
الشيخ الى الغريب مع ما يظهر لك من بلاهيو فان الغريب قلما يكشف لغير امثاله . ومن
شروط الولاية الزهد والتنشف . وقد قيل في اهل الولاية انهم جواسيس القلوب (١)
فلا ارى غرابة في معرفتي حقائق حالتنا ولكن يظهر انه على رأينا فلا خوف منه على
افتاء سرنا

فقط لم يلقي الكلمة قائلة « ولكن من عسى أن يكون هذا الرجل ... » فاجابها عامر « ان امن حبرني لأن حالة ولباقة يدلان على تسکو وانقطاعه عن الدنيا . ولكن كلامه عن يزيد يدل على اهتمامه بامر المسلمين واظهر انه عربي وکان لغته عراقية ... »

فهالك سلي « باليندا سأ لداه عن بلن وطلينا اليو ان يتنصب «
 فحال « ومن يغيرا على هذا المسؤال وقد رأيت وبالغته في التسرحي غطى وجهها
 ولما طال الحديث بيننا فرق من بين ايديينا فلعله من بعض الذين باوا هيل بلوانا فلنجا الى
 هذا الدبر للاختفاء »

قالت «لا اظنه الاً مصاً يعتل لانه شاذ باطواره . ألم تسمع من رئيس الدير عن معيشته وكيف ينضي نهاره على الاشجار ينتاب باثارها لا انيس له غير هذا الكلب »

قال «ومها يكن من امن فانه ذو كرامة وعساه ان ينفعنا بكرامته»

قالت «ما العمل الان ؟ اني لم ازدد من حديبو الا قلنا ..» وسكتت برهة ثم

قالت «وما قولك بشير اللعين ..»

قال «هذا الذي شغل بالي قبة الله .. لقد طالما شكلت في هذا الابوس وخت خدره .. والظاهر انه عالم بمعرفنا الى الدام واطلاع على غرضنا فاقتنى اثرنا ليشي بنا .. ولو لا ما قاله هذا الناسك ما يدعونا الى الاطمئنان على حياة عبد الرحمن لسرعت في البحث عنه وارجاعه عن عزمه .. ولكن هي اني لم اطعن قلبي لي سهل اليه لاني لا اعرف الجهة التي ساروا فيها .. واخاف اذا انا سرت في ناحية ان مختلف في الطريق وتبقي انت وحدك ولعل هذا المخائن قد نصب لك احبولة اخرى ..»

قالت «اذهب وانا اذهب معك ايضاً ..»

قال «وماذا نعمل بوعدنا لعبد الرحمن ان نترىص له هنا .. وربما جاء الليلة ونحن غائبون فيرمي سهامه وقد يكون في ما يكتبنا عليه ما يبعث على موافاتنا ايادى مكان فيمنع الهم بين يدي احد الرهبان ولا نطلع عليه .. دعينا نفك هنا وتكل امن الى الله وهو كفيلاً»

قال ذلك ومشيا حتى اقربا من الدبر وها مهبونا كلها في حلم فاراد عامر ان يدخل وقتها في شيء بعد الشهبة عنه فقال اسلئي «تعالى معي الى الزربة تتفقد جمالها وزرى ما تم باحالها»

قالت «دعنا من المجال والاحمال فلا حاجة لي بشيء غير الافتخار في ما نحن فيه»

قال «وهذا الذي اشرت وانا ايضاً ولكن لا بد لنا من الانتظار الى مساء الليلة

او صباح الغدا او مسائه فكيف نقضى الوقت ووقت الانتظار طوبل»

فاطلعة وغولـا الى الزربة فرأيا الحدم قد بدأوا العناية في خدمة المجال وإنما احـمال

الهرف لم يجدوها .. فيجت عامر لاول وهذه تم تذكر ائمـهم حلـومـهم الى داخل الدبر

فضـها هناك برهة يشـاغـلانـها بـسـعـانـها من اصـواتـ الدـوابـ وـسـلـى لـاـتـبـعـهـ لـشـيءـ

ـ ماـ حـولـهاـ لـعـظمـ ماـ تـارـ فيـ خـاطـرـهاـ منـ النـاقـ علىـ حـيـهـهاـ بـعـدـ ماـ سـعـنةـ منـ الشـعـ الشـعـ

ـ وـ لمـ يـكـنـ عامـرـ اـفـلـ قـلـقاـ مـهـنـهاـ وـلـكـهـ اـرـادـ فـجـعـهـهاـ وـغـوـبـ ذـهـنـهاـ بـرهـةـ قـلـامـ بـرـذـلـكـ

ـ المـوـقـ يـشـغلـهاـ اـطـاعـهـاـ فـيـ العـودـ الىـ الدـبـرـ وـسـارـ تـيـاـ الىـ الفـرـقةـ وـمـكـثـهاـ بـرهـةـ يـنـ كـلامـ وـتـكـرـ

الفصل التاسع والعشرون

الانتظار

لما مالت الشمس الى المغيب علقت آمال سليم عبد الرحمن وخيل لها من فرط قلتها ادتها لا تكاد تصل السطح حتى ترى السهم ساقطاً امامها فاستحققت عامراً على الصعود معها فاطاعها وقلبة لا يدخله على خير . فوقنا على السطح ينظران الى الافق لا يشعليها شاغل عن المراجس . ولسي كلما لاح طا طائر ظهرت بها مرسلاً من حبيبها حتى شاعت عيناهما وعامر يلاحظ حركاتها ويراقب عواطفها ولا يبدي رأياً حتى آذنت الشمس بالزوال ولم يأت الدبر ولا سمعا شيئاً يعلق به

وكان رئيس الدير مشغولاً في ذلك اليوم بصلوات خاصة لم يفرغ منها الا نحو الغروب . فخرج من عليه وتشى على السطح فرأى عامراً ولسي جالسين ينظران الى الفوهة وقرأ الثناء على وجههما فلم يشأ ان يزعجهما بالسؤال فظل بعيداً وفي نسمة انهما اذا احجاً بمحاسنة دعياه اليها

فعايات الشمس وهما على السطح ولم يحدث شيء فازداد بهما الثناء وعامر يحاول طائنة سلي بمحدث او رأي وهي لا تقنع . وشاع بصرها بعد الغروب نحو الفوهة في الطريق الذي سار فيه عبد الرحمن لعلها ترى قادماً تمثلاً نس بو فلم تر شيئاً

واخرين هض عامر وهو يقول « ان موعدنا يا سلي الى غروب الغد ومن العبث يقاوننا هنا الليلة . فضلاً عن ان يقاونا في اثناء الليل بوجب شبهة » قال ذلك ومشى فمشت هي في اثنين وعيناهما لا تستقران من اللفت

باتا تلك الليلة وكل منها يذكر في عبد الرحمن فاما نصراً غروب الغد وسمة لم يأثر تغيراً في امرها وخصوصاً سلي فانها عزمت في باطن سرها اذا غرت شمس الغد ولم يأثرها خبر من عبد الرحمن ان تشكيلها على الرجال وتذهب للتنبيش عنه . ولم يكن تصيم عبد الرحمن اقل من ذلك ولكنه كان يخشى اذا ترك سلي في الدير وذهبا انت يكون عليها بأس . ثم صم اذا لم يبعد عبد الرحمن ان يذهب هو ولسي بما للبحث عنه

اما رئيس الدير فانه اتبه لبقاء عامر ولسي على السطح بدون عبد الرحمن فظله

في بعض جوانب الدبر ولم يدخلة ريب من أمره
ويمضت سلي والقبر لم يبدِّ بعد وإنقطلت عاًمراً وحرفة على الصعود الى السطح عسى ان
يكون هم عبد الرحمن قد وقع في انتهاء الليل فصعد ولم يرشدنا فرجع . فما سمعته بعد ذهابه
على الصعود وهو لا يحتاج الى من يسخنه . وما صدق ان اشرقت الشمس حتى دعاها للصعود
معه . وفيها صاعدان على السلم شاهدا طارفاً يحلق في الجو ولا يحرك جناحيه فنظريراً
بـ^(١) وكانت تلك عادة العرب اذا رأوا طيراً يحلق على تلك الصورة تشاهدوه .
وادرك عامر نشاؤم سلي فاجدرها قاتلاً : أراك تطيرت بانتظار هذا الطير وقد نهى الذي
(صلم) عن ذلك فقال «من عرض له من هذه الطيرة شيء فليقتل المهم» لا طير الا
طيرك ولا خيراً الا خيرك ولا الله غيرك ولا حول ولا قوى الا بالله العلي العظيم^(٢) وقال
(صلم) «اذا نظيرت فلا ترجع»^(٣) فائزعي من بالك هذا اليوم وكل امرك الى الله .
فشككت وخارطها لم يطعن ولكلها سايرتها وصعدت معه
ولما طال انتظارها وانعاظها القلق تذكرة الشيج الناسك وكان لم يربأ منذ فر^ر من
بين ايديها في الامس ولا رأيا كلبة في الدبر
ولم يكن اطول من ذلك النهار على سلي فلما دنا الاصليل ولم يطعن بما اخذت
تلوم نفسها وتلزّع عامراً على القفاص عن الخافق بعد الرحمن . وهي الى ذلك الحين
لم تذق طعاماً . فخارت قواها ولكنها لم تشعر بالجوع لشدة القلق

الفصل السادس

الواقع في الفتح

وفيها هي غارقة في بحار المواجه لحت فارساً يركض فرسه بين الاشجار بالقرب من
باب اليهودان تخفق قلبه والتئمت الى عامر فاذا هو ينظر ايضاً الى ذلك القارس وقد عانه
البغثة . ورأى رئيس الدبر قد خرج من عليه سرعاً وهو يصلح عباءته وينظر الى باب

(١) الاذانيج ١٣ (٢) الاستطرف ٢ (٣) العقد الفريد ١

البستان ثم امر القيم ان « ابصت راهباً ليتحجج الياب لاني ارى عيده الله بن زياد فادعها فلعله جاء ليهيننا بقدوم الخليفة »

فـلما سمعت سـلـى اسـمـ اـخـتـ زـيـادـ اـرـتـعـدـتـ فـرـانـصـهـ وـنـرـسـتـ فـيـ التـارـىـخـ فـرـأـتـ وـاقـفـاـتـ بـالـيـابـ وـهـرـوـلـ بـعـضـ الرـهـبـانـ فـلـقـنـوـهـ لـهـ .ـ وـهـتـ بـمـخـاطـبـةـ عـامـرـ فـاـذـاـ هـوـيـتـ مـاـ «ـ اـتـرـبـيـ بـاـ سـلـىـ الـىـ غـرـفـتـكـ وـاسـتـرـيـ هـنـاكـ وـاـنـاـ اـبـنـ هـنـاـ وـحـدـيـ لـزـىـ مـاـ يـكـونـ مـنـ اـمـرـهـذـاـ القـادـمـ »ـ فـارـادـتـ اـنـ نـسـمـهـ مـالـحـ عـلـيـهـ بـالـزـوـلـ وـوـعـدـهـ اـنـهـ بـاـقـيـ فـيـ اـنـظـارـ رسـالـهـ عـبـدـ الرـحـمـنـ فـتـرـزـلتـ مـصـرـعـهـ وـاـخـبـاتـ فـيـ غـرـفـهـ وـظـلـ عـامـرـ عـلـىـ السـطـحـ

وـكـانـ الرـئـيـسـ قـدـ تـرـزـلـ اـلـىـ بـابـ الدـيرـ وـاسـتـقـلـ اـبـنـ زـيـادـ وـوـقـفـ مـعـهـ بـرـهـهـ وـهـاـ بـكـلـامـ هـمـاـ .ـ ثـمـ صـعـداـ اـلـىـ السـطـحـ وـقـبـلـ اـنـ يـصـلـاـ فـاحـتـ رـائـحةـ المـسـكـ .ـ فـلـمـ عـامـرـ اـنـهـ رـائـحةـ عـيـدـهـ اللهـ بـنـ زـيـادـ لـانـهـ كـانـ مـشـهـورـاـ بـرـائـحةـ طـيـبوـ^(١)ـ .ـ وـلـيـثـ عـامـرـ جـالـسـاـ وـقـدـ نـدـمـ عـلـىـ بـقـاءـهـ هـنـاكـ .ـ ثـمـ مـاـ عـمـ اـنـ رـأـيـ الرـئـيـسـ مـقـبـلاـ لـخـنـوـ وـعـيـدـهـ اللهـ اـلـىـ جـانـبـهـ فـوـقـ

لـهـ وـجـاهـ .ـ فـرـدـ عـيـدـهـ اللهـ هـاشـاـ وـالـرـئـيـسـ بـهـنـمـ كـانـ فـيـ نـمـوـ قـولـاـ بـهـ^(٢)ـ .ـ فـخـاجـلـ عـامـرـ وـنـادـبـ فـيـ مـوـقـعـهـ قـدـعـاءـ اـبـنـ زـيـادـ لـلـجـلوـسـ وـامـرـ الرـئـيـسـ بـطـلـنـسـةـ فـرـشـتـ هـلـ عـلـىـ حـصـيرـ فـجـلـسـواـ عـلـيـهـ وـعـامـرـ يـعـبـ بـهـ بـدـوـنـ ظـواـهـ الرـحـابـ :ـ وـجـدـتـهـ نـمـةـ بـظـلـونـ كـثـيرـ حـقـ لـهـ بـهـ لـهـ صـبـرـ عـلـىـ اـسـطـالـعـ سـبـبـ ذـلـكـ وـهـوـيـنـافـ اـنـ يـكـونـ فـيـ مـاـ سـيـسـعـ

بـأـسـ عـلـىـ عـبـدـ الرـحـمـنـ

فـلـمـ اـسـتـنـبـ بـهـ الـجـلوـسـ جـاءـهـ مـوـاعـيـدـ الـفـاكـهـةـ وـكـوـوسـ الـاـشـرـبـةـ فـاـكـلـاـ وـشـرـبـاـ ثـمـ بـدـأـ الرـئـيـسـ بـالـكـلـامـ فـاـتـلـاـ «ـ اـعـلـ مـوـلـانـاـ الـخـلـيـفـةـ قـادـمـ الـبـيـنـاـ فـتـأـهـ لـاستـقـبـالـهـ »ـ فـضـحـكـ عـيـدـهـ اللهـ وـهـوـ بـصـلـحـ حـمـائـلـ سـيـفوـ وـقـالـ «ـ لـاـ اـظـلـنـ مـوـلـانـاـ بـرـ بـكـ الـوـمـ »ـ

قالـ الرـئـيـسـ «ـ وـهـلـ هـوـ عـاـيـدـ اـلـىـ دـمـشـقـ »ـ

قالـ «ـ نـمـ اـنـهـ عـاـيـدـ الـبـلـةـ »ـ

قالـ «ـ وـمـاـ الـذـيـ دـعـاهـ اـلـىـ الرـجـوعـ مـنـ صـبـنـ عـاجـلـاـ وـقـدـ كـنـتـ أـحـسـبـ لـاـ يـعـودـ قـبـلـ اـسـوـعـ عـلـىـ الـأـقـلـ »ـ

قالـ «ـ اـنـ شـاءـ مـنـ سـنـرـوـ هـكـ فـاحـبـ الرـجـوعـ سـرـعاـ »ـ

فـارـتـابـ عـامـرـ بـسـبـبـ الـأـسـرـاعـ وـلـمـ يـعـدـ يـصـبـرـ عـلـىـ الـكـلـامـ وـمـ بـالـاسـتـهـامـ فـاـذـاـ بـاـيـنـ زـيـادـ قـدـ اـسـتـأـنـفـ الـمـدـيـدـ فـقـالـ «ـ وـقـدـ بـخـاـ أـمـرـ الـمـؤـمـنـ الـيـوـمـ مـنـ خـطـرـ عـظـيمـ »ـ

فلا سمع عامر قوله هذا نوم الوصول الى ما يتوقعه وأكثرا خاف ان يكون في حديث تلك الواتعة ما يسمى فيها فبدت البغية على وجوهه وتطاول بعنف لساع بقية الكلام فـأَنَّمَا عِبْدَاللهُ حَدَّيْتَ قَاتِلًا» وكانت نجاة من ذلك الخطر بسر عجيب برجع الفضل فيه الى كليوباتر رجل من خاصتنا «فقال الرئيس «وكيف ذلك»

قال «خرجنا من عدكم بالاس وبنينا في قرية على بضعة اميال من هنا الدبر فيما في مساواة الامس رجل اعرفه من الكوفة ونهبنا الى غريب متذكر يزعم انه عازم على التفكير بالمير الملوحين في اثناء صيد فشككناه مساعده وعدته بغيرا على جبله وأصبعها وانما اطلع الخليفة على ذلك لثلا ازعيجه - تخرجنا الى الصيد وكلما اراد الخليفة الانصراف في الغوطة لفحت به عذقة ان يكون ذلك المتذكر متربصا في بعض الاماكن - واوصيت جماعة من رجالها الاشداء ان يقتلوا أثينا ويناهيوا للوئوب عند اول اشارة

«وكان معنا كتب من كلاب الصيد يمتاز عن سائر الكلاب بسرعة جريوه ونهاهيو وقد أحية الخليفة حتى ألبست الدمس والخربر وملأ قلائمه بالأساور الذهبية ^(١) وفيما نجح على خولنا بالقرب من غابة متكاثنة الاغصان نبع الكلب نباحاً شديداً واسرع امامنا حتى اوغل بين الاشجار وهو يبالغ في العواء فذهبنا لامره وما زلتنا ندعوه اليها وهو لا يطبع حتى اشكل على أمره - فتفحرست في مكانه فآتست هناك شجاً فاؤمات الى رجالنا فوثبنا في آثر الكلب فما شعرت الا وقد خرج لنا شاب ملثم في يده سخيف مسلول طعن به اول فادم عليه ثم طعن الثاني والثالث واخترق الجميع وهو يلمس الخليفة فامررت الرجال ان يقفوا عليه ولا يقتلونه فشكروا عليهم فقدل منهم خمسة ولم يبلغوا منه وطراً الا بعد ان هاجر بعذر شجرة ناتي ففجروا عليه واوثقوه وثارقاً شديداً واسفوا الى الخليفة - وكتب قد سمعته اليه وآخره بغيره - فامر بارساله الى دمشق وعدل عن اقام الصيد واوعز بالرجوع فاسرعه في متوجه لغرض لي عدد عني هذا» وأشار الى عامر

الفصل الحادى والثلاثون

— كلب يزيد —

فلا سمع عامر حدثنا لم يبق عنده شنك في ان الذي قبضوا عليه هو عبد الرحمن بعبيو . ولكن عجب للغرض الذي قال انه له معه . وخوف ان يكون فيه باس عليه اذ لا يبعد على الذي وشي بعد الرحمن ان يشي بهم جميعاً فاسودت الدنيا في عبيو ولكن صبر صبر الرجال وغيلان والتنت الى عيده الله وهو يظهر الاستغراب مما اتفق للخليفة وقال « منها يا مرحبي فاني رهن اشارته »

قال « لا اطلب منك شيئاً يسوقك باذن الله ولكن احيط مصاهرتك فهل ترضاني لك صهراً؟ »

فوقع ذلك الكلام في اذن عامر وقوع الصاعنة وارتجع عليه فلم يعلم بماذا يحييه . وهو لا يستطيع عيافاته لانه في قبة بن فاراد ان يجتاز في جواره . وقبل ان يبدأ بالكلام رأى ابن زياد قد وقف بفتحته وهو ينظر الى البستان وتناول بمنتو وعلبة البقة . فالتنبأ عامر فادا بالخيول تزاحم عند باب البستان وعلىها الفرسان وفهم يزيد بن معاوية . ثم رأى يزيد آتى ترجل وحده واقبل مسرعاً على قدميه نحو الدبر كانه يطارد شيئاً

فبعثت الرئيس واسرع الى باحة الدبر وهو يعتصر باذياه حتى كاد ينبع على السلم فرأى كلباً من كلاب الخليفة دخل الباحة وعليه الاطالس والاساور كما وصفه ابن زياد . فلما رأاه الكلب هر ولأنه خوف المحرف يسيره الى جهة غرفة ملي . ووصل يزيد في اثناء ذلك وهرع في اثر الكلب لانه كان قد افتقى وهو مار . بقرب الدبر فلم يجد فعلم انه دخل الدبر . فجاء للقبض عليه يتنبأ لانه كان يحييه وخصوصاً بعد ان يدا ما يدا من نهايته في ذلك اليوم

وكان سلي متكتئاً في غرفتها على عباءة وباب الغرفة منحوت نصف فضة ووجهها مكعوف وقد توصدت على جنبها واستلقت رأسها بكعبها . وفي يدها الأخرى منديل نسج بدموعها وهي غارقة في خلوات الخيال تذكر بمحبها وما هو فيه من الخطر الشديد وقد طال غيابه ولا تزال متغيرة ما شاهدته في ذلك الصباح . فغلب عليها البكاء واطلقت

لعواطفها العنان حتى احمررت عيناهما وتذكرت اهداها ونوردت وجنتها . وكان شعرها مخلولاً فاسترسل بعضاً على جنبيها وتدلى البعض الآخر حتى غسل ملمسها . وانكسر كعبها عن زندتها فانكشف معطلة وعليه الوشم كديب النيل . وكانت لما طابت لها الخلوة تصورت حبيبها ساعة خروجه من الغرفة في صباح الامس فهاجت عواطفها فابرقت عيناهما فزادها الدمع لمعانًا وزادت هيبة وجهها

وفيما هي على تلك الحال سمعت خشقة الاساور في قوائم الكلب ثم رأته داخلاً غرفتها . فذكرت بزيداً فاجفلت وتناءمت وهلت بالقعود فإذا بزيد يركض في اشرع ويناديها . فصاحت صوت بزيد قبل ان تراه فارتعدت فراصها فدلت يدها الى الكتاب لتسائر رأسها به فلم تدركه فارسلت شعرها على وجهها . وقبل ان تستقر اطلل بزيد ورأها فانذهل لرؤيتها ووقف مهوناً لا يدرى ما يقول وقد نسي الكلب واساوره اما في ففقطت وجهها بكعبها وغلب عليها الحماس والوجل وظلت جالسة لا تدرى كيف تخجى وداخلتها البغة فزادتها رونقاً ومهابة فولت وجهها عرض الماحفظ وظهرها نحو بزيد

فلم يحالك بزيد عن الاعجاب بجماليها وجهها ولم يستطع غير الانعطاف اليها . فناداها بسمة الحب الملون وقال لها « لا تخجى شمس وجهك عن خلق الله بالجمل خلق الله »

الفصل الثاني والثلاثون

— خطاب آخر —

فظلت هي صامتة وجد الدم في عروقها من شدة الجبل . فتحول بزيد من الغرفة وقد وقعت سلي من نفس موقع عظيمها . وكان عبد الله بن زياد قد نزل الى الباحة والرئيس معه فرأى بزيداً خارجاً من غرفة سلي وامارات الاعجاب بادية على عبد الله فشعر بغيرة شديدة ولكن الحسد غالب عليه لعله ان الخليفة اذا رأها واعجبته لا يهنى لعبد الله سبيل اليها . فتجاهل عما ثار في خاطره ومخاطب الخليفة على سبيل المزاح قائلاً « ارى امير المؤمنين مشفوفاً بكل يوم بعد العار يداه التي اصطادها له في هذا الصباح » فنال بزيد وهو يحاول الابتسام « ولكنه اصطاد لنا طربدة اخرى اجمل من ذلك

فمضاعف فضله علينا »

فادرك ابن زياد تليحة الى اصحابه بسلى فازدادت غروره ولكنها اضطر الى الكهان وندم على امتداج نهاية ذلك الكلب ولمن الساعة التي جاء بها الى ذلك الدبر . ولكنها عدت الى المعاطلة ونادى بعض الخدم قسم ابو الكلب واستشار الخليفة في ما يراه من البقاء او الرحيل . فاشار بالرجل والرئيس برحبه ويناديه بالاستراحة بقية ذلك اليوم هناك . فاجابه الله في حال ندعوه الى سرعة الانطلاق ولكنها طلب الخلوة وفبعد الرئيس على انفراد وظل ابن زياد واقفاً وعانيا شعاعاً يزيداً حتى توأري مع الرئيس وراء الصنفاصفة فلما خلا يزيد بالرئيس سأله عن تلك النهاية فاخبره أنها آية تاجر قدم من العراق منذ بضعة أيام

قال يزيد « هل هي عربة »

قال « اظنه كذلك يا مولاي »

قال « حمناً » ولم يزد

وامر يزيد فركبت حاشيته وركب هو وابن زياد معه وودعوا الرئيس وخرجوا وامر لايزال على المطلع بخلص النظر الى حركات يزيد وقد رأى وراء الصنفاصفة مع الرئيس

فلما مضي يزيد ورجاله صعد الرئيس الى السطح ووجهه برق سروراً وفي وجده ابتسامة استدل عامر منها على شيء في نفس الرئيس فنقدم ابو وملامع الاستئتمان بادية على وجهه . وقبل ان هم بالكلام ابدره الرئيس قائلاً « اني ابشرك بالسعادة يا بني »

قال عامر « بماذا وكيف ؟ »

قال « لاني رأيت امير المؤمنين معجباً بابنك »

شقق ذلك على عامر وقال وهو يظاهر بالسذاجة « وما الذي يترتب على ذلك من موجبات البشرة »

قال « وقد لحظت من كلامه انه يريد ان يسعدك بالصاهرة »

فوقع ذلك الكلام على عامر وقوع البلاء العظيم ولم ينه بكلة وترأكمت عليه الموجس فلا بدري بما ذكر : أفي عبد الرحمن وقد وقع في الاسر ام في سلى وهي اذا علمت بما اصاب حبيبها يشتت من الحياة — ولا يزيدها خبر المصاهرة الا قبيحاً . فلم يعد يعرف كيف ينفع درجات السلم لشدة كدره

اما سلى فجأة خرج يزيد من غرفتها اسرع الى الباب فاغلقته ووقفت مهونه وهي تردد ما سمعته منه . وادركت ما جال في خاطرها عنها فو قفت في حيرة لا تدرى ماذا نعمل ثم عاد خيال عبد الرحمن الى ذهنها فشلت بو عن كل هاجس وودت لئاً عامر لستطع ما اعلمه عن عبد الرحمن وحدثها نفسها ان تخرج في طلب على السطح ولكنها خافت ان يكون ازيد باقى هناك فاصجمت

الفصل الثالث والثلاثون

صح الصحيح

وفيا هي تردد في ذلك وإذا بعامر قد فتح الباب ودخل فرأها في تلك الحال من القلق فأثر البكاء على عينيها والبغنة لا تزال غالبة على محياها فلم يدر كيف يخاطبها ولا عن أي شيء يسألها . وفي أولى بيتهما عاچا . ومن الخبر المخزن عن عبد الرحمن . فوقف لحظة لا يتكلم . وادركت هي ما يعلوه من القدر فقالت « ما وراءك يا عماء » قال « ما ورأني إلا الخير ان شاء الله »

قالت « هل جاءت رسالة عبد الرحمن هل وصل اليك سمهة ؟ »

قال « نعم ولكن وقع في قلبي »

فلمحت انه سمع شيئاً يسموها فقالت « ما الخبر ابن عبد الرحمن ماذا جرى له » قال وهو يتجلع بكلامه « لم يهرله شيء ولكن »

قالت « ولكن ماذا هل قتلوه ؟ » قالت ذلك وقد اختنق صوتها وسبتها العبرات

قال « لا لم تصل يدم الى ذلك ولكنكم اسرؤه »

فلمحت خدعا حتى كادت تنطع افراطها وقالت « ومن اسره وكيف ؟ »

فجعل يختلف عنها وهو يقص عليها حديث ابن زياد ولم يذكر لها شيئاً ما كان قد

بدأ يوم امر المعاشرة

فلما فرغ عامر من كلامه عادت سلى الى البكاء وفي قوله فهم الله اعلم قبضوا

عليه ... أرأيت نظيري في هذا الصباح وانت لا تزال تفالفاني؟ ... هذا الذي خفيته
عليه ... في العمل الآخر

فليث عامر سأكنا وقد استغرق في الأفكار وبيان استغرافه من تنطع حاجي و
وثبت نظره . فابدرته سلبي قائلة « قل يا عمه . قل ما الرأي . »

قال وهو يفرك لحونه بسبابوه كأنه ياهي . عبارة مختلف بها عنها « لا تعجل
يا سلبي ... تعجل واستعن بي الله ولننظر في الامر على مهل »
قالت « كيف انهل وقد اسرنا عبد الرحمن ولا ادرى ما الذي يحدث له
هناك » قالت ذلك واجهشت بالبكاء

فخير عامر في امن وهو خائف أكثر من خوفها لما سمعه من حدث ابن زياد
وطلاق سلبي . وحدثته نفسه ان يطالعها على ذلك ولكنها خاف ان يزداد فلتتها فقال « لا يزيد
السرع ونحن الآن حالي الفروب والليل اعني لانستطاع فهو علاماً ولا بد من الانتظار
إلى الغد . وغداً لانا ناظره قريب »

قالت « اني خائنة من هذا الليل ... اني خائنة ان يصاب عبد الرحمن ببلاء
مستجعل فلا يهلوانا لعدير الخليفة والعياذ بالله »

قال « لا اظنهم يسرعون في اذاته ولا بد من ان يهلوه حينما يستجهون به عن حاله
وينتعلعون سبب تعمد فعل الخليفة فاري ان انزل غداً باصحاب القراء الى دمشق
احصال بها على استطلاع الخبر واعود اليك ونرى ما يكون »

قالت « لا بد من الانتظار اذاً ... ؟ فلنصبرن ان الله مع الصابرين »

الفصل الرابع والثلاثون

— خاطب آخر —

وقضيا تلك الليلة على مثل الجسر وسلبي لم تدق رقاداً وعامر يدبر الكولة في كيفية
استطلاع خبر عبد الرحمن
فلا اصحها هيأ عامر جمالة وتربيا بزي الفوار وركب يائس دمشق وسلبي تدعى

له بالتوافق وقلها يخنق خوفاً على عامر ايضاً لثلا يكون شر قد دبر له مكيدة . ولما توارى عن نظرها عادت الى غرفها وأغلقت الباب وراءها . ولما خلت بنفسها تذكرت حبيبها وما هو فيه من المخمار الشديد فهاجمت اشجارها فاوغلت في البكاء

وفيما هي في ذلك سمعت وقع اقدام خارج غرفها وصوتاً ينادي صوت الرئيس ولم تكدر تصيح بسمها حتى سمعت قرع الباب فاجابه قلبها بدقات متزايدة ووقفت بلا انتباه وبدها اليسرى على سمارتها شاهد لارماله على راسها اذا رأت في الباب رجلأ غيرها ولا نسل عن اضطرابها ووجلها لما فتحت الباب ورأته الرئيس وشر بن ذي الجوش معه وقد ترما بالغير ملابده ونوابيب باحسن طبله واصلح نسكة كأنه يستعد للناء عروسو فلما رأت برصة ارتعشت فرائصها وحدتها نفسها ان تبتدره باللعنة والتوبخ ولكنها خافت النضيحة وهي منفردة هناك فخلدت وهي لا انالك عن الارتفاع
اما الرئيس فلما رأى سلي وحدتها قال لها « اين والدك »

قالت « اظنه ذهب الى دمشق باحمال التمر في هذا الصباح وما الذي

ترى منه ؟ »

قال « ان مولانا الخليفة بعث اليه بهذا الايمان خارزو في شأن «
فلما سمعت اسم الخليفة ورسالته خافت ما وراء تلك الرسالة ولكنها استكت عواطفها وإجابته بهدوء سكينة « ان والدي ليس هنا الان » قالت ذلك وهي ترجو ان يصرف شعرها هذا الجواب

فابضم شعر وهو يحاول ان يظاهر بالزمانة والاستخفاف بما وقال « لا يأس من غيابه فاني مكلف بتأدية هذه الرسالة امام الله واما للدك »
قال ذلك ودخل الفرقه فتحول الرئيس راجعاً

واما سلي فظلت واقفة وقد اصطركت ركبها واندثر بذاتها وخافت ان يندو ذلك الا ضطرب على وجهها فبالغت في ارخاء النقاب عليه ولم تكفي منه الا عندها . ولكن شعر قرأ على يديك العيون امارات المخوف في الوجه . فلما خلا بها ظاهر باللطف وقال لها « لا تخافي يا سيدتي ولا تظافي في سوانا ولكنني ارجوان تعرفي هذا الوجه »
وبيض على لحيته

فتناولت « وما الذي يترب على معرفتي بذلك »

قال « اذا عرفتني عرفت اني جاركم القدم واني من اصدقاء والدك او كذلك

عامر . . . « قال ذلك وهو يحاول الابدأ
فعلمت انه يهددها بمعرفتها بوجودها هناك وخففت الغدر في وجهه ونادت على
ارسال عامر وانفرادها . ولكنها لما تذكرت ما ارتكبه ذلك الابرص من الوحشية بعد
الرحمن هان عليها كل صميم وعواطف على الاستئصال في سبيل شفاه غلبتها منه فنالت
« فإذا كثت جارتنا فما الذي يهدك من أمرنا »
قال « ما بالك تخاطبني بالجناء يا سيدة الملاح وإنما أتيت لاستمعطافك
فلا تخربني »

فادركت ما وراء ذاك اللطف وسكتت وقد صعد الدم الى راسها فخوّل وجهها الى غضب وقالت «عهودتك جئت لخطابة والدي وهو غائب فاذا جاء خطابه» قال «وماذا ينفي في خطابه اذا لم تكوني انت راضية» قالت «اراك تلمع بالا يليق بك بين يدي فتاة لا تعرفك» قال وهو يظهر الاستخفاف «كيف تقولين انك لا تعرفييني وإنما اعتقاد غير ذلك ام انت لا تزالين مغروبة بذلك الولد الجاهل»

الفصل الخامس والثلاثون

فلم تعد سلي تستطيع صبراً على تلك الوفاة واعملت فكرتها في ما تستطيعه حينئذ فرأيت نفسها ضعيفة منفردة غريبة والخالية وأعوانة وكل أهل الشام ضدّها ووجهها وموتها بين شفتي ذلك الرجل . فاحسنت ان المجال تراكمت على صدرها فتساقطت دموعها بالرغم عنها ثغورات وجهها لثلا يلقط شعر ذلك فيها فيزداد طمعها بها

اما هو فلما رأها تبكي استهل استرضاها فحمد الى الملائكة فتقدّم ثغورها وقال بصوت ضعيف « لا تبكي يا سلي ولا تخافي فاني مع علي بكل اسرارك واسرار عاشر وبعد الرحمن لا اقوى بك شرّا بل انا نصيرك وعونك حتى تخرجي من هذه الديار آمنة ». على شرط ان تحيي سؤال قلبي وترحني عمباً فقطع البراري ولفتار سعيّا اليك فارحني قلب هذا العاشق الوطن وازركي من باللك مبارزة الغلستان الذين يسوقون الموت الى اقصىهم

مجاهيلم وغباوتم كما فعل ابن علوك عبد الرحمن الذي اغواك بشفاعة لسانه حتى وقع اسيرًا وسوق الى السجن مقلولاً ولو أردت ان أسوقك واسوق عامرًا الى ذلك الاسر لعلمت ولكن قلبي لم يطأوعي لاني احبك وإذا اعطيتني ورضيتي بها اطلبها منك عذري معي سعيدة آمة لان ما نسعون في نيلها هو اضياع احلام وفنان الآن اهل المولدة والعيش وخلينا صاحب السلطان بالجند والاعوان .. فما ذاك؟

وكان شهر يتكلم وبنظر الى وجهها من وراء النقاب وهي معرضة عن ملائكة الى المحافظة ورائتها ترتعش وقد جد الدمع في عينيها واحتارت في امرها فطلبت صامتة فاستبشر شهر بسكونها وظن السكوت جواباً فاعاد الكلمة وقال « ابي والله ليجي بي نمانك وسداد رأيك فاصحي لي عن رضاك وهذا يكفيني الآن »

فلم تعد سلي نصیر عن الجواب فخواست وجهها ابو وقالت « انك طالع يا مر بعد عن باعك فانصرف من هنا بسلام »

ففتحت عينيك وقال « الى ابن انصرف يا سلي .. أأنصرف الى أمير المؤمنين فاطمة على حالي فيصيتك ما اهاب ابن علوك .. واظنك لم تنهي مغزى كلامي بعد .. فاقول لك بصريح العبارة ان عبد الرحمن اصبح في قبضتنا ولم يبق له مطعم بالحياة فاستيقن نائمك وعامرًا .. والا فان الموت اقرب اليكما من حل الوريد .. » قال ذلك والختت ينقي في وجهه فابدرته سلي فائلة « خمسات يا نزل الرجال ان باعك و باع زيد انصر من ان هذا الا شعر من عبد الرحمن »

ففتحت شهر ضحكة طولية وقال « حدقت انتا فاصلرون عيکاً كأنك لم تنهي قولي بعد .. الم تفهمي ان عبد الرحمن اسير عندنا وقد قبضنا عليه وهو يحاول قتل امير المؤمنين فمن ابن تأثير الحياة بعد .. افلاعي عن عيادي واطبعي ناصحاً بعرض عليك السعادة فاما رفعها اذا دافعت الموت الزرقاء »

قالت « لا تحسيني جاهلة ما تقوله فلقد علمت ان عبد الرحمن اسر» وانك انت وشيشت يومي وانك قادر ان تشي في اياها وتبينها مما وقد فهمت كل ذلك .. فيما حبذا الموت مع عبد الرحمن ولا الحياة معك يا خاتمي .. قلت لك امضي واخلف وافق ما نشاء .. والمموت اهون ما تخوفني به وهو احب الي من قربك .. فاذا بعديت عن وجسي لا ابابي حبيت او مت »

فقال هـ يا لاعجب من جهالك وقد كت احسيك عاقلة فاذا امت حناء بغرورة
ولكنني اعرض عليك الحبـة ورـة اخـرى فاذا رأفتـها كان ذلك آخر العـهد بك
قالـت « ابشرـ افعـ ما تـشـاء اخـرى حـبـة هنا وـذا يا نـعـلـ »

خرج شهر والنجم ظاهر على وجهه وحركانو وهو يلعن سلي وينوّدهما . ولكن قبّة لم يطأوّعه عليهما . فصبر نسمة ريشا بري عامر أو يسترّضيه بالوعيد والتهديد فتقىّد بها اما سلي فاقفلت الباب وراءه واطلقت لنفسها عدان البكاء وجلست تبكي حبيبها وتندب سوء حظها وتتذكر في حالها وقد ابنت بالملائكة حتى اذا كُت من البكاء والغم استرجعت رشدها واعلمت فكرها فلم تر خيراً من ترهبها حتى يرجع عامر فتشبع في الخروج من هذا الدبر والاخذنهاء في مكان آخر ريشا ينبع اب الترج

الفصل السادس والثلاثون

العزّم على الرحيل

ومضى معلم ذلك المدار وهي بين يكاه وآهل لا تنتك بطعم ولا شراب . حتى اذا
مالت الشمس نحو الاصليل سمعت خطوات مسرعة امام باب الغرفة ثم فتحق قليها ثم رأت
الباب قد فتح ودخل عامر وعلى وجهه ظواهر الدهشة ، فازداد اضطرابها وقالت
« خبر يا سمعت »

قال «ما سمعت الاخيراً وانت ما بالك في هنالك هل جاءك احد بخبر جديد»
قالت «كيف نسألني عن حالي وانت تعلم ان عبد الرحمن محبون فهل اضحك
والهب . هل علمت شيئاً من خبره وما سبب اغضاربك فل لي حالاً... قل ...»

قال «اما عبد الرحمن فند علمت انه حي في سجنه ولا خوف عليه الا ان واما سبب اضطراري فاني رأيت جواداً واقفنا بباب الدبر موسوماً بلحظه «عنة»^(١) فعلمته انه من خول الحكومة وخفت ان يكون قد جاءنا احد من رجال يزيد يريد بنا سوءاً لاني صرت احسب الشجار هذه الغوطة عيوناً علينا»

فقالت «لقد تعاملت بالصواب وانا ايضاً ارى رايتك فهل تواافقني على الخروج من هذا الدبر والاختفاء في مكان آخر»

قال «نعم ولكنني اخاف اذا خرجنا الساعة ان يكون صاحب ذلك الفرس يتصدّننا فليس بغير هيبة»

فذكرت سلي حديث شهر فقالت «وربما كان هذا الفرس اذاك الرجل الابرص»

قال «وما شأنك هل جاء الى هذا الدبر اليوم ...»

قالت «نعم جاء ونطأول الى ما يقصري بتوamide جميع عن نيله»

فتعجب عامر وقال «وماذا تمرين ... هل رأيتو وهل خاطبتك»

قالت «انه جاء بعد خروجك في هذا الصباح وجعل يستعطفني ويسترضيني . ولما لم يسمع غير الاعراض خرج مغضباً وتهددني بالوشية الى خابنيه وما زلت مذخرج وانا افكّر في حالنا وانفرادنا في هذه الدبار بعد افتتاح امرنا فلم از خيراً من الخروج سريعاً»

فصنق عامر يداً بيده وقال «تبأ لك يا شهر يا غادر ... اظنه لا يصرّ عن الوشية بنا الى الغد ... ألم يكن من الحكمة باسلئي ان ناطليه وتدافعيه ولو بالباطل ربما خرج من هذا المكان؟ ... وانت تعلمين ان قيادتنا في يديه وهو وحده العالم بحقيقة حالنا ... صبراً جيلاً ...»

فقطّعت سلي كلامه قائلة «لانهني يا عاصي لم استطع صبراً عن توبيخه ورده ولم اعد اريد الحياة بعد ما اصابها ...» قالت ذلك وخفتها العبرات فسكتت واغرقت عينها بالدموع

فندم عامر على ما بدا من لوبه اياماً وقال «اني لا الومك يا سلي وربما لو كنت انا في مكانك لم اقابلة بأخف من ذلك . على الي لا اخفي عنك امراً يشبه هذا

وقع لي بالامس مع ابن زياد ولم اطلعك عليه بعد »
قالت « وما ذاك »

فقص عليها خطبة ابن زياد لما الى ان قال : « ولما دافعته يومئذ خوفاً من غضبها ...
والآن لم يبق لنا الا الاستعداد . فقد بعث المجال والاحوال تحدث امتعتنا ولم يبق
لها مانحيله غير هنالثواب »

قال ذلك وأخذ في جمع الثياب وحزنها . ولم يكدد بفعل ذلك حتى سمع رئيس
الدبر يناديها باسمها . فاجعلت تحول الى الباب فتحت وتعلمت قرائى الرئيس واقفنا تحت
الصنفافة وامارات البشر على شعبها . فلما وقفت عينها على عامر اوصي بيها باصبعها ان
يأتياليها . ولم يكلله

الفصل الرابع والثلاثون

القول الفصل

فاستبشر عامر بوجه الرئيس وذهب عنه اضطرابه وانتازن على بالخروج الى
الرئيس واخبرها بانه يدعونا اليه وخرج على عجل . وقبل ان يصل اليه تحول الرئيس
 نحو السلم المؤدية الى السطح وهو يدعى ابو ان يبعثه فسار في اثره حتى صعد الى السطح
 وتحول الى غرفة الرئيس . فلما هنالك عيد الله بن زياد قاعداً على وسادة مثابة فوق
 البساط . فلم يقال لك عامر عن الانتباض او وجس خيبة من قدومه وتبين انه انا جاء
 خاطباً . ولكنكم تخلد وظاهر بالنشاشة والارتياب . فوقف له ابن زياد ورحب بـ
 واجلسه الى جانبه وجلس الرئيس على جانب البساط بقرب الباب

فلما استقر بهم الجلوس قال عامر « كيف اصبح . ولانا امير المؤمنين اليوم »
 قال « اصبح في خير وقد كلني ان احمل الهم بشري اظنهما نسركم وان كانت
 بالحقيقة لانسرني »

فسكت عامر ثم ادرك ان سكونه يهدى احتقاراً لانعام الخليفة فقال « انا جند امير
 المؤمنين ناصر باسمه »

قال «انت تعلم ما في نفسك من امر ابنتهك وما خاطبتك به بالامس . الا تذكر ذلك ؟ »

قال «بلى يا مولاي

قال «وفد كان في نهقي ان اعود اليك مرة أخرى فسبني امير المؤمنين . لان شاهد ابنتهك بطرق الالتفاق ووقعت من فهو موقعاً حسناً فأحب ان يسعدك بالمصاهرة على ان تكون ابنتهك من بعض نساي »

فوق ذلك الكلام في اذن عامر وقوع السهم في قلبه وتعلم لسانه وظهرت الحيرة على هبها فظل ساكتاً

فلم يخطر ببال ابن زياد ان عامراً يتردد في الجواب ولكن حسنه بعث لحصوله على نعمته لم يكن يتوقعها . فاعاد عبارته وتلقاً فقال « ولو لم يسبني امير المؤمنين الى ذلك لكت احسبي سعيداً بಚارتك . ولكن ام ال الخليفة فرض متبع فاعطتك بهذه النعمة التي يغيرها لك عليها كثيرون لما سئلته بهذه المصاهرة من اسباب السعادة »

فلم يزدد عامر بذلك الا يوضح الاً ارتقاً . وحدثته نفسه ان يعتذر بخطيبة سلي لشاب آخر ولكنه خاف ان يسألها عن ذلك الخطيب وهو لا يقدر على الفصح بامواله ولا انت ينقل احداً سواه لانه لا يعرف من يسلم اليه سرمه في تلك الديار . فلم يستطع غير البظاهر بالنشول واسداء التكر على هذه النعمة وربما يدرك حيلة للنرار فتزال وهو بمحاول الابتسام « اني اعد نشي اسعد الناس به الاممية . لان التقرب من امير المؤمنين شرف وسعادة . وما اباني الا جاريء من جواري . ولكنني أرغب الى مولاي ان يهلانا يوماً او يومين ربما تذهب لحمل الفتاة الى دار الخليفة . لاتها ستنقل هذا الخبر بالاندھاش وبعد هذه النعمة عن خاطرها لا سيما وقد أصبحت اليوم مخرفة المزاج »

فقال ابن زياد « لا اظن الخليفة الا راضياً بما تناوح اليه عروسة . وإذا استجأل في الامر فاما يكون استبعاله عن رغبة في سرعة استئصالها اليه فيرسل اليها من يقوم بخدمتها حتى تصل داره في امن وراحة »

فشككت عامر . ثم حمل ابنت زياد سكونه على الرضا . ثم نهض فهض الرئيس وعامر فودعها وخرج

الفصل الثامن والثلاثون

انقلاب غریب

قالت « ولماذا؟ وما الذي حدث؟ »

قال «أنا وقعدنا في مشكل اعظم ما كانا خفافه»

قالت « وما ذاك »

فقصَّ عالها حدِيث ابن زياد كَا وقْع . وَكَان يُكَلِّمُ وَهُوَ يَتَوَقَّعُ أَنْ يُرَى أَجْنَابُهَا فَإِذَا
هُيَ قَدْ ابْرَقَتْ أَسْرِيهَا إِلَيْشِرْقِ وَجْهَهَا وَزَالَ غَضْبُهَا وَلَمْ تَحْبَبْ
فَقَالَ « مَا رأَيْكَ يَا سَلْيَ الْأَلَّا تَرَهُنَّ أَنْ تَسْرُعَ فِي النَّزَارَ »
قَالَتْ « وَمَاذَا النَّزَارَ ؟ »

فاستغرب سفيان لما و قال « وما هذا السؤال ... لا تقر من هن المسوأ »

قالت « أنت أقربان بالخليفة هؤلاء » وضفت

فازداد استغراًياً ولكن حسها تزاح فتال لها « صدقـتـ ان الاقتران باللحانـاء سـعادـةـ !ـ هـيـاـ بـنـاـ تـحـيلـ اـمـعـنـتـناـ وـتـنـصـرـفـ قـبـلـ انـ تـدـاهـنـاـ تـلـكـ السـعادـةـ »

فالات «كيف نظر من سعادة يهتما كل انسان . الملك تجسيده أمنج ؟»

قال «لا اشك بذلك» نزحون

قالت « كلاماً أني إنما أقول الجد . وهي رأببني مزفوفة إلى الخلية نتفق هرلي من جلد ي »

قالت «إذا شئت الخروج فاخبر واما أنا فاني انتظر وفدى الخليفة لا يدرالي»

فقال «قات الملك دعينا من المجنون يراسلى فليس هذا وقته»

فقالت والجدة هادي على وجهها « قلت لك اني غير ماجنة ولا انول غير الجدة وأنا باقية هنا حتى يحصلوني الى دار الخلية وإذا سألك ذلك فاقر حرتنا ثنت فنال وقد مل من اصرارها على ذلك « اذا كنت تقولين الجد فا انا معك .. « ولاأ فما الذي تعليني ؟ »

فقالت « كن حيث شئت فاني اعني ما انول .. »

قال « انعدى ان نقللي بزيدا زوجا لك ؟ »

فقالت « لا نقل بزيدا بل قل أمير المؤمنين »

فانذهل عامر وظن نفسه في حلم وكان وهو يخاطبها قد مجمع الامم فلما سمع كلامها ترك ما كان فيه يه من الثياب ووقف واستد ظهره الى الماء وليث مهوتا لا يدري حرا كذا وهو يعجب ما سمعه من سلى وقال في نفسه « لقد صدق من قال ان النساء ضعيفات العنول . ان هذه الفتاة نسبت ابن عها بعد ان كانت تنتظره بالاستهلاك في حبو ورضيت رجلا كان السبب في النسخ عليه ورها بقطلة .. الله اله يا عبد الرحمن » ثم نظر الى سلى وتأمل في حملها فاذا هي جالسة لا تعبا بغضي فنال لها « يا سلى »

فقالت « نعم »

قال « أأنت بنت هجر بن عدي »

فقالت « لا أدرى »

قال « ألم تكن بالامس تبكي والدك نخت تلك الجبيرة » ألم تتعاهد على الاخذ بثأره « هل نسيت موقف عبد الرحمن والخنجر يه ؟ أنسيد قول الماين ؟ أنسيد عبد الرحمن ابن عك وخطيبك ؟ .. نسيت لانا وقع في ضيق ويشت من حماو ؟ وطممت بالذرب من الخلبة ابن قائل ايوك .. اعوذ بالله ما الذي أرأه ؟ أفي حلم انا ام في يقظة ؟ .. »

فقالت بصوت هادى لا يكدره اضطراب وهي مطرفة « لا بل أنت في يقظة »



الفصل التاسع والثلاثون

— الحيرة —

فلا يسمع هذا الاصرار تصاعد الدم الى رأسه وتصور فشلة مع ماعاينه من الانقلاب . فتباير الدمع من عينيه وهو يحذر ان تلاحظ سلي ذلك فيه فتنية الىضعف . فخوّل وخرج من القرفة وهو لا يدرى ماذا يفعل ولا الى اين يذهب . ولم يصل الى الصناعة حتى لقى الرئيس . فلم ياتيه عامر حتى خاطبه الرئيس وسألة عما كان من خاطر سلي . فلم يدر ياماً يجيءه ثلثاً يدرك كدره فاستطلع شيئاً من سره فنهر في امره وخفاف افتتاح سره فقبل وحاول الابسام غصباً وقال « لا ريب في اتها ترتاح الى هن العادة » قال ذلك وتناظرها امر طرأ على ذهنه بدعوه الى سرعة الرجوع . فاسأله ذئنة وعاد حتى أتى بباب القرفة وهو لا يائمه فاراد الفحول عنه فوقفت عيناه على سلي فادا هي مشغولة في شيء تناول دسته في جيدها ولما رأت عامراً يادرت الى الباب فاغلقته في وجهه ثم اوصدته

فلم يرأى تسترها منه الى هذا المهد داخله ربيب من امرها ولبس واقفاً بالباب وهو لا يفهم سر هذه الفلوادر الغريبة . فلم تطاوعه نفسه على طرق الباب لكنه احب العزلة برقة لعله اذا خلا ينتفو يكتشف له سبب من الاسباب . فانقلب راجحاً حتى خرج من باب الدبر ومشي في المعنان حتى تجاوزه وهو غارق في بحار المواجه لا يدرى الى اين تسير بقدماء

وما شعر الا وهو على متره من الجمدة ولما وقع بصور على قبر حجر اخنج قالية في صدره لندكه ليتهم على ذلك التبر . فناقت نفسه الى البكاء فوق ترابه لعل هاتشأ يبيشه بحقيقة ما يبدوا له من الغرائب . وفيها هو يذكر في ذلك خطط جالو الشيخ الناسك فقال في ندو « يا لبني القاء واستطلاعه سر هذا الامر ولاشك في انه يندرج هي » ولم يكدر يذكر في ذلك حتى رأى شيوخاً خارجاً من وراء الجمدة وهو يتبّع على جذعها كأنه يحاول الصعود اليها . فاراد عامر ان ينادي فسيدة بصرى الى اعلى الجمدة فرأى شجاعاً متكتعاً على بعض اغصانها فتنارس فيو فادا هو الشيخ الناسك بعيونه . فاجمل عامر وعجب لمقام ذلك الرجل هناك ونذكر ما ظهر منه من الغرائب السابقة ولكن ارتاح لذلك الصدفة لانه اتى

بـه في ذلك المكان . وفـيل ان هـم يخاطـبـيـهـ رـآهـ يـقـرـئـكـ فـارـبـصـ لـيرـىـ ماـ يـبـدوـ مـنـهـ
فـاـذـاـ هوـ يـخـدـرـ نـازـلـاـ بـاـهـلـ ماـ يـكـونـ . فـظـلـ عـامـرـ وـاقـفـاـ حـقـ وـصـلـ النـاسـكـ إـلـىـ الـأـرـضـ
وـالـكـلـبـ بـحـوـمـ حـوـلـةـ وـبـشـ عـلـىـ بـدـءـ وـرـجـلـيـهـ كـانـهـ يـرـحـبـ بـهـ
وـكـانـ النـاسـكـ قـبـلـ انـ يـصـلـ إـلـىـ الـأـرـضـ قـدـ اـرـسـلـ شـعـرـ نـاصـيـهـ عـلـىـ جـيـبـهـ وـعـادـيـهـ فـغـطـيـ
ماـ يـقـيـ منـ صـحـيـ خـالـيـاـ مـنـ الشـعـرـ إـلـاـ رـأـسـ اـنـثـوـ وـصـاحـ فـيـوـ فـانـلـاـ » لـنـدـ قـضـيـ الـأـمـرـ بـاـعـمـرـ
وـلـكـنـ لـاـ تـجـرـعـ فـاهـمـ لـنـ يـقـتـلـهـ عـلـىـ عـجـلـ « فـارـعـدـتـ فـرـائـصـ عـامـرـ وـافـشـرـ بـدـنـهـ وـهـ يـدـ
الـشـيـخـ لـيـقـبـلـاـ فـامـسـكـ الشـيـخـ بـنـ يـتـ وـكـلـاـهـ تـرـهـشـانـ وـقـالـ « نـجـلـ بـاـ عـامـرـ وـكـنـ
رـجـلـاـ »

فـامـسـكـ عـامـرـ اـرـتـمـادـهـ وـارـتـاحـتـ نـسـهـ إـلـىـ مـكـانـقـيـوـ بـجـالـ سـلـيـ فـيـالـ « اـنـ لـاـ اـجـزـعـ
عـلـىـ عـدـ الرـحـنـ وـلـكـنـ خـائـفـ عـلـىـ سـلـيـ »
قـالـ « وـمـاـ الـذـيـ يـقـبـلـ عـلـيـهاـ »

قـالـ « لـنـدـ طـلـهاـ يـرـيدـ لـتـكـونـ زـوـجـاـ لـهـ قـبـلـتـ بـالـرـغـمـ عـنـ »
فـارـخـيـ الشـيـخـ بـنـ يـقـافتـ يـدـ عـامـرـ مـنـهـ وـلـيـتـ كـلـاـهـ صـامـيـنـ بـرـهـ وـعـامـرـ يـنـظـرـ مـاـ
يـدـوـنـ كـرـامـاتـ الشـيـخـ وـقـلـيـهـ يـخـفـقـ فـاـذـاـ بـالـشـيـخـ قـدـ جـلـسـ وـاـسـتـظـلـ بـهـ إـلـىـ الـجـيـزةـ وـهـ
يـحـكـ رـأـسـ بـاـطـرـافـ إـلـاـزـيـهـ كـانـهـ يـنـكـرـ فـيـ اـمـرـ ثـمـ قـالـ « وـأـيـ يـأـسـ عـلـيـهاـ مـنـ ذـلـكـ
الـتـبـولـ »

قـالـ عـامـرـ « أـلـاـ تـرـىـ يـأـسـ عـلـيـهاـ يـاسـيـدـيـ ؟ وـهـبـ اـنـهـ لـاـ بـأـسـ عـلـيـهاـ فـكـيفـ تـقـبـلـ هـيـ
هـنـاـ الـأـمـرـ »

فـخـلـكـ الشـيـخـ حـتـيـ دـفـتـ نـوـاجـهـ وـقـالـ « لـاـ بـدـ هـاـ مـنـ خـيـرـ تـرـجـونـ بـذـلـكـ فـلـاـ تـجـرـهـاـ
فـتـعـجـبـ عـامـرـ وـقـالـ « هـبـ اـنـهـ تـرـجـوـ خـيـرـاـ وـلـكـنـ كـيـفـ يـطـلـوـعـهـ قـلـمـاـ عـلـىـ ذـلـكـ ؟ كـيـفـ
تـخـونـ خـطـاـيـهـ وـابـنـ عـهـاـ وـتـرـضـيـ بـذـلـكـ الـأـمـوـيـ بـلـاـ مـهـ ؟ »

فـقـالـ الشـيـخـ « تـأـدـبـ يـاـ عـامـرـ اـنـ اـبـدـهـ حـيـرـ بـنـ عـدـيـ لـاـ تـخـونـ وـهـيـ لـمـ تـأـتـ الشـامـ
وـلـكـدـ مـشـاقـ الـسـنـارـ وـتـخـيلـ خـطـرـ هـذـاـ المـقـامـ لـخـونـ قـلـمـاـ وـنـفـدـرـ بـاـنـ عـهـاـ »
قـالـ عـامـرـ « وـلـكـهـ قـدـ فـعـلـتـ يـاـ مـوـلـايـ وـهـاـ اـنـهـ مـسـتـعـدـ لـلـذـهـابـ إـلـىـ يـرـيدـ »
قـالـ « دـعـهـ تـذـهـبـ وـاظـمـ هـاـ رـضـاءـكـ بـذـهـاـهـاـ وـاـنـظـرـ مـاـ يـبـدوـ مـنـهـ »

الفصل الرابعون

— عودي الى سلي —

فانذهل امير تلك المغيبات ولم يرد الانساح في الاستئام لثلاً إنقضى الناسك . ولكنها استحسن رأيه في مسairتها المستقلع ما يكتنف ضيرها وظاهر برغبته في الانصراف اليها فابتدأه الشيخ قائلاً « اذهب اليها على عمل »

فهض عاصم وتحول وهو يتعثر باذالله انحرط انذهاله من غرائب ما مرّ به في ذلك اليوم حتى اتى الغرفة . فرأى الياب لا يزال موصدًا فطرفة . وصبر قلم بيضة احد فانج في قرعر وفتحته سلي وتحولت الى حصير جلست عليه وهي مطرفة . فدخل عاصم واقفل الياب وراءه ونظر في وجه سلي فرأى الكآبة بادبة عاليه وكأنها كانت تبكي فقال لها « الملك لا تزالون على عزملك يا بنتي »

ف وأشارت برأسمها أن « نعم »

قال « لند فكرت في امرك بعد خروجي من عندك فرأيت رأيك مصيبةً لأننا لا نستطيع الترار الآن وعلينا الارصاد والعيون من كل ناحية . وزد على ذلك ان نقرّ بنا من الخليفة سعادة كبيرة رها عادت علينا بالخير »

فرفعت بصرها اليه وتترّست في وجهه هيبة ثم قالت « يظهر انك تrepid الذهاب معي »

قال « وكيف لا »

قالت « لا .. لا تذهب معي .. »

قال « كيف لا اذهب معك والى اين اذهب ؟ »

قالت « لا ادرى الى اين تذهب ولكنني لا اريد ان يذهب مع احد »

قال « كيف يا مولاي .. اذا كنت تهدىت اقتراحك بالخليفة سعاده فلماذا تريدين حرماني منها . وأرجو اذا صرت انت زوج امير المؤمنين ان تساعدني على اخلاقي سراح عد الرحمن لانك ستسلطين على قلب الخليفة . ولا اخلة اذا طلبت اطلاق سراح ابن عمه الا فاعلاً ما تريدين . وربما توصلنا بوسائلك الى مناصب رفيعة »

قال ذلك وهو يرافق ما يدومها وعيناه شاخصتان اليها

أما سلي فلما سمعت كلامه خضعت ببهرها اليه وهي تشكي في صدق مزاده، ثم قالت «أصحح ما تقوله يا عياد.. هل رأيت أن نطاوعني في الذهاب الى الخليفة.. أقسم بعدد الرحمن انك تعمم لي بذلك»

قال «نعم يا سلي انه صحيح لا ريب فيه واقسم لك يوم

قالت «فاطمعي اذاً ودعني اذهب وحدي»

قال « ولماذا ذلك ... اني لا اعجب من أمرك . أ كلما جار بناك في غربه أتيتنا
بغربيه اخرى . ان السر في تعلقك عن ذهابي معك اغرب من السر في قبولك بالذهاب .
ما هذا يا سلى ؟ » قال ذلك والاسفراط باذر في عينيه . ولكنه لم يكن يتم قوله حتى
رأى سعدة سلي تدخل من الباب الى الغضب فنقطب حاجباما وتوقدت عيناهما وقد
زادها الاصرار حنقاً وتعاظمت هيئتها حتى لم يعد عامر يستطع النظر اليها وخلفها
وراء ذلك . أما هي فوقت بغية وقوف الاسد وتحمّلت حر كاها الى المخنة والشنة كأنها
من اقوى الرجال وقالت « أظلكي ذاهبة للاقتران يزيد ؟ »

قال « ولماذا اذًا »

فدت يدها الى جيئها واستنارت خجراً كانت قد خربته هناك وقالت «الي ذاهبة لاقفلة بعد هذا الخضر»

فاجنل عامر وغلب عليه الاستغراب لما ظهر من شجاعة سلي وقال «كيف تتعالى ذلك يا سلي ... كيف تعاليين في ان ارضي معك بذلك ونحن لا نزال نشكو من هبور عبد الرحمن لانه ساقه الى خطر القتل فتصوّرين تنسك الى هبور ابلغ منه؟»

الفصل الخامس والأربعون

الفصل الأول

فقالت وقد هاجت عيالها «أعلم ان عبد الرحمن هناك تحت خمار القتل وتعني
من الذهاب اليه؟ .. ونلوي لرغبي في المغامرة .. فاذا لم ابادر اليه فاذا افعل؟
أيدعوننا بزيد ان نسير اليه ونلقي رقبته بالقرب من سجنه ولارض؟ نعم اني عدلت عمل
عبد الرحمن هموماً لانه لم يكن يرجو الافرار من بزيد وحوله الخدم والاعوان .. ولكن

فلا سمعت قواً^١ امسكت نفسها وتجاذبت وحاولت السكينة وقالت « حاشاي يا عاهه
ان اظن بك الجبن ولكن لا فائدة من ذهابك ... » وَدَنْهُ كانت فهم^٢ بان نتول
شيئاً^٣ وامسكت نفسها

فابادرها قائلاً «كيف لا يكون في ذهني فائدة .. فهل الثالثة اذا بقائي هنا ؟»
قالت «نعم يا سيد ارعى سمعك .. ونصر في قوله .. اذا ذهبت انت معى كما
جيمعاً تحت خمار الاسر والقتل .. فاذا لم افز انا بقتل بزيد وحكم علي بالموت يحكم عليك
انت ايضاً بذلو .. فمن يسعى بعد ذلك في انقاذ عبدالرحمن .. واما اذا كنت انت خارجاً
وقد رعل بالموت ظللت انت مطلوق السراح فتسعي في انقاذ حبيبي عبدالرحمن .. واما
انكست من ذلك ولقيته حيو عني وقل له .. ان سلى فضل الموت في سبيل حبك على البقاء
بعدك واما بقيت انت حياً فان عظامها انهال في اعماق التبر» .. قالت ذلك وختتها
الميرات وغلب عليها الميام فخلست وقد خارت قواها ووقع المخجر من يدها .. فانهيت
لنفسها فاسترجعت رشدها والتقطلت المخجر من الارض وقرابة من ثلثة فقبيلاته وهي تقول
بصوت مختلف «ان فلك آمالٍ وعليك متکلي فاما ان ت Freed في احساء بزيد او في احسانى
.. وباحبذا هذا اذا كان فيو نجاة مالك فوادى .. ثم انحدرت المخجر وارجعته
إلى جيئها وجلست وقد تكسرت اهدابها من فرط البكاء وهذا تقدان شجاعة وشأنها

الفصل الثاني والأربعون

﴿ الوصية ﴾

فَلَا عَابِنْ عَامِرِهَا ذَلِكَ تَصَاعُفُ الْجَاهَةِ بِشَهَامِهَا وَلَكِنَّهُ ازْدَادَ حِزْرَةً وَلَمْ يَعْدْ يَعْلَمْ بِمَا ذَيَّدَ عَنْهَا فَاطِرَقَ وَأَعْلَمَ فَكِرَتْهُ فَلَمْ يَرْمَدْهُ عَنْ أَجَابِهَا وَلَا نَصُورَ مَنْدَارَهَا بِتَهْدِدِهَا مِنَ الْخَطَرِ هَذَا تَحْقِيقُ أَنَّهَا مَلْقِيَّةُ بَنَسْهَا إِلَى الْهَلْكَةِ وَهُوَ مَعْ ذَلِكَ لَا يَرْجُوا إِقْدَادَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَقَالَ لَهَا « وَمَا قَوْلُكَ إِذَا حَكِمَ النَّضَاءُ بِنَتْكَ وَقَدْ عَبْدُ الرَّحْمَنَ حَلَّ مِنْ فَانِيَّةِ بِهَقَائِيَّةِ » قَالَتْ « أَوْصِبِكَ إِذَا حَكِمَ النَّضَاءُ بِذَلِكَ أَنْ تَقْضِيَ بِنَيَّةَ حَيَاكَ فَوْقَ فَرِيقِ الدِّيَّ تَبْكِيَّهُ عَنِّي وَعَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِذَا مَلَكْتَ رَشِدَكَ فَإِذْهَبْ إِلَى الْإِمَامِ الْحَسَنِ سَيِّدِ شَابِ الْمُسْلِمِينَ وَجَاهَدْ مَعَهُ فِي سَبِيلِ نَصْرَةِ الْحَقِّ لَعْلَ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِالنَّرْجَ بَعْدَنَا »

فَلَمْ يَرَ عَامِرَ بَدَأَ مِنَ السُّكُوتِ بِالرَّغْمِ عَنِّي وَقَالَ « لَنَدْ غَلَبَتِيْ بِا سَلَى بِشَهَامِكَ وَسَدَدَتْ عَلَيِّ السَّبِيلَ بِجَهَنَّمِكَ فَهَا إِنِّي فَاعِلُ مَا تَأْمُرِينِ وَلَهُ حَسِيْ وَنَمُوكِيلُ » فَلَا سَمِعْتُ قَوْلَهُ قَالَتْ « وَلَكِنْ أَحْذَرْ يَا هَاهَ أَنْ تَنْقِي فِي هَذَا الدَّيرَلَاهِمَ إِذَا عَرَفُوا مِنْ أَنَا لَا آمِنَ أَنْ يَبْعَثَ يَزِيدَ إِلَيْكَ بِجَهَدِ يَنْفِضُونَ عَلَيْكَ عَلَى حِينِ غَنَّةِ » قَالَ « لَنَدْ أَصَبَتْ وَلَا فَانِيَّةَ مِنْ بِهَقَائِيَّةِ هَنَا وَأَنْتِ فِي قَصْرِ الْخَلِيلِ وَلَكِنِي سَأَنْكِرُ وَادْخُلْ دَمْشَقَ لَا تَنْسِمُ الْأَخْبَارَ وَأَوْصِبِكَ أَنْ تَدْبِرِيْ إِمْرَكَ بِالثَّانِيَّةِ وَالْمُجْلِيَّةِ عَسِيْ أَنْ يُوقِنَكَ اللَّهُ إِلَى مَا فِيهِ الْخَيْرِ »

قَالَتْ « لِيَطْمِئِنَ بِالْكَ عَلَيِّ وَلَا تَعْبَأْ بِا تَرَاهُ فِيَ الْآَنَ مِنْ ظَواهِرِ الْمُحَدَّثَةِ وَنَذَرَكَ كَفَ رَأَيْتِي لَا أَتَيْتِي بِمَخْبِرِ يَزِيدِ الْمَتَرَ فِيَ دَهَاءِ؟ »

قَالَ « أَنِي وَلَهُ مَحِبْ بَشَاتِ جَاشِكَ بِا سَلَى وَلَكِنِي أَخَافُ عَلَيْكَ » قَالَ ذَلِكَ وَشَرِقَ بِدَمْعَوْعِ

قَالَتْ « كُنْ ثَانِيَّاً مَثْلِي عَلَى الْأَقْلَى وَإِنَّا فَنَاهَ وَإِنْتَ كَهُولُ عَرْكَةِ الدَّهْرِ وَلَا يَخْنُ عَلَيْكَ إِنَّا بِهَذَا الْعَلَمِ كَبِيرٌ إِذَا فَرَزْنَا فِيهِ كَانَ خَيْرًا وَسَعَادَةً لِسَاحِرِ الْمُسْلِمِينَ . أَفَلَا يَلْيُقُ بِنَا إِنْ تَرْضَ اَنْتَسْنَا لَخَطَرَ مِثْلَ هَذَا لِلْحُصُولِ عَلَيْهِ »

فَجَنَّا عَامِرُ عَلَى رَكْبَيِّهِ وَرَفَعَ يَدَهُ وَنَظَرَ إِلَى فَوْقَ وَقَالَ « أَنِي أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهُمَّ وَدِبْعَةً أَوْ دِعَيْهَا عَبْدُكَ جَعْرَ بْنَ عَدِيِّ شَهِيدَ الْحَقِّ وَنَصِيرَ صَاحِبِ الْحَقِّ فَلَا تَقْعُنِي بِهَا إِنَّكَ فَاصِحٌ

الذلوب وعالمها وراه حجب الغيب »

ثم نهض وهضت سلي وقد مكن روعها هنئها على اثر تلك المزوة لكن عامراً عاد الى النفق حالاً وأما سلي فانها ارتاحت لاماً لها امر الذهاب وحدها وهي شعري بها عوّات عليه من الاستهلاك في سيل الحب الصادق ونصرة الحق التويم وكانت الشفاعة قد توارت وراء الافق وهم الليل بارسال النقاب . وأخذ التعب من سلي وعد الرحمن ما أخذها عظيماً لما مرّ بها من الاحوال في اثناء ذلك الممار فبيانا تلك الاوية ولم يناما وقلقاً سائد عليها واستيقظ عامر قبل الفجر وسلى لازوال في الرعاش فقلباً نائمة فانسل حتى خرج من الغرفة وهو يد الخلوة يستشير ربه في ما يرجوه من ذهاب سلي الى دار الخلية او يخافه من عواقب هجرها

قصد الى السطح صعوداً بطيئاً لثلاً يشعر بالرئيس حتى احال على الغوطة وقد طارت عنها الاطياف وهي بين تغير بد وزفرقة وبداعية لا يشغلاها شاغل عن التمعن بما خلقت له . فاقبقي فكأن الى ما هو فيه فقال في نفوسه « هيئاً هذه الحالات الخفية في لا أخاها الأسعد حالاً من بني الانسان وإذا فاخرناها بما نعتقد في انفسنا من السلطان عليها وما نرجوه من ثواب او نتوعد من نعيم فالحقيقة في الواقع . فهي أسعد حالاً منها ولا يظهر من سائر احوالها انها هم بمحبب ولا تخاف من رقوب وما ادرانا انها لا ترجو شيئاً مثلنا » واعتراض او هامة معاه المأعر في التربية وخطار الابaran فقال ولا اخال هذه اتعس حالاً من اسيادها بني الانسان وتخمن ماذا خدمها بما في وسعنا القاسى لسعادةنا والسعادة تبعد عنا لما يقف في سهلها من عقبيات الطبع والشرع ما لا نعرف له حدّاً تخف عنده

الفصل الثالث والاربعون

— فشل شهر —

ولم تتعال احلامه في عالم الخيال لما قام في نفوسه من الاتهام الشديد بسلى وذهابها الى يزيد . فلما عاد الى هذه المؤاجس اقشعر بدنها لما يخافه عليها هناك . ولكنك لا يدري ما يفعل وقد نزدت حجلة في استيقاعها فلم ير غير التسلیم الى العناية وعزّى نفسه بما سمعه

تحت الجبيرة من قول المأتف « وبشر الذين ظلموا بعذاب أليم » فارتاح بالله فهو
ذئنه الى عبد الرحمن وخاف ان يستعمل يزيد في قتل وذهب سعده هباءً مثوراً
فاستغرق في هذه التخيلات حينما و ما اتبه حتى وقعت أشعة الشمس على عينيه وهو
ينظر الى مشرقه على غير انتباه خاف ان تستيقظ سلي ولا تراه في الغرفة فخضطرب ، فشي
نحو السلم فاذا بباب عليه الرئيس قد فتح وخرج الرئيس وقد تزمل بعباء تو فاستقبله
عامر بالخيبة فرد السلام عليه وقال « اراك مبكراً على المصطح »

قال « خرجت استنشق نسيمات السحر »

قال « ظننتك رأيت رسول الخليفة . ألم تره ؟ »

فاختلاج قلب عامر عدد ساعي اسم الخليفة وقال « لا لم اره ابن هو »

قال « جاء مساوا الامس واثم نیام فیات عندنا على ان يقابلک في هذا الصباح »

قال « وابن هو يا سیدي »

فنادى الرئيس بعض الرهبان وامر ان يدعو الرسول

ولم يمض برهة حتى رأى الرجل صاعداً وحالما وقع نظره عليه عرف من برسو انه

شهر بن ذي الجوش فاستعاد بالله من شره وعلم انه قادم خطيبتو بشأن سلي لنسوة

اما شهر فاستقبل عامراً بأسماً وقال له « هل تأذن لي بخلوة قصيرة »

قال « تنضل » ومشي بو الى جانب من جوانب السماح منفرد وقبل ان يصل

الى المكان قال شهر « اظنك ادركت سبب عيوبني يا عامر »

فرأى عامر ان يبغى بغير الخليفة وخطيبتو سلي لكي لا يترك له مجالاً فقال « العلك

قادم من قبل الخليفة لحمل خطيبتو اليه »

فلم يسمع شهر ذلك يفت واستوقف عامراً بيده وقال له « واي خطيبة »

قال « سلي »

قال « هل خطيبها الخليفة »

قال « هكذا يتولون ونحن ننتظر وفداً من عن اليوم »

فيبرت الرجل وظل صامتاً برهة ثم قال « قد خرجت سلي من يدي اذا ... »

خاف عامر اذا جافاه ان يشي سلي او ينوي بها شرعاً وظن مجامعته تدفع ذلك

الشرع فقال « لا ادري اذا كانت خرجت او لم تخرج ولكنني اعلم ان مولانا امير المؤمنين يبعث يقطنها لنعمه ومع ذلك فالمستقبل في علم الله »

قال « واي مستقبل ترجو ؟ الخاولني ياعامر ؟ ولكن ذلك كله من عداد تلك الفتاة الجاهلة . . . ألم تخبرك بما لاقتي به من الجناه بالامس ؟ اظهاها كانت طالعة بالخلية ؟ » قال ذلك وضحك ضحكة اغتصابية ثم قال « فلمنها بالخلية في وخطيبها الاول اذا كان لا يزال في قيد الحياة »

فارتعدت فرائص عامر وقال هل تعرف شيئاً عن عبد الرحمن وابن هو « قال لا اعلم ما جرى له حق الان ولكنني اخبرك ان عداد سلى سير الوحال عليها وعليه . افظن الخلية اذا عرفت علاقتها بموسيقيها او يسبقها ؟ فلمنها ابنة سحر بما شوقيه من رفض شعر » قال ذلك وتحول مسرعاً وهو يتعذر باذياه لشدة ضرعيه حتى تزل السلم وخرج فركب جواده وسار عامر لا يزال وافداً وقد جمد الدم في عروقه وهو لا يدرى ما يتعل

الفصل الرابع والأربعون

— الوداع الاخير —

ثم تحول يريد التزول الى سلى فادا بفارس اقبل على الدبر ودخل يطلب الرئيس فجاءه خطاطبة تحول الرئيس الى عامر وقال له « ابشرك بوفد قادم تحمل العروس الى عربها فاخبرها لتأهّب » فهرول عامر حتى دخل الغرفة وهو لا يدرى ما يتناول لها وكانت هي قد نهضت ولبس ثيابها وتاهبت للسفر

فقال لها « الا تزالين يا سلى على عزتك » قالت « قد عزمت واتكلت على الله » قال لها « الا تترجمين نفسك ؟ الا تذكري ان في دار الخلية انساناً يعرفون من انت وما علاقتك بعد الرحمن ؟ انظري اذا عرف الخلية حقيقة حالت بيقي عليك » قالت ان الذي يشاهد الموت امام عينيه ويسعى اليه باخباره لا يخفى مثل هذه العواقب . انظري اجهل ان شهر اللعن يترقب فرصة للارتفاع في وانه حالماً يعرف بوجودي في دار الخلية يطأطعه على سري ولكن . . .

فطلع عامر كلامها قائلًا « وما قولك اذا كان قد عرف ذلك قبل خروجك من هذا الدبر »

قالت « لا ابالي عرف ام لم يعرف فإذا تركت له فرصة فليفعل ما يشاء . دعني الان من بياعت التردد فقد عولت والسلام . فهل سمعت شيئاً عن وفد الخليفة ؟ »

قال « علمت الساعة انهم قادمون لحبلك فإذا رأوا في هنا ولم اذهب معهم يرباون في امرنا وارى ان اخرج بمحنة . واذا جاءوا قولي لهم اني ذهبت في حاجة وسأفيكم الى دار الخليفة » قال ذلك وبهت ثم التفت الى سلي وقال « ها انت ذاهبة تحت خطر هو اشد ما خذلناه على عبد الرحمن يوم خروجه لقتل بزيد فكيف ارضي بهذا الذهاب ؟ .. لا لا ادعك تذهبين وحدك »

قالت « لئن قضي الامر ياعاه تعال ودعني على يجلدك واحظ وصيبي لك فاذا لقيت عبد الرحمن وكنت انا قد قضيت فداءه عنه فبلغه الوصية » قالت ذلك وشرقت بدمعها ولكنها ظلت على تمجادها وحاولت الكتم وهي تشاغل باصلاح خمارها اما هو فلم يعد يبالك عن البكاء لاعقاده انه لن يرى سلي بعد ذلك الزراق ولكنه لم يشأ ان يذكرها فقال لها « سوري بحراسة الله وارفق بنسنك فاذا رأيت سيلان للجاجة غير القتل فاقعلي »

قالت « سأرى ما يكون » واحتت على يده لتقبيلها فضمها الى صدره والدموع تناثر من عينيه بالرغم عنده وقال « سلي على عبد الرحمن ولا اكلنك انهاذ المخبر عنك وعنه فاني ساسن طلع كل شيء يبني في قلب على مخبات الاحوال في حبهما ولكنني اوصيك ان ترافق بنسنك ما استطعت »

قالت « لا تخف يا عماه وانت تعلم الذي بنت حجر بن عدي وهذا يكفي » قالت ذلك وقد استرجعت قويها واستوقفت عواطفها

وفيها في ذلك سعا ضعيجاً في باحة الدبر فقال عامر « ان الوفد قد وصل وسأخرج خلسة ولا ينفعه لي احد فاعذرني عنني كما اوصيتك . استودعك الله » قال ذلك وتزمل بعياده وخرج بعده وانسل من مكان سري واختلط بالجميع ولم ياتيه له احد حتى خرج من الدبر وقلبة يقطر دمها

اما الوفد فكان قد وصل الدبر وفي مقدمته عبد الله بن زياد وقد اعدوا هودجاً مولاً بالاطالس . وتقىد ابن زياد تى الى الرئيس وطلب مقابله عامر فنزل الرئيس

ينفسو الى غرفة سلي فاسبقها بمجاش ثابت واعتذر بعياب عامر وانه سوا قفهم الى دمشق . فعاد الرئيس بالخبر فلم يعبأ ابن زياد بذلك ولكنه طلب ان يتقابل سلي . فأخذته الرئيس اليها فنابلة والنواب على رأسها واخبرته بعياب والدها
 فقال « هل اذك ممتعة للذهب الى الخليفة »
 قالت « نعم »

الفصل الخامس والرابعون

الموكب

خرجوا بها حتى اركبواها في المودج ومشت الفرسان حوطا بالرماح والحراب في موكب حافل حتى وصلوا بباب المدينة . وكانت سلي تنظر الى تلك المدينة من خلال التسور فلما اطلت على ياهما انبهرت بما رأت ففيها من ازدحام الاقدام وما هنالك من الا بهيمة الرومانية المائلة وخصوصاً باب المدينة الكبير وافقاسة الشفاعة . فدخل الموكب في القوس الوسطى وسار في شارع طوبل تحت يو الاعنة الرخامية من الجاندين . واستهلت انتباها بنوع خاص قرقعة حواري الخيل على البلاط في ذلك الشارع الطويل . على ان تلك الضوضاء لم تشغلها عن هواجسها الا ببرهة ببرة . وبعد قليل وقف الموكب امام باب كبير جانبه من الرخام المتفوش وعلى عدوه العلما رسم النسر الروماني وبالباب من خشب الابنوس مصنوع بالخاس بعض التصنيع . وعليه نقش جبلة وكانت نسخ عن امثال هذا الرسم من عها وتعرف ان النسر شارة الروم . فاستغرقت اقامة الخليفة في بيت من بيوت الروم

ولم يكدر يلفت بها المودج هناك حتى ترجل ابن زياد ودنا من المودج وقال لها من وراء الستار « اتنا بباب الخليفة فائز لي يا سيدتي » فازلت حتى دخلت الباب فرأيت على جوانبي المحرس من جند الخليفة وفي ايديهم الحراب . فثبتت ابن زياد دليلاً في باحة كبيرة مرصدة بالنسين كما تقلل المغارس الرياحون واحواض الرخام تتدفق عن جوانبها المياه . فسارت في احدى طرق المدينة وابن زياد يقتدمها وسيئة بصر وراء وهو يختظر مجيئاً

بها ملكيه من ابهة الروم فتأتى مقدم واسان حاله يتول « ابن ما تعرفه من سناجه ابهة الكوفة وهذه الابهية المزخرفة »

وبعد قليل انهت الى باب آخر اصغر من ذاك يصعدون الى درجات قليلة من الرخام المصقول تكتنفه عمد من الرخام فوقها قبة متشاء بالذهب وعليها الروم بالالوان البدعة . ورأت يدها رسوماً تشبه ما في كناس النصارى فلم تستغرب ذلك لما تعلمت من ان هنا القصر لازوال في ما كان فهو على عهد ولاة الروم . فدخل عيادة امامها تحت الثبة فتبعته فاشترفت على باحة واسعة مكشوفة مسورة بالمدان المزخرفة بالذوق وبعضها منزل فيو الذهب وعلى دوازها مقاصير . وارض الباحة مرصدة كلها بالقصب النساء الدقيقة على اشكال تشبه رسوم الشجر والخيوانات وغيرها . وفي وسط الباحة حوض (فسنية) من الرخام الجزع يصاعد الماء من انبوب في وسط طرفة يشبه رأس الاسد . وفي صدر الباحة باب مرتق عليه ستار وامامة انجاب . فعملت انه مدخل مجلس الخليفة . وتجعلت ذلك ما رأته الى بين الباب من جماهر الناس وفيهم الشعراء والرواة واصحاب الحاجات من يقفون بباب الخليفة لقضاء حوائجهم . وكانت الباحة مكشوفة من الوسط فقط يكتنفها رواق قائم على اعمدة مزخرفة . وستف الرواق بعضه متقوش بالخمر هل اشكال الاذعار والامثار والاذرع والبعض الآخر مزين برسوم ملونة ومذهبة . فهربها تلك المناظر لانها لم تكن رأت منها من قبل

ولما اطبل ابن زياد على تلك الباحة هي بعض الذين كانوا هناك من الشعراء . وذوي الحاجات بالقدوم اليه خاطبتوه في شؤونهم . فلما رأى اسلئ معه نفاعساً طازداً وراء الاعنة وعلق ابن زياد نحو المسار بين الاعنة فتبعته سلي حق وصلاً باباً بديع القش عليه ستر من الحرير المزركن بالذهب برسوم جميلة وفي جلتها كتابة باليونانية فازداد انتشارها لاستبقاء المسلمين تلك الآثار الى ذلك الحين مع ما وصل اليه سلطانهم من السعة والتفوذ . ولو علمت معنى تلك الكتابة لكان استغراها اعظم كثيراً لانها كلمات بها لفت منها عيارة الاستهلال بالصلة عبد النصارى وترجمتها « باسم الآب والابن والروح القدس » والسبب في ذلك ان السطور وأمثالها من طرز الملك كانت قبل الاسلام نصيحة في مصر وسكنها من النصارى وفيهم النبط والروم فكانوا يطرزونها بالرومية واكثر ما يرسمونها عليها تلك الآية . وكان الروم في الشام وغيرها يهتفون تلك السنور ونحوها من مصر فيعلوونها على ابواب ونوافذ المزينة والبرك . فلما ظهر

الاسلام وفتح المسلمين مصر والشام استعراوا تلك الزيمة من الروم ولم ينتهي الى مخوى ما عليها من الكتبة وفي جلتهم الامويون في دمشق . وما زال ذلك دأبهم الى يومنا هذا عبد الملك بن مروان (سنة ٦٥ هـ الى ٨٦ هـ) وهو اول من اتبه اليه والى ما كان يضرب على النقود وما كان يطرز على القراطيس وهي البرد التي تحمل في الاواني والثياب . وذلك انه فيما كان ذات يوم في مجلسه اذ مرّ به قرطاس فنظر الى طرازه فامر ان يترجم بالعربية . فترجموه الله فانكره وقال «ما اغلظ هذا وكيف ان هذه الاواني تصنع في مصر وتحمل في الآفاق» فامر بالكتاب الى عبدالعزيز بن مروان اخاه وعامله على مصر باطلال هذا الطراز وان يأمر صناع القراطيس ان يطرزوها بصورة التوحيد «شهد الله الله لا الله الا هو» . فنعواوى . وما زال ذلك هو شأن الطراز من ذلك الحين . وكتب الى عمال الآفاق جميعاً باطلال ما في اعلام من القراطيس المطرزة بطراز الروم ومعاقبة من وجد عندهم هذا النهي شيء منه بالضرب الوجيع والحبس الطويل . فاعتبره امبراطور الروم بريند ودار فيها جدال لا محل له هنا . وفعل مثل ذلك ايضاً بالدنمار (١)

الفصل السادس والاربعون

سلی في دار النساء

ودخلت سلي من ذلك الباب بعد ان ازاحت الستارة عن فانتها الى دهليز مفروش بالبسط من الدبهاج وعلى جدرانه نقوش كثيرة حتى اقبلت على دار النساء . وهي غرف تكتفي باحة فيها بركة من الرخام الخرج . فقال لها ابن زياد «انك في دار النساء يا سيدتي» قال ذلك وتحول فاستقبلها امرأة عجوز ومعها رجل عليه لباس المحجب فاستغربت سلي بذلك . فقال لها العجوز انه فتح وهو خصي مولانا امير المؤمنين وجاجة (ويزيد اول من اخذ الحضيان في الاسلام) (٢) ومشت بها العجوز حتى دخلت غرفة قد زينوها وفرشوها بالبسطه والاطالس وفيها سرير مذهب لم تر مثله في عمرها . وما وصلت الى هناك حتى هببت وشعرت بعظم الامر الذي عرضت نفسها له واحست انها

في نفس من حديد . ونظاھرت بالتعجب فرحبت العجوز بها وطلبت إليها ان تزور
خمارها وترتاح إلى ان قالت « وقد امرني امير المؤمنين ان ادخلك الحمام »
فرفعت سلي المخار عن رأسها فبيان وجهها وتجلت عيالها فانهارت العجوز من
جمالها وهيبيها وجعلت تندحها وتطلب لها آنسة من حسنهما الشاملاً لاستئصالها . فاجابها
سلى بعلف ونباهة . فازدادت انجذابها وعزمها بما حازته من النبات الخلية والمحب
عليها بدخول الحمام

فقالت « سأدخله بعد ان استريح »

قالت « وقد اعددنا لك الثياب الناخرة ولا ريب عندي انك اذا لم يسمها يزداد
جمالك وتعلم مازلك عدد مولاها »
شكراها ولكنها استفهمها ربها تستريح . وهي امها ارادت الفخلص من الحمام لتفتي
خبرها في مكان امين لعلها ادا دخلت الحمام ستدبر العجوز معها فخالفت ان تطلع
على الخبر فيتضخم امرها فاعذررت بالغراف صحبها وبابها تخاف ان يضر الحمام بها .
فساءرتها العجوز ولكنها رجعت الى تنبذ امر الخلية « فقالت اذا طلب الخلية ان
يراك قبل تقابلية بهذه الثياب »

قالت « اذا شئت ان ابدل ثيابي فعلت واتركي الحمام الى الغد »
فاطاعتها وانهابشوب من الحرير الناعم يجعلة جلباب طويل وردية اللون فاحتالت
في تنبذ ثيابها بغدر ان تشعر العجوز بخبرها . واهقت العجوز بصرع شعرها واصلاحها
فمشطتها وهيأها فاصبحت سلي بعد ذلك الاصلاح اشبه بالملائكة منها بالآدميين حتى
ان العجوز عشقها وعلق قلبها بها

الفصل الرابع والاربعون

الجامع الاموي

اما سلي فنذكرت في اثناء ذلك شارقة في بحار المؤاجس لا تدرى بماذا تفك
لکثرة ما يتجاذبها من الهمام وامام تلك الجحوذ افكارها بخيالها وفي لا تدرى ما اصحابه

هل هو محبون أم قتل أو أطلق . ورأى في تلك الحجرة نافذة يحيط بها مقدمة من الرخام كالدكدة تكسو سادة كبيرة فجلس على الوسادة وأطلقت من الدافنة فاشرفت على خلاء ضيق وراءه جدار عظيم يدل على خمامته ذلك البناء . وسمعت جلبة بما يشبه التكبير فعلمت أنها بقرب الجامع على أنها ارادت مخاطبة الجوز لعلها تستطرق في حدتها إلى خبر خطيبها فنالت لها « وما هذا البناء يا خالة »

قالت « هذا هو الجامع يا سيدتي »

قالت « وهل بناء أمير المؤمنين أم أبوه »

قالت « كلاً ياحبيبتي ولكنه من بناء الروم مثل هذا النصر »

قالت « وهل كان عبد الروم جوامع »

قالت « كلاً ولكنه كان كيسة على اسم سيدنا يحيى يصلى فيه النصارى وكان هذا النصر الذي نحن فائزون فيه قصراً لارباب الحكومة من الروم فلما فتح المسلمون الشام اجندوا هذا النصر داراً للامارة واقسموا الكيسة بينهم وبين النصارى فجعلوا نصفها جاماً وباقي النصف الآخر كيسة »

قالت « وهل بين هذه الدار والجامع انصال »

قالت « نعم ان بينها دهليزاً ^{أي} في الخانقحة كل صباح للصلوة وبعود منه وقد ذهب في هذا الصباح ولم يعد بعد »

و فيها هي تختاطها سمعت الضوضاء ، ترتادي في الجامع فنالت سلي « وما سبب هذه الضوضاء »

قالت « أن المسلمين يلعنون أبا تراب »

قالت « ومن هو ابن تراب »

قالت « هو علي بن أبي طالب وكلما صلوا خربوا الصلاة باعجو ^(١) »

فذكرت سلي مصيبتها وعلمت أن والدها أنها ماتت في هذا السبيل ولم تكن سلي تعجاً بهذه الإيجاث لغير ترجح الطارق إلى حدوث عبد الرحمن فنالت « وبالحقيقة أن هذا النصر بديع لا اظن المسلمين بنوا قصراً مثله إلى هذا اليوم ولكنني رأيت فيه الحرس وقوفاً في الأبواب ومعهم السيف والمرابع على أن الخلافة في الحجاز والعراق لم يكونوا يخذلون الحرس »

قالت صدقت يا بنتي وأول من أخذ الحرس هو معاوية والد أمير المؤمنين بعد

حادثة البرك بن عبد الله التميمي الذي كاد يقتلة لوم بنع السيف في قتله وينجو باذن الله فالخدع معاوية الحفتر من ذلك الحين وامر باقامة حرس الليل وقيام الشرط على رأسه اذا بحث وهو اول من فعل ذلك من الخلفاء^(١) وفعل ابنته امير المؤمنين مثله . والسبب في كل ذلك يا حبيبي ان قلوب المسلمين تغيرت عما كانت عليه من قبل وداخلها الفتن فاصبح الاخ يجند على اخيه وغدا قبل الخلفاء سنة عدد بعض الناس حتى ان مولانا الخليفة كان في خطر القتل منذ يومين فكمن له رجل في مكان الصيد ولوم بهم بعض خاصته الى ذلك للذهب حياة على اهون سهل ولكن الله نجا وعادت العائنة على الباغي «

فلا سمعت سلي ذلك اخراج قلبيها وارتعشت فرائصها وخافت ان تستردها ياماً فتصفع خبر قتل حبيبها . ولكنها لم تكن تصير عن الاستطلاع فقالت « وماذا فعلوا بذلك الرجل » قالت « قادوا مغلولاً وجسم وسبعت في هذا الصباج انهم - بوقوفه بين يدي الخليفة ويسألونه عن اصوله وسبب مجئه وبعد ذلك يقتلونه . ألا يتحقق القتل ؟ »

فكنت سلي وزاد اضطرابها وخافت ان يبدو ذلك على وجهها فظهورت بصداع دهبا وحنت رأسها على ذراعها فوق الدافئة واختفت وجهها فقالت لها العجوز « ما بالك يا سيدتي لا يأس عليك »

قالت « الي أشعر بصداع أليم في راسي لا أكاد أحتمل » فمدت الجوز بدها واستحرجت من حبيبها خرزة من الجزع معلقة بخط وفقالت لها « خذى هذه التعبيرة على يها بين ضناشك فانها تشفيك باذن الله وقد جرّتها شفسي مراراً فكان الصداع يذهب عن حالاً » فقالت « ولكن صداعي شديد يا خالي »

قالت « لا يأس عليك خذى هذه التعبيرة »

قالت ذلك ولم تنتظر جوابها هل وقفت وربطت الخرزة بضفيرة من ضناها وهي تقول « فإذا كان لم يزل بعد فلان يزول عن قريبه بقدوم عريسك . واظنه متى عاد من الصلاة يسأل عنك ولا ريب عددي انك ستكونين عدده في المنزلة الاولى بين سائرنسائي » فانثير بذها وتحفظت قرب الساعة العظامي وقالت في نفسها « لند آن الاوان فلا بد من الدهاء والحكمة والا ذهب السعي سدى » فطلبت الى الله ان يلهما الصبر وبدأت جائزها

الفصل الثامن والاربعون

المقصورة

وفيما هي تذكر في ذلك وإذا بالغوغاء قد قامت في الدار فبعثت سلي فقالت لها العجوز «ان الخليفة قادم ومن عادتوا اذا عاد من الصلاة ان يزره بهذه الدار قبل دخوله المجلس ولا بد من هبتو اليك لانه اوصاني العناية بك ولحظت انه كان ينتظر محمدتك بفارغ الصبر»

فاستعانت سلي الله في باطن سرها وبأبيات صافية وقلها يتحقق حلمات العجوز منها ذلك محمل الحياة، فنالت وهي تضحك «يا للعجب من البنات كيف يظاهرن الحياة والنفع وقولوهن نتفتح سروراً عند سماع صوت العرباس، وما كل العرائس مثل عربسك بالملجعة فانه الخليفة امير المؤمنين القابض على رقاب المسلمين»

فطللت ايماء صافية وهي تكظم ما في نفسها وتجلد وبعد هيبة اقبل فتح الحضي المقدم ذكره وقال «ان الخليفة قادم يا خالة» وبالبنت ان سمعت وقع خطافه قرب بحيرتها حتى لم تعد تلك من الاضطراب فادرست الن GAM على وجهها، فاقدرتها العجوز ورفعت النقاب عنها وقالت «التحججيون عن امير المؤمنين وهو زوجك» وما انت كلاماً حتى دخل يزيد وعليه رداء ازرق وعلى رأسه عامة خضراء وبه درة (وهي قنة من جلد ثدين لشبة الكربلاج) فلما اطلق على الغرفة استثنية العجوز فقبلت يده واسكت سلي واستنهضها ملائكة الخليفة، فوُقفت ونظَّاَهُرَت بالحياة فنادها يزيد قائلاً «اهلاً بعروساً» ومهما يزيد ورفع الغطاء عن وجهها وقلبه يكاد يطفئ سروراً لحصوله عليها لانه لم يشاهد في عمره مثل ما في وجهها من الجمال والمهيبة وقد زاده ذلك الفتنع رغبة فيها وشوقاً اليها اما هي فتجاذبت ونظرت الى يزيد كأنها ترن فيه لنرى ما يكون من امرها معه اذا هبت بقلو فرأى جسمه لا يبدل على بطيش شديد، وكان طويلاً القامة ادم اللون جعد الشعر احقر العيون بوجهه آثار المجدري^(١) لله الحمد حسنة خلوقة^(٢) فلم يهبا منظره ولكنها احتت مطامعه فبالغت في اظهار التوجع من الصداع ولم تذهب، فالتقت يزيد الى العجوز كأنه يستنهضها فاقدرتها فائلة «ان عروس مولانا تشكو من صداع شديد

اٹلہ بیزوں فریبا

فقال «لا يأس عليها فاري ان تنتقل بها الى المتصورة في اعلى هذا النصر تكون على مثابة من مجلسي فإذا اردت ان تتفقدها في انتهاء البارام يمكن المجال واسعًا يبني ويبنيها .أو انتم هناك او تقام وترتاح حتى تلتقي في المساء» قال ذلك وغمول حتى خرج من دار النساء الى خلصه

اما سلى فند سرها ذلك التأجيل ربما تدبر حيلة تهم بها الامر
وصعدت العجوز سلى على سلم من الرخام بجانب تلك الدار حتى انت الطلبة العلية
ومشت في دهليز والتجوز امامها حتى وصلت الى غرفة متروشة باحسن الأثاث
وفيها الطاقفيس واللواء والمناقد وطاولة نافقة تطل على الحديقة . فتفقئت ان يزيد ايا وفها
الى هناك فإذا هم بتذلو فاتما نقلة في تلك الغرفة فكيف تخوب نفسها بعد ذلك . فاخذت
بنفسك وقالت للعجوز « أهل هذه الغرفة متفردة هما » قالت « ليست متفردة ولكنها
متصرورة خاصة بالخالبة يصعد اليها من باب خاص »
قالت « وهل ينام فيها »

قالت «رها نام فيها احياناً ولكن مجلس فيها لغرض سري لا ارى مانعًا من الاباحة
بذلك . وذلك ان والدك معاو ية كان لشرط دعائو وعلو هنبو قد اخذ هذه المقصورة
عفلاً له يطال منه على المجلس من كوة صغيرة فيرى اهل المجلس تحنته وهم لا يرونها . فعل
ذلك حتى لا تخفي عليه خافية »

الفصل التاسع والأربعون

— مجلس الخليفة —

فاستبشرت سلي بذالك الحال لتشاهد منه ما يدور بين عبد الرحمن والخليفة اذا استقر في الاستطاق فقالت « وهل يجوز لي ان اهل من تلك الكرة لاشاهد مجلس الخليفة فاني لم ار مجلساً في عمرى »

قالت «إن الخليفة لا يأذن بذلك لأحد ولكنه لا أهله بمعية عباد على أنك ادلك على الكوة فتعطليين منها على المجلس وإذا جاء الخليفة لا تتوبي له لأنك فعلت ذلك»

قالت « بورك فيك يا خالة انك والله اطيبة ومحبة ولا غر و اذا ارتفعت مازاتك عند الخليفة »

فانشرح صدر العجوز من هذا الاطمأن و زاد رغبة في خدمتها
فقالت لها سلي « ابن الباب المري الذي يخرج بولانا منه »
فامسكها يدها و مدت اليه اعدة خطوات ثم دارت من وراء الفرقة فاذا هناك
باب صغير فتحه وأرعنها سلماً ضيقاً وقالت « هذا هو الباب المري فاكثي ذاك »
قالت « ولئن ابن يستطرق »

قالت « انه يبني الى دهليز طوبيل آخر في المدينة الخارجية ينبع من الداخل ولا
ينبع من الخارج الا يفتح خاص »

ففازرت سلي بالمكان حتى ورت المدخل والخرج فعادت الى استطلاع امر
عبد الرحمن واكتبه نظائرت عدم الاهتمام في بادي الرأي وعادت الى المنورة
وجلست الى النافذة فاطلنت على المدينة والجوز الى جانبها نسليها بالاحاديث . ثم ظهرت
سلى بالملل وقالت « دعينا نطل من الكوة ونرى مجلس الخليفة »

فنشت الجوز امامها حتى خرجت من الغرفة وغمولت بعض خطوات على الطنان
المزروعة هناك فوصلت الى وسادة صغيرة ازاحتها فانكشفت كوة صغيرة نطل على
المجلس . فاذا بالجلس قاعة كبيرة مزروعة بالسجاد الملون على دائرة ما يلي الجدران
وسائد جلس الامراء عليها بعضهم على وسائد ثناء وبعضاهم على وسائد غير ثناء الا
يزيداً فقد كان جالساً في صدر القاعة على دكة مرتفعة من خشب العرعر منزل فيها
الذهب وعلى رأسه اثنان يابدهما الحراب والجانيبي ابن زياد على وسادة من الدبراج
المزركس بالذهب ثناء . وفي يد يزيد قضيب الخلافة وعلى كتبته برد خاص بالخلفاء
ورأت على نوافذ القاعة ستوراً من الاطلس المزركس بالكتابية اليونانية التي ذكرناها
ففأمنت في هبأ ذلك المجلس فلم تجد فيه ما كانت تتوقعه من الاهبة والوقار فقد كان
أهل المجلس يخاطب بعضهم بعضاً حتى علت ضوضاؤهم . وسمعت بعضهم ينادي ويزيد
لا يهدأ بهفهم وكان مولياً وجهة الى ابن زيادة يخاطبه سرعاً وهو يضحك

ثم صاح بعده فائلاً « ياغلام » فدخل رجل كان واقفاً بالباب ووقف متأنداً . فقال
يزيد « قل مان في بابنا من الشعراة انا لا نقابل احداً منهم اليوم ولما نريد ان نرى
ذلك الغلام الذي هم بقتلنا . . . الى بـ »

خرج الغلام ثم عاد ووراء عبد الرحمن مكلاً بالحديد . فلما رأى سليمان ارتعشت
فاصلها لما خافت عليه من فتك بزيد

الفصل الخامسون

الاستطاق

فلما وقف عبد الرحمن في وسط القاعة التفت يمينه ويساره وترى في الناس وهو لا
يالي بما يهدده من الخطير فسررت سليمان بربراطة جاشه ولبثت تتذكر ما يكون منه
فيقاده بزيد فائلاً « من أنت يا رجل »
فقال عبد الرحمن « أني من هذه الساحة »
فأبدره عبد الله بن زياد قائلاً « أيسألك أمير المؤمنين عن نفسك فتجيبه بهذا
الجواب »

قال « وهو الذي يسا لي وهذا هو جوابي »
قال عبد الله « يظهر من وقاحتك أنك لا تدرى من هو الذي يخاطبك »
قال « ادرى ذلك وإن الذي يخاطبني بزيد بن معاوية »
قال « قل أمير المؤمنين »
قطع بزيد كلام ابن زياد وقال « دعه يا عبد الله » ثم التفت إلى عبد الرحمن
وقال « وما حملك على هذه الخيانة »
قال « ليست هي خيانة وإنما هي جسارة حماني عليها اعتقادي بصدق خدمتي فيها
لإسلام والمسلمين »

شعر بزيد أن الرجل ينوي التصرّف بأمور مهينة فرأى من الدهاء تحاولته على
جاري عادة والله معاویة في مثل تلك الحال - وهو النائل لو كان يبني وبين الناس
شرعاً ما انقطعت فقيل له وكيف ذلك قال « اذا هم شدوا ارخimet وادوا ارخوا شددت »
وكثيراً ما كان معاویة يحصل من اتباع علي كلاماً غليظاً وبصرفهم راضيون وما ذلك إلا
من سعة صدره وغرارة حلوه وكثرة دهائه - ولم يكن بزيد مثل والله ولكن اراد ان يتشبه
بـ: فقال لعبد الرحمن « ولكن ما يمنع ان تقول من أنت وما الذي جاء بك الى هذه

الديار «

قال عبد الرحمن « انك نسألي سؤالاً لا دخل له في عقابك او ثوابك وإنما يكتفيك
ان تسمع كلامي وتأخذني باقراري وإنما اقول اني جئت اتمد قنالك «
فضحك يزيد والفت الى ابن زياد وخاطبها خطاباً لم يفهمه احد . ثم الفت الى عبد
الرحمن وقال له « يظهر انك مغرور وفهن لازرضي الا ان تناسس لك عذراً للا لأن تكون
مدفوعاً من اهدي بطريق الاغواه . ويكتفي للصفح عنك ان تلعن علياً »

ف لما سمع عبد الرحمن ذلك نسي انه متقد بين يدي الخليفة فالتنت اليه وقال
« انك تطلب امراً مستحيلاً وما علىِ من يجوز ذلك عليه »

فقال ابن زياد « اقبل النصيحة واطع امير المؤمنين لثلاً يحبك ما اصاب
امثالك من ساقم عيادم الى القتل مثل مجر بن عدي و.....

فقطر عبد الرحمن الى ابن زياد والشر يكاد يطاهير من عينيه وقال « كأنني بك
يا ابن ابن سمية تفتر ها فعله ابوك بمحروم قد سعي في قتل زوراً . قتلة لاته لم يلعن ابن عم
الرسول (صلعم) فاذ رأيت ان تركك انت ابضاً مثل ذلك فاقلني ولا تخونوني .
فإن علياً أولى بالدج من سواه » فلما قال عبد الرحمن ذلك ضج المجلس وقام المفوّهاء
وما من احد الاً اعجب بجسارة ذلك الاسير المنيد

اما سلى فقد كانت تفريح زوجها من عدم الدأثر وهي تقلب بين الاعجاب بشهامة
ابن عمها وبين الخوف على حياته

ثم سمعت يزيد يقول له « قد امهلاك يوماً آخر فاذما لم ترجع عن غرورك اذفناك
الموت . خذوه الى السجن » فدخل الحرس ليأخذنه فقال « لا توجل علاً الى الغد
فاني انا اليوم مثلي بالامس وبالغد لا اcheid عن الحق ولو قطعتني اريها »

فضحك يزيد وهو يقول «خذوه »

وكان العجوز جالسة بجانب سلى تسمع ما دار في المجلس فلما اخرجوا عبد الرحمن
قالت سلى « أرأيت مثل هذه الجسارة ولكنها انتبه شيئاً وغداً يلتلونه »

فلم تستطع سلى صبراً على سماع ذلك الكلام ولكنها قالت في باطن سره اذا بقيت
بايزيد حياً الى الغد فاقيل عبد الرحمن » وعادت الى الغرفة وقد ظهر الاضطراب عليها
ولكنها ظهرت بالصداع

الفصل الحادى والخمسون

الافتقاد

فاستقبلها العجوز ورحبت بها ورثت لما ظهر عليها من آثار الاضطراب لاعتقادها انه مسبب عن الصداع . فقالت لها ألم تندك التعمية يا حبيبي ايهما لم تخفي الا اليوم فلم تخفي سلي ولكنها احنا نلت يندليل اسخرجنها من جيبيها وعصبيتها رأسها وظاهرة بشهادة الالم . فقالت لها العجوز « اذا كنت تشكين من الصداع الشديد فالبيك بالفراش توسدي فيه وارتأجي »

فاطاعتها وانشنت الى فراش من الحرير الملون عليه غطاء من الاطلس المزركش بالذهب كانت قد اعدته العجوز هناك بامر يزيد . فتوسدت سلي في الفراش وخففت الغطاء الى رأسها ولبنت لا تبدي حراكا حتى ظنها العجوز قد نامت . وهي اثنا سكتت لانه تعالى خاطرها في ما هي فيه من الفائق وما تخافه على عبد الرحمن وعلى نفسها من الخطر

وينما هي راقفة سمعت خطوات مفردة على السلم فعملت ان يزيدا صاعد ليتفقدها ويسأل عن صحتها اذ لا يجسر احد على الصعود الى تلك المنصورة سواه . فامست عاذرت بالله ولكنها رأت ان ظاهر بالرقاد لان الليل لم يدن بعد وهي اثنا ترى قلة البلاء والناس نائم لتفكر من الفرار

وبعد هيبة وصل يزيد الى باب المنصورة فامرعت العجوز اليه واستقبلتها في الباب وفي تدبر رسائلها على فيها ان « امشي الطوبينا ولا تكلم لان العروس نائمة » فخفف الوطء واستفهم عن سبب توهما ف وقالت « ان الصداع اشتد عليها فعصبت راسها وتوسدت وبظهر ائتها نامت ولكنها ستفيق بعد قليل ولا اثر للالم في راسها والنوم افع دواء للصداع »

فمشي رويداً رويداً حتى اقبل على الفراش ودنى من رأسها وكان مغضلا الى الجهة فاحنى وأمسك الغطاء باطراف انامله ورفعه . فظلت سلي ساكتة وعيناها مغضتان وقد اشرق معاها وزاده الدفء اشراقاً في احراراً . فلم يتأللا يزيد عذر وينها عن الاعجاب بذلك الحال الجاذب وحدثنا نعمة ان يوقظها ويجلس الى جانبها . فاوْمأَت العجوز اليه

ان يتركها تمام . وامسكت يده فمشي معها الى جانب النافذة وقالت لها همساً « لانستعمل يا مولاي ان العروض عروشك شمعن بها مقى شئت . دعوها تمام الآن ونسترجع فادا جا » الليل كانت كأن شاهد «

فقال « ولكنني لا اريد منها الآن الأقبلاه »

قالت « لم يكن ثمة بآس من ذلك لولا خوفنا من استيقاظها »

فقال لها « هل ادخلها الحمام »

قالت « فعم يا سيدى كن في راحة من هذا القبيل واذهب الى مجلسك »

فقال لها « اعدى لذا ما نحتاج اليه من الشراب والطعام لنقضي الليلة في هذه المنصورة »

قالت « بمعاً وطاعة » وساربت في اثن

فادركت سلي ذهابها ففتحت عينيها ونظرت الى جوانب الغرفة فلم تجد احداً وكانت في اثناء رقادها تذكر في طريقة الاحيال لتدخل بزید . فلما علمت بعم بزید على المبيت في تلك المنصورة وسمعت استئمامه عن دخولها الحمام استخرجت الخبير من جيئها ودبّة نحت الفراش بجهت تصل يدها اليه مقى شاءت ثم نهضت وراسها لا يزال معصوباً وقد تعاظم قلقها على حبيبها

الفصل الثاني والخمسون

— شعر —

خرجت الى الكوة المطلة على مجلس الخليفة فرأيت المجلس مشوشاً ولم تر بزیداً هناك ثم ما لبث ان دخل ومرة رجل لم يقع نظرها عليه حتى ارتعش جسمها وارتعشت فرائصها فادا هو شمر بن ذي الجوشن . فاستعادت بالله من شره وخافت من وشائطه ولكنها أصبحت لا تخاف شيئاً في سبيل الانتقام لوالدها وخطيبها

ورأت بزیداً يرحب بشمر ويدعوه الى جانبها فلم يقاصر ان يجلس على الوسادة المنشاة ولكنها تربع على الوساطة بين بدي بزید وهو متاذب

قال له بزيد « لماذا لا تدعون من مجلسنا وانت اول من نهانا الى الخطأ الذي نخاننا الله منه بالامس »

قال « ان صنيعة مولانا لم يفعل الا الواجب عليه ولا فضل له فيه وقد بايعنا امير المؤمنين على العطاء والصدوق بالامر وان دعائنا وارواحتنا وامانتنا فداء عنك فنحيك بزيد ومشط لحيته يساره والدرة في يديه وقال له « بورك فيك يا شر انك ايض الوجو وايضا الخصال . وسوف تعال ما تخففه »

قبل شر الأرض وقال « وارجوان يحال ذلك المخافن ايضا ما تخففه »
قال « انه سينال جراءه بعد ان نرى ما يهدى من اقراره فعلل الله شركاء اذا اطلعوا على عيابهم منه امنا شرم »

قال « الم يسأل الله امير المؤمنين عن نسيو »

قال « سألناه فلم يجيب فامهلناه الى الغد »

وقف شر السرور باد علي وجهاه وقال « اذا امرني مولاي اخبرته بنسيو ولا اذنه بعد ذلك الا آمرا بقتلوفي هذه الساعة »

فلما سمعت سلي كلام شر اهتزت كل جوارحها ولم تعد تستطيع الوقوف من شدة الاضطراب ولعنت ذلك الرجل وساعة قدومه ولكنها تجلدت لترى ما يكون فاذا

يزيد يقول « ومن هو قل »

قال « ألا تعرف حجر بن عدي ؟ »

قال « بلى اعرفة بالشمع »

قال « انه ابن اخيه وبرعم هنا الفادر انه سينتف لعمو من امير المؤمنين »

فهم بزيد من مجلسه وصاح قائلاً « اصحح ما تقول يا شرم ؟ »

قال « اني لا اقول غير الصدق واذا حضر الآن فقلت حصر ما في عينيه »

فضح المجلس وصاح بزيد « اتوبي بوي »

وما عن ان جاء بعد الرحمن وعليه الاغلال والقيود فوقف بين يدي بزيد وهو لا يبالى فنظر بزيد الى شر او ما اليه ان يخاطبه

فالثنت شر الى عبد الرحمن وقال له « أيسألك امير المؤمنين عن نسبك فتحبب عنه »

فنظر عبد الرحمن الى شر وحلق في وحوله يعيماً بما يهدده من الخطأ في ذلك

الموقف وقال «لم اخفر نسي خوفاً على حياتي ولا ارى في نسي الاً ما يدعوني الى الانفصال
فقال شمر «قل اذا من انت»

فرفع عبد الرحمن صوته وقال «اني من كندة واسى عبد الرحمن وهي سجر بن عدي
الذى قلبته ظلماً وعدلياناً»

فتجهض بزيد امثال المحسنة وقال «انقول ذلك ولا تخاف»

قال «مَا اخاف وقد اقررت بعزمي جهاراً وازيدكم بيماناً اني انا تعمدت قتل بزيد
انتاماً لعي المحتول ظلماً

وكان ابن زياد جالساً بجانب بزيد يسمع ما يدور بينها فلما سمع قوله اراد مطاؤنته
فقال «يظهر انك مصاب في عينك فاقلع عاً انت فيه وإن كان حلم امير المؤمنين لا

يصدق عن وقاحتك . فإذا استغفرتة ورجعت عن غيرك اظلله يصفع عن جوالتك»

قال «مه يا ابن زياد لا شوط في استيقائي . ولا تذكري في بحلك فما أنا
ملبس البقاء»

قال بزيد والغضب ظاهر في حاجبي «قد كنا اجلنا فتاك الى الغد وحن نحسبك
نادماً على وقاحتك فإذا انت مستحب اجلك . فاعلم انك متول قبل ان نطلع شمس
الغد . . . خذوه الى السجن واروبي رأسه في الصباح»

الفصل الثالث والخمسون

الايس

فأرادوا ان يخولوا به الى السجن فقال شمر «فلياذن لي مولاي ان اقتلة ييدي»
قال «اقتله واتني برأ مو غداً الا اذا رجع عن غبو واستغفر ولعن ابا تراب»^(١)
فلما سمع عبد الرحمن ذلك ثار من كان مسکاً ينه ويحول وجهه الى بزيد
وقال «اقتلوني الا ان عصاكي ان الق علياً وحجرًا على عجل واداً كان لا بد من تأجيل
قتلي فلا ارضي بالموت قبل ان أؤدي شهادتي على روؤس الملاّ . فاعلموا يا بني امية
انكم توليت هذه الخلافة بغير الحق واخر جنوها من اهل بيت الرسول بالمحنة وحاربهم من

(١) ابن الأثير ج ٣ والمسمودي ج ٢ والتغري والتميس والمقد الفريد الح

هو أحق بها من سائر المسلمين ولم تتوزى بها من دونه الا لرغبتكم في الدنيا ورغبتكم في الآخرة ولسوف تلعن عاقبة ما جنتم ايديكم»
فانهن ابن زياد قاتلا «اقول ذلك جهاراً يا خائن»

فالثالث عبد الرحمن البوه وقد صعد الدم الى راسه وتعاظم غضبه وتذكر ما افتقاه زياد والله على عمو مجرحه تكون من قتلوا فقال «لانقل خائن .. وما الخيانة الا من شأنك وشأن ابيك من قبلك .. وليس في هذا المجلس احد لا يعرف اباك زياداً بامه سمية وكلام يعرفون لما ذكرها ابن ابيه . اذكري يا عيده الله شهادة ابي مردم خمار المدينة الم يقل ان جدتك سمية كانت بديلاً من بقائها المدينة ؟ هل وصلت انت وابوك الى هذا المجلس الا بنفضل بغيرها .. وما في هذا الجموع من يجهل ان معاوية لم يستطع زياداً بدمه ويرضى بأن يكون اخاه من ابيه الا لاستجدابه في مصلحته وانتصاره على اهل البيت . فاذا رضيت بهذا الاستحقاق فانما هو شهادة على قذارة اصولك . وان لم ترضه فاخبرني ما هو نسبك ؟ .. وترمع مع ذلك اني خائن وما الخائن الا من عرف الحق واغرف عنه طبعاً في الدنيا كما فعل ابوك وامثاله وكما فعلت انت وامثالك . فلا غرو اذا استغررت المعاشرة بانتصاري للحق . وهي شهادة حق اموت في سبيلها وإذا انا مت فان عظامي تبادي بها من اعاق القبر »

ففتح الناس وتدوش المجلس والكل محبوون بذلك الجسارة وتندم شر الى بزيد وهو يقول «الى متى يصر امير المؤمنين على هذه الوقاحة من في فاقطع رأسه في هذه الساعة » فصاح فيه عبد الرحمن «اقفل .. جرد سينك .. انت ما قتلتم من فتاشين من نصراء الحق الا بقتل ذلك .. شركائون على الرجل عشرات ومئات .. اقتل .. قاتل الله .. ثم التفت الى بزيد وقال «انظرون قتل رجل مثلی بoid سلطانكم » وأشار الى عامته وقال «ان دون هذه العامة الوفا من الرجال الصناديد سوف يذينونكم مراة ماجستة ايديكم . ان سلطانهم يا ابن معاوية لم يتأيد الا بالخولة . اطعم الناس بالدنيا فنصركم .. استطعتم زياداً بسيمك واطعمت عمرو بن العاص بنصر فنصركم . ولو لا ابن العاص لما بقيتم بعد واقعة صفين يوماً واحداً . ولولا فعلته بالأشعرى في مجلس الفكيم لم تقم لكم قاعدة . ولكن دعاء ابيك معاوية غالب على دعائكم فاستخدمتم في مصلحتكم فأطعمتم مصر واكلة هو ومصر والشام .. ولكنها لقمة ان هبضها امعاؤكم وسوف ترون ونرى ... »

وقيل ان يتم كلامه قال بزيد « خذني الى السجن واتوفي برأسوني في الغد باكراً » قال ذلك وهو يلخص ويظهر الاختلاف . فساقه فمثي وهو يوسف بابيوده بخطوات ثانية كانه ذاذهب الى المعاشرة . ولانسل على اصاب سلي من الارتعاد وما ظهر على وجهها من الاختراب حتى افرو رقت عيناهما بالدموع رغماً عنها . ولكنها فرحت بما ابداه عبد الرحمن من الانفة والمحبة . فلما خرج من المجلس اخلع قلبه امامه وتعاظم قلتها . ثم عادت الى روعها وعللت نفسها بقتل بزيد في ذلك المساء . قبل ان يقتل خطايبها . وكانت الى تلك الساعة تهيب جريمة القتل لغلبة طبيعة النساء عليها فلم يبعث ما دار بينهم وبين عبد الرحمن هان عليها كل امر فظيع . واشتد بها المياج حتى لم تعد تستطع البنا ، هناك فتحولت الى المقصورة والجوز لم تأت بعد . فافتقدت الخبر واصغرجه ونظرت الى وحاطبها قائلة « ارجو ان لا تخونني الليلة ... انك اذا اطعمتني اتيت بما لم يتوعل عليه الوف من المسلمين ... فتفقدتهم من سلطان اناس اخلصوا الخلافة واهانوها وتعيدها الى اولى الناس بها . تعدها الى سيد شباب المسلمين ابن بنت الرسول »

ولما تصورت ذلك اهتزت طرباً وقالت وقد نسبت موقفها « اذا انا خلرت بهذه الامية لا ابني مت او بقيت حية ... »

ولم تكن ثالوث ذلك حتى بعثت وقع اقدام على السلم فاسرعت الى اخناء الخبر
تحت الفراش وجلست في الفراش وفي ترتجف ونقطت الى فوق رأسها

الفصل الرابع والخمسون

المائدة

وبعد هنئة دخلت الجوز ووراءها جماعة يحملون آنية الطعام والشراب فندوا المساط ووضعوا فوق المعاين من الذهب والنحضة وفيها الدجاج المشوي وانواع اللحوم والخلواه والناكحة وصنّت انداح الشراب . ففيما هررت سلي بالقيقة وعلمت ثم رفعت الغطاء عن رأسها فوق نظرها على ذلك المساط وعلىه انواع الاشربة والوان الطعام . ورأيت بجانب المساط طببوراً فتذكرت ما كانت تسمعه عن اشتغال بزيد بشرب الخمر وضرب الطابير^(١) حام يسعى لاحد من الخلداء . فقللت في نفسها

اذا لم يكن وراء قتل هذا الرجل الا نزع هذا العار عن الخلافة لكتابي شرقاً يقتلوه «
اما العجوز فلما رأها ترفع الفعلة عن رأسها تترسّت فيها فرأت الاحرار قد تعاظم
في وجهها حتى توردت وجنتها واصححت عينها وقد ازدادت هيبة وجمالاً فاسرعـت
الىها وقبلتها بين عينيها وقالت « هيئاً لامير المؤمنين متي فاز بقتل هذه التبلة وهبها
لك على ما سخوزـته من المكانة الرفيعة عنـ»

فطلـت سليـساـكـة وـلم تـدـحرـاـكـاـ فـظـنـهـاـ لـاـ تـرـالـ نـشـكـوـ الصـدـاعـ فـقـالتـ هـاـ
« كـيفـ تـشـعـرـ بـنـ الـآنـ بـنـ بـنـهـ »
قـالـتـ « اـنـيـ اـحـسـنـ اـحـسـنـ قـلـلـاـ »

قـالـتـ « وـسـيـزـوـلـ بـقـيـةـ الـاـلـ مـنـ جـلـسـ الـخـلـيـفـةـ إـلـىـ جـانـبـ الـلـيـلـةـ وـسـعـتـ ضـرـبةـ
عـلـ هـذـاـ الـطـبـيـورـ فـانـاـ قـدـ اـعـدـنـاـ لـكـ كـلـ شـيـءـ بـاـمـروـ »

وـلـمـ لـمـ كـلـامـهـ حـتـىـ فـاحـتـ رـائـحةـ الـبـغـورـ وـسـعـتـ وـقـعـ اـقـدـامـ خـلـيـفـةـ خـارـجـ الغـرـفةـ
فـخـرـكـتـ فـيـ فـراـشـهـ . فـقـالـتـ هـاـ عـجـوزـ لـاتـجـزـعـيـ يـاـ حـبـيـبيـ اـنـ الـخـلـيـفـةـ لـمـ يـأـتـ بـعـدـ اـمـاـ الـذـيـ
تـسـعـونـ وـقـعـ اـقـدـامـوـ فـهـوـ رـجـلـ بـجـمـلـ الـبـغـورـ يـضـعـ بـخـرـفـهـاـ هـنـاـ وـيـعـودـ . فـارـختـ سـلـيـخـارـهـاـ
عـلـ رـاسـهـ وـيـظـرـتـ مـنـ خـلـالـ اـلـقـادـمـ فـاـذـاـ هـوـ رـجـلـ عـلـيـهـ قـبـاءـ مـنـ الـاطـلسـ الـاحـرـ
وـعـلـ كـنـتوـ كـسـاـ مـرـكـشـ اـصـدـرـ وـعـلـ رـاسـ شـاشـ وـعـلـ كـنـتوـ الـاـخـرـىـ عـلـاـهـ مـنـ الـخـرـيرـ
الـاخـضـرـ مـلـاـنـةـ بـعـدـ الـقـافـيـ وـفـيـكـ مـيـغـرـنـ مـنـ الـذـهـبـ الـاحـرـ فـيـهـ نـارـ يـانـيـ فـيـهـ عـودـ الـقـافـيـ
وـالـدـخـانـ يـنـصـاعـدـ مـنـ الـمـخـرـقـ حـتـىـ مـلـاـ الـمـكـانـ بـرـائـحةـ الـمـوـدـ . فـدـخـلـ الرـجـلـ بـخـفـةـ وـوـضـعـ الـمـخـرـقـ
بـيـابـ الـمـتصـورـ وـكـرـ رـاجـعاـ وـلـمـ يـقـيـقـ فـيـ الـغـرـفةـ غـيـرـ الـعـجـوزـ وـالـمـائـةـ وـعـلـهـ الـاـطـعـمـةـ وـالـاـشـرـبـةـ
ثـمـ اـشـتـغلـتـ الـعـجـوزـ بـوـضـعـ الـوـسـادـ حـولـ تـلـكـ الـمـائـةـ وـأـتـ بـنـوـاتـ مـنـ الـذـهـبـ
مـفـرـوسـ فـيـ رـوـسـهـ وـجـوـنـهـ شـمـوـعـ بـعـضـهـ اـيـضـ وـبـعـضـ الـاخـمـرـ وـالـعـصـرـ اـخـضـرـ
وـلـوـفـنـهـاـ فـيـ وـسـطـ السـاطـ وـلـمـ تـشـعـلـهـاـ لـانـ الـلـيـلـ لـمـ يـقـبـلـ بـعـدـ

كـلـ ذـلـكـ وـسـلـيـ مـسـتـكـنةـ فـيـ الـفـرـاشـ غـارـقـةـ فـيـ الـاـفـكـارـ وـالـمـواـجـسـ وـيـ تـرـجـوـ اـنـ

لـاـ يـحـضـرـ بـجـلـسـهـ فـيـ تـلـكـ الـلـيـلـ اـحـدـ غـيـرـ بـرـيدـ
وـلـاـ بـغـاـتـ الشـمـسـ هـمـتـ الـعـجـوزـ بـالـشـمـوـعـ فـانـارـهـاـ فـاـضـاءـتـ الـغـرـفةـ وـلـبـشـتـ فـيـ
انتـظـارـ بـرـيدـ . وـكـانـتـ الـعـجـوزـ تـلـقـيـ قـدـوةـ قـبـيلـ الـغـرـوبـ فـلـمـ غـاـيـتـ الشـمـسـ وـلـمـ يـأـتـ
اسـبـلـاـتـ فـقـالـتـ لـسـلـيـ يـظـهـرـ اـنـ مـوـلـانـاـ الـخـلـيـفـةـ قـدـ شـغـلـ عـنـاـ وـاـنـاـ لـاـ اـظـنـ فـيـ الدـنـيـاـ شـيـئـاـ
بـشـفـاعـهـ اـنـ هـذـاـ الـمـبـلـسـ . فـاـ وـجـدـتـ سـلـيـ خـيـفـةـ مـنـ سـبـبـ تـأـخـرـ وـحـصـبـتـ لـذـلـكـ الـفـحـسـابـ

الفصل الخامس والخمسون

بِرْيَد

ثم سمعنا وقع اقدامه على السلم فقالت العجوز ها آنة آتني الحمد لله . فلما سمعت سلي ذكره أخلج قلها في صدرها وخففت دنو الخطر العظيم فتجددت وجامت في التراش . فقالت لها العجوز أهضي من التراش الآن ليس هذا وقتنا وإجلسي الى المائدة . ولم تكمل سلي ثم باتجواب حتى دخل بزيد وقد بدل ثيابه بشباب خذينة وعلى راسه عامة صفرة . فلما أقبل على المائدة رأى سلي لازال في التراش فقال لها وهو يبتسم غصباً « أملك لا تزالين مصدوعة »

فلما سمعت سلي لغست نفخته تفريت في وجهه فإذا هو قد تغير وعلاه الاضطراب فابتعدت وحدتها نفسها بشيء يضره وحافت ان يكون قد اطلع على سرها لعلها بما في نفس شهر بن ذي العوشن عليها ولم تزهد من الفجاد والتکلف وإن لم تكن ذلك من فطريها . ولكنها كانت كثرة العقل قوية الارادة فتجاهلت عما يبدىء في بزيد من الفلق وجلست كأنها شاهد لما يرى

اما هو خالما لنظر الى وجهها أشرق وجهه وزال انتباذه وعاد الى هدوئه . وكانت العجوز وأفنته يبن يديه فقال لها على سبيل المزاح « تعالى يا عجوز الفس واملأي هذا القدر من هذا الشراب وأعطي سلي فانه شراب حلو »

فخلات العجوز قدحاً من شراب احر وقالت لها « اشربي انه مصنوع من عصير التفاح فلا تخافي »

فغيرت سلي لانها لم تدق تلك الاشربة ولا تزيد ان تذوقها ولكنها تناولت الكأس ولبسه تتدار ما يربنه بزيد فإذا هو قد صب قدحاً آخر من زجاجة اخرى فيها شراب اصفر وقال « وهذا من عصير البليخ » وشرب فتظاهرة في الشرب وصبت الكأس في ثيابها فلم يستتر الشراب في جوف بزيد حتى غلب عليه الانبساط ودنى من فراش سلي والظهور به وهو يضرب عليه وبطره والعجوز تناول اللعوم وتناوله وتناولها وتصب الاشربة وسلى تحبب اليه الشرب عما ان يمسك فيهون عليها النبك بـ

وكان شيرمد عالم بعزم الخليفة على الاقتران سلي قد نوى على الوثابة بها انتقاماً لما
ناهه من مهاقاتها . فلما رأى موكيها قادماً إلى دمشق وتحقق دخولها النصر ووقوعها من يد
موقع الأحسان أخذ في اعتاد المكينة فاغتنم فرصة رأى فيها بزيداً خارجاً وحده من المجلس
إلى المتصورة فاعتبره وهن في اذوه « إن عروسك لا يركن إلى قلبه فاحترس على
نفسك منها » وكان بزيد مسرعاً إلى ملاقاة سلي وقد أخذ الشوق منه مأخذًا عظياً
فأثرت فيه كلامات شر تأثيراً لم يطع مكنته طويلاً . ولم يكبح مجلس إليها وينأى مل معيها
حق نبي الوصية وخصوصاً بعد ان دارت في رأسه سورة الخبر ولم يهد برئ من الدنيا
 شيئاً غير ما في مقصورته

اما شر قلما طال مقام يزيد مع سلى في تلك الخلوة ولم يسمع شيئاً جديداً زاد
الحسد فيه كلاماً تكون سلى قد تسلطت على قلب يزيد وانسنه حالة . وندم لانه لم يصرح
له بمخفية نسها وأتها ابنة عم عبد الرحمن وخطيبته فتحقق خيانتها ويخاف غدرها .
وأصبح شر عذر ذلك لا يهدا له بال . وفكرا في سبيل ينال به بغية . وهوعلم متزله عبيد
الله بن زياد من يزيد فسار اليه وكان ابن زياد في غفلة عن علاقة سلى بعبد الرحمن
ولكمة بات كاسف البال لفشل في خطيبه سلى وقد شق عليه خروجهما من بيته
ولم يكن اطول من تلك الليلة عن

الفصل السادس والخمسون

—٥٠—

فلا انفس بطلان وعلم عبيد الله بذهاب يزيد الى المنصورة وان سلي هناك في انتظاره ثارت النبرة في قلبه وطار اليوم من عنبيه وكان قد أوى الى غرفته في القصر وتوسد اليزارش ولكنه لم يجد الى الرقاد سهلًا . وكلما تذكر سلي وجهاها وهبها ونصرور جلوسها الى جانب يزيد وهو يعتقد ضعفها ولا يحترمها الا بالنظر الى منصوري في الخلافة — فكلما نصور ذلك يشعر بذلة

ففي ابن زياد في غرفته بضع ساعات وهو في قلق شديد يغالب عواطفه

وهومن المصيبة عليه وأكثه لم يقالك عن الغيرة . وفيما هو في تلك المواجهات دخل عليه خادمه وهو يحسبه نائماً فلما رأه مستيقظاً قال له « إن شر بن ذي الجوشن في الباب » .

فقال « دعه يدخل » وجلس في التراش وأمر الخادم فاضاء السراج

فدخل شهرو على وجهه علامات البفة والاهتمام

فابتدره عبيد الله بالاستئهام عما وراءه

فقال لقد « اتيتك في أمر ذي بال »

قال « وما هو »

قال « أنت تعلم عنم الخليفة على الاقتران بذلك النبأ الحسنا » .

فلما سمع ابن زياد الاشارة الى سلوى اخنج قلبها في صدره واصاح بسمعه وقال « نعم

اعلم ذلك ثم ماذا »

قال « أتعلم من هي هذه الفتاة »

قال « لا اعلم سوى أنها غريبة ياظتها من العراق »

قال « نعم أنها عراقية ولكن من هو أبوها »

قال « أليس هو ذاك الكهل الذي كان معها في الدبر . وهب أنك ليس أباها فلا

أظن معرفة تهمنا »

قال « إن معرفة والدتها تهمنا جيئا ولو عرف أمير المؤمنين من هو حموه لما

اقترب منها . فإنه غير الكهل الذي اشرت إليه »

فاستغرب عبيد الله ذلك التول وقال « ومن عسى ان يكون والدتها قل

يا شهر ... »

قال « انه حجر بن عدي »

ولم يتم كلامه حتى بانت البفة في عيني عبيد الله وصمت برها ثم قال « وهل أنت
والثق بصدق ما قولة ؟ ... »

فابتسم شهر وقال « أني اعرفها وأعرف أباها وعها وكل أهلها وقد صحبتها ... »

فقطع ابن زياد كلامه قائلاً « فيكون عبد الرحمن أذآ ابن عمها ! »

قال « نعم ... وهو أيضاً خطيبها وقد قدمها ومعها الرجل الكهل الذي ذكرته وهو

الوصي عليها . فاقاما في دير خالد يتر بصون لشكك بأمير المؤمنين . وهذا الذي ساعدني

على كشف امر الرجل وابناعه في الشراك وهوهم بذلك الجريمة »

فبقيت عيادة الله وخفق كلام شهر ما لاحظه من التراوين الأخرى فقال لها « لماذا لم تطلع الخليفة على هذا السر . اني اخاف ان يكون قبولاً بهذا الاقتران مكينة واخشى ان تكون عازمة على القتل بامر المؤمنين خلسة »

قال « لقد طمعت له تليعاً ولكن لزره شغفه بها وشدة سرعون في الذهاب اليها لم يدع لي مجالاً للكلام او زيارة التفصيل »

قال « لا استبعد ان تكون ناوية على قتلها . وخصوصاً اذا كانت ثابتة في رأيها مثل ثبات ابن عمها وقد شاهدنا ما كان من تصليو في هذا البار . او ان تكون متصلة مثل والدها وقد قُتِل بعناده لانه لم يعلن علناً كا تعلم .. ما العمل الاآن ؟ .. يجب ان نبلغ الخليفة الامر بصراحة اثلاً نلوم انفسنا فيها بعد »

قال « الرأي رأيك ولا بد من المبادرة فيه قبل انتضاد الليل »

فاطرق عيادة الله ببرهة ثم نهض من قرائده بفتحة وقال « الى يفتح خصي امير المؤمنين .. لا ننهي اليوم الاآن »

فاسرع شهر حتى غرفة فتح بباب دار النساء . فايقظة ودعاه الى عيادة الله فنهض حتى دخل على ابن زياد وهو يختصر في الغرفة . فلما اقبل عليه ناداه ابن زياد فدعا منه فقال لها « اذهب الى الخليفة الاآن على عجل وقل له اني اريد ان اخاطبه في امير بحصة » فضحك فتح وقال « يظهر انك لا تدربي ابن هو الليلة .. »

قال « بلى اني عالم بمجلسه ولو لا ذلك لدخلت انا عليه وكلته »

قال « وكيف ادخل عليه وهو في مجلس طرب وسرور وقد اوصى ان لا يزعجه احد بشيء . فلن يمسر على الصعود الى المنصورة ؟ .. حق ولا انا »

قال « اما انت فتدخل وهو انا اذخرك باهل هذه الليلة . وتلك هي مزية المخصوصان فامضي اليه على عجل لأن الوقت ضيق وقل له ان عيادة الله يريد ان يراك لحظة الاآن »

قال « واما انت هنـي ولم يسمع كلامي ؟ »

قال « مخوفة يا شئت . قل له ان عيادة الله يطالب مخاطبتك لاطلاعك على امر ذي بالك يتعلق بالخلافة .. ولكن لا تقل له ذلك على مسمع من احد .. امض يا فتح عاجلاً وسترى اهيبة هذه الدعوة »



الفصل الرابع والخمسون

البغة

فاسرع فتحٌ وهو يتعذر باذ بالو حتى صعد الى المنصورة فرأى الباب مغلقاً فتنهضت فسمع بزیداً يضرب بالطبلور وبتهنه . فوقف برهة وقلبه يختنق وخلف ان يغضب الخليفة اذا دعا . فلما تذكر المخاطب عيده الله فهان عليه كل شيء فدنا من الباب وقرعة «

وكان بزید في اباب ابساطه وقد انكأ الى جانب سلمي واستد رأسه على صدرها وتناثلت له السعادة بابهج حالاتها . فلما سمع فرع الباب اجل وجلس وصاح « من بالباب » فاجابه فتح « انا عبدك فتح »

فصاح بزید « اذهب فتح الله قبرك لقد ازعجتني »

قال « اني ذاهب ولكنني اتيت بهمة ذات بالمولاي امير المؤمنين » فنفع بزید وقال له « دع الجهات الى الغداة وامض . ولو فرع هذا الباب أحد سواك لقتلته »

قال « اني اعلم ذلك يا مولاي ولكنني التس من امير المؤمنين ان يربني وجهة لحظة ثم يعود »

فنهض بزید والطبلور يبعه ولد وقعت العامة عن رأسه وقف بالباب . فهم فتح في اذوه « ان عيده الله بن زياد بزید ان يكلمك في شأن يتعلّق بالخلافة »

فقال بزید « قل له ان موعدنا في ذلك الغد » وهم بالرجوع . فامسكت فتح بيده وقال له « لو استطاع تأجيله لما ازعج مولانا في مثل هذه الليلة وقد استهلتك فاتحة على ان آتي اليك الساعة . وكنت مستغرقاً في نوبي فابتليتني لهذا الامر . ولم آت اليك الا وانا انهرتك وغضبك ولكنني لم أر بزیداً من الجبي »

فتشى بزید والطبلور لا يزال يهدى وقد غضب من عيده الله وعوّل على توبيخه . ومشى فتح في أثره . ثم أمر فتحاً ان يسبقه ويدعوا ابن زياد اليه »

فرع فتح حتى لقي ابن زياد واستندمه . ثمجاً واستقبل الخليفة في دهليز مفرد

وقيل ان يتكلم بزيد ابدره عبيد الله فانالاً «انا اعلم انني ازعجت امير المؤمنين في ساعة طربه . ولكنني اطاعت على سر لا يصح السكوت عنه الى الغد الا بالخطر الشديد . فهل يا ذن مولاي الخليفة بخلوة ؟ »

فبعثت بزيد وسار في ائنه الى غرفة فيها شمعة مضيئة وليس فيها . احد فلما خلا به قال «بلغني يا امير المؤمنين ان عروشك التي حملناها اليك اليوم لاتقل خطراً عن عبد الرحمن الذي تهدى قتلك بالامس »

فبعثت بزيد وقال « وكيف يكون ذلك »

قال « لأنها ابنة حجر بن عدي و عبد الرحمن ابن عمها وخطيبها »

قال بزيد « ومن اباك بذلك »

قال « اباي و شمر الذي كشف لها الدسيسة الاولى فأخشى ان تكون سلي هذه انا انت الى متز الخليلة مثل الامر الذي هم ابن عمها يو والعباذ بالله ؟؟؟ »

فأطرق بزيد ثم قال « سمعت مثل هذا التلبيح من شمر .. ولكن ما المانع ان لا تكون هي مثلك وخصوصاً بعد ان اتيت لها ان تكون من نسائي »

قال « قد يكون ذلك اذا عرفت قيمة المعادة التي خصها بها امير المؤمنين وقد تكون شريعة متصلة مثل ابها وابن عمها وترتكب امراً عظيماً يسوء المسلمين وهذا ركن الاسلام »

قال « وكيف نعرف الحقيقة يا عبيد الله »

قال « نعرفها من الجث ين اتواها عن سلاح او سهم او نحوه ما قد يستعان بوعلى مثل ذلك المذكر »

قال « لا يمكن ان يكون معها سلاح او نحوه ولو كان معها شيء من ذلك لظاهر لعبوزنا لما بدلنا ثيابها في الحمام »

قال « وهل تحقق مولاي دخولها الحمام »

قال « لا ريب من دخولها لابي او صبيهم ان يدخلوها الحمام وقد سألت العجوز فأجبت .. ثم توقف عن الحديث وتذكر انه لما سأله العجوز عن حمامها لم تجده جواباً صريحاً ف فقال « وسائل هذه العجوز ثانية اذا كانت فعلت ما امرتها يو فان كانت لم تدخلها الحمام تزداد الشبهة عدي فتفتشها » قال ذلك وهم بالخروج باستوفته عبيد الله وقال « لا يمكن ان تبحث في اثوابها بل ابحث في كل الغرفة فاذا

ووجدت شيئاً فلما نسرع في الامر بل كن حازماً مثل ابيك رحمة الله وخذ الامر
فالثورة والعلم . وها الي متريص حق ياتني امر مولاي »

الفصل السادس والخمسون

ـ كشف المخابـ

وكانت سلي لما سمعت المخفي يخاطب بزيداً ويأبه عليه بالقدوم اليه قد اوجست
منه . على انها لم تصور انه جاء بليل ذلك الغرض . وكان نفسها حدتها بشر
يهددها فاختلط فلامها واصطركت ركبتيها ولكنها بخلدت ولبثت تنتظار عودته وقد علت
ان الشراب دار في رأسه ودنا الوقت المنشظر

وكانت العجوز قد ازرت في بعض جوانب الغرفة وطلب عليها النعاس فنامت
وقد تدل رأسها وهي جالة

فلماءاد بزيد بشت سلي بوجهه ونوقعت ان يخاطبها او يجلس الى جانبها فاذا هو
يصبح بالعجز . فاقافت مذعورة واسرعت اليه فأخذ يدها وخرج من الغرفة . فلما
خل بها سألهما اذا كانت ادخلت سلي الحمام . فلما شئت وافرت له بانها لم تفعل لانها
رأتها مخرفة الصحة . فعندها ولكنها اوصتها بالسكت ودخل وجلس الى سلي فنظرت
ل الاول وهلة انه عاد الى ما كان فيه وليس هناك ما يوجب الشك . فاذا هو قد مد يده
الى صدرها وجعل يمس ^{جوانبها} فاجالت وخافت ولكنها خلته يداعبها . اما هو فتظاهر
يداعبها ولما تم معها سلاحاً قال للجوز « الم افل لك ادخلها الحمام ؟ »

قالت « بلى يا مولاي ولكنها كانت مخرفة المزاج فلم اشأ ان ازعجها »

قال « خذيها الان وها هي في انتظاركما » وأشار اليها ان تأخذها الى غرفة
فربيه في اول الدعاير

فخيرت سلي بماذا تخوب ولكنها اطاعته وخرجت مع العجوز وهي لا تخاف الحمام
لان المخبر ليس معها . اما هو فأخذ ينش في جوانب المقصورة حتى قلب التراش ورأى
المخبر تحنه فلم يبق عنده شك في المكيدة فجعل يتنفس من شنة الناشر وحدثه نفسه ان
يقتلها بذلك المخبر حالاً . ولكنه تذكر كلام ابن زياد واسرع اليه والمخبر في يده وقد

خذ الفضب منه ما أخذنا عظيماً

اما يزيد فان شفقة سلي واجبها بحالها هونا عليه الناس العذر لها فقال « ولكنني مع ذلك لا اأرى ان احكم عليها مجرد الفتن اذ قد يتحقق ان يكون هذا الحجر هناك بالصدفة وهب لها كانت متعمدة قتل فهل تحيل استئنافها ؟ »

فادرك عبيد الله غرض يزيد واستصوب رأيه لاته عدل» فقال «لقد اصاب مولانا والرأي عدي ان يبعث اليها من يستطعها ويسألهما عن هذا الحجر وسيب وجودها فادا اقرت بغيرها عنها وحرضها على التوبة والناس العفو عنه، فان فعلت بقيت والا فالخاطر لك »

قال يزيد « من الرأي هذا ولكنني لا آمن ان اعهد بهذه المهمة الى بيواك لاعلي بمحكمتك ودهائك »

فلم يصدق عبيد الله ان اذن له بذلك فاسرع الى الغرفة التي كانت سلي فيها وكانت سلي لما نزلت الى تلك الغرفة والجوز معها ولم تجد هناك شيئاً من معدات الحمام ادركت ان امرها لم يرق مكتوماً وانها انتسبت الى هناك لامر بوجب الخوف فلم تعبأ ببنيه وقد يثبت من الخبراء ولو لا الافتخار بعد الرحمن واملاها ببنائه لما ترددت لحظة في الموت . وكانت الجوز ايضاً مندهشة ولم تفهم معنى هذا الانقلاب ولم يستقر لها المقام هناك حتى جاء ابن زياد وقع الياب ثم فرجت له الجوز . فقال لها « ابن سلي »

قالت « وما الذي ترينه منها »

قال « اربد ان ابلتها امراً من امير المؤمنين »

قالت « هي هنا » وأشارت الى داخل الغرفة

الفصل التاسع والعشرون

سليمان عبيد الله محمد

فدخل عبيد الله وقد خجاً الحجر تحت اثوابه . وكانت سلي لما سمعت صونه ارتاعت فرائصها وارسمت النقاب على رأسها . فلما اقبل عليها وتصور جمالها قال في

نفسه « حرام ان يمس هذا الجسم بسوء » فنطاف في الكلام وقال « لند جدت من قبل مولاي امير المؤمنين اساً لك عن امر ارجوان ثم جيبي عليه بالصدق » فطلات سلى ساكنة مطرفة ولكن قلها اشتد خفانا . فلما لم تجتب مد عبيد الله به الى جيبي واستخرج الخبر وقال لها « انعرفين هذا الخبر يا سلى » فلمارأت الخبر تحفظ فثابها بانتهاها ذاهبة فرقة جسراها فامتنع لونها وظلت مطرقة لانها لم تجد جواباً تجيبي به

فتوس عبيد الله من سكونها خيراً وقال لها « يظهر انك نادمة على هجبك في مثل هذه الحال والعاقل من رأى العبرة في غيره فاعذر . اما كاك ما رأيت من فشل عدد الرحمن وطيشه حتى القتيل بنفسك الى التهلكة . ولا ريب انك انت فعلت ذلك بغراء بعض الجهال والا فلن كان عند ذرة من العقل لا يفعل مثل فعلتك ... يطلبك الخليفة لتكوني عروساً له فتصبدي قتلة وانت تعلمين ان حولة الجندي والرجال ! فوالى ابن تفرين ، فاذا قلت انك عالقة بذلك الشاب الجاهل فاعلي انه قتل واصبح في عداد الاموات مذ ساعتين »

ولم يكن عدد الرحمن قُتل بعد ولكن عبيد الله ظن يأسها منه يقرب رضوتها لكنه لم يبلغ الى هنا النول حتى شهفت سلى شهقة اجمل لها عبيد الله واطلقت لنفسها عنان البكاء لانها نصورة فثابها وفشل حبيبها وذهاب آمالها ادراج الرياح . فلما سمعت انة صار في عداد الاموات لم تهالك عن البكاء والخوب .

فلما سمعها عبيد الله تبكي عليها ندمت على ما فرط منها فجلس بجانبها على وسادة وقال بنعنة المشفق « لا تبكي يا سيدتي ولا تخافي ، فاذا كنت نادمة على ما فرط منك فانا اتوسط لك في العنو لدى امير المؤمنين واظنه يعني عنك »

فلم تجتب ولكنها أبطلت البكاء ولبست صامتة وترحبت من مكانها لتبعد عن عبيد الله وقد تحول خوفها الى غضب واصبحت بعد ساعتها هوت عبد الرحمن لا تبالي بالحياة بل هي تهفي الموت . ولو عرفت عبيد الله وجهها من وراء النقاب لرأى عليه امارات الغضب وليس امارات الخوف . ولكنها حمل سكونها اتحمل التبول فتقال لها « وانا اضمن عنك الخليفة عنك اذا افررت بذنبك ولعنت ابا تراب »

فلم تعد سلى تصير على ما تسبحة فرفعت راسها وقالت « امض يا ابن زياد من امام وجهي »

فقال وهو يازحها « وهل تريدين ان ابعث اليك امير المؤمنين ليكون العنوان على يدك » .
 قالت لا تزال تذكر العنوان .. ومن اطلبه ؟ امن يزيد بن معاوية دفاعاً للطباير
 ومعاقر الخمور .. وعلى ما اطلب العنوان .. الباقي ابني حمزة وانت تأول انكم قتلتم
 عبد الرحمن ؟ .. آه منك .. آه من ظلمك وعنوك .. قتلتم عبد الرحمن وحيثما تلقنون
 بقائي .. اقتلوني فما أنا طاغية بالحياة بعد الذنب ما نالوا قبلي .. » قالت ذلك واختنق
 صوتها وهي تبكيه ولا تزيد انت بهدو الصعف عليها وعيده الله بحسب بمحارتها . وكان
 يجلس النظارى وجوجهها من خلال النقاب وهي شكل فخر عباءة عينها وملامح فيها حتى اذا
 هم يخاطبها رأها عادت الى الكلام فقالت « ثم انتم تجعلون عنوان علي شرطاً على العنوان
 وهو اول الناس بالفضل .. دعوني من عنوك والحقوق في عبد الرحمن المحتوئي به ..
 اقتلوني .. آه يا عبد الرحمن قاتلوك قاتلة الصالحين ؟ ساقوك دماء الابرياء ..
 لاجرم .. ان لك اسوة باوليك .. » ثم ختحتها العبرات فسكتت

فاجابها عيده الله وهو يختلف عنها « يظهر انك لم تنهي حقيقة حمالك . انك متعمدة قتلت
 الخليفة وهو اما ياعني لافتلك فشققت على شبابك واردت استيقاؤك اهلكنا يكون جوابك »
 قالت « لا جواب عندي غير هذا .. اذا كنت آتياً لقتلني فانا اقول لك اقتلني
 وما القتل الا من اسباب الراحة عندي اقتلوني .. اقتلوني .. »

فقطلع ابن زياد خطابها وقال « أتفعلين القتل وخسارة الدنيا والاخرة على ان
 تلقي علينا او على ان تستغفرى الخليفة وانا واثق بانك لم تقدمي على هذا المكر الا باغراء
 بعض الناس و .. »

فقطعت كلامه وقالت « لم يغوي احد ولكنني تعمدت قتلة انتقاماً لامي وابن عمي
 وسعياً في مصلحة المسلمين . ولم اقدم على هذا الا وانا عالمه بما يهددني من خطر القتل . فلم
 اتو نقلاً ما اريد .. فاقتلوني فما انا خير من قاتلتهم قاتلي »

فقال عيده الله « افي انصبك نصيحة لوجه الله ان تقلعي عن هذا الحق ولا فالله من
 العناد فقد اصبت وحيطة لانصبر لك الا ان تشقي على شبابك وتطيعوني .. اني والله
 ارضي بهذا الوجه الملح اني يعززه الزراب »

قالت لانضن بشيء لا يضرني يا صاحبة .. اقتلاني او اعمالي هذا المخبر فاخذته في
 احناني » قالت ذلك ومدت يدها الى المخبر فاخذاه عيده الله وتحقق « ان الكلام
 معها لا يجدي نفعاً فتركها وعاد الى يزيد

الفصل العشرون

— ان الله جنداً من العسل —

وكان يزید في انتظاره على مثل الجمر وهو يود أن ترجع سلى عن عزمها وتعتذر
وتبقى عروسأً له — فلما عاد عبيداً الله فص عليه ما بدا منها من الاول الى الآخر فعاد
يزيد الى غضبو وقال «فجها الله من خاتمة مذاقفة»
فلما رأه ابن زياد في تلك الحال قال له «ماذا برى مولاي ان نعمل بها»
قال «أرى ان اقتلها حالاً بهذا الحجر»
قال «انها تستوجب القتل ولكنني لا ارى ان تلوث يدك بدمها ولا ان تحمل احداً
من اهل التصر يعلم بذلك»
قال «وكيف اذن؟... أأعنوها؟؟»

قال « اذا عنونت كان ذلك من حملك وسعة صدرك وكذلك كان ينفع ابوك
رجحة الله . فنجد كان يسمع الاهانة من نساء بي هاشم ورجالهم فيسكت عنها وهو قادر على
الانتقام . وكثيراً ما كان يترهم ويعطيمهم العطبات ^(١) وهو دهاء امتدحه المقلاء
عليه . ولو لا ذلك ما هان عليه تأييد سلطانه . فاذا رأيت ان ترفع عن الانتقام من
هذه الفتاة وتخرجها من قصرك افلا ، شرعاً فعلت ما هو جدير بابن معاوية بن الياسفوان
قال « اطلب مني الافراج عن هذه الفتاة بعد ان شفقت عزيمها على قتلي ?
لا اظن معاوية ينفع ذلك في مثل هذه الحال »
قال « اذا لم يكن السكوت عنها مكناً فافعل ما بدارتك . ولكنني لا اريد ان يعلم
أهل هذا القصر ان هذه الفتاة تجرأت على النبك بالخليبة لثلاً بعون الاقدام على ذلك
في عيون الآخرين »

قال « ما العمل اذاً »

قال « قلت لك افعل كما كان ينفع ابوك . فاذا لم يكن من قبيل الجنو بالحمل
واسع فعلى سبيل القتل بالعسل ... ألا تذكر طيبة الصرافي ابن أثال »
قال « على »

(١) المسوudi وابن الاثير العقد الفريد الخ

قال «الم يكن ابوك يستخدمه في قتل اعدائه سراً بالعمل المحموم»

قال «سمعت ذلك لكنني لم اتحقق»

قال «الآن نذكر لما اراد والدك رحمة الله ان يهايئك في حياته ما كان من امر

عبد الرحمن بن خالد بن الوليد؟»

قال «وأي شيء تتفق؟»

قال «اعني ان اباك لما اراد ان يمهد بالخلافة اليك من بعده جمع اعيان اهل الشام اليه وقال لهم (اني قد كبرت سفي ورق جلادي ودق عظي واقترب اجلني واريد ان استخلف عليكم فمن ترون) فقاموا (عبد الرحمن بن خالد بن الوليد) فسكتوا واضمرها ودنس ابن اثال الطيب الذي ذكرته فسقى عبد الرحمن هنا قدحًا من العمل ممهوراً.

فمات الناس بمحضه مات بعلة . وفعل مثل ذلك ايضاً بالاشتر وكان علي بن ابي طالب قد اتفق^(١) والياً على مصر بعد قتل محمد بن ابي بكر . فسرر والدك الى دعنهن العريش فقال له (ان قتلت الاشتير فذلك خراجك عشرين سنة) فسقاء السم في العمل فمات الاشتير وخلصنا من شره على اهون سبيل . وهكذا فعل ابوك ايضاً بالحسن بن علي لما رأى ما كان من حاله في امر الخلافة فدس^(٢) الى جمعة بنت الاشعث زوجة الحسن وقال لها (ان قتلت الحسن زوجتك بزيادة) فدست له السم فلما مات الحسن بعثت جمعة الى ابيك تعالله بك فاجابها (اني اضن^(٣) بيزيد) وقد مات في ايام ابيك كثيرون

من اكابر الناس بهلك الحيلة وكان ابن اثال هو الذي يركب لهم السهم ويزرجهما بالعمل^(٤) فهل كان ابوك حاجراً عن قتلهم بالسيوف ؟ كلاماً ولكنه كان يرى السم اهون سبيلاً حتى قال «ان الله جند^(٥) من العمل»^(٦) فإذا كان لا بد من قتل هذه الفتنة فما يمنعك من ان تفعل انت ايضاً مثل فعل ابيك . وما هي الا جرعة تشربها فتموت والناس يحسون بها ماتت بمرض او نحوه . وهذا طيبك ابو الحكم عالم بتنوع الادوية ولله وصنان مشهورة وكثيراً ما كان والدك ايضاً يمتلكه ويعقد عليه في تركيب العقاقير مثل هذ

الغاية^(٧)

الفصل الحادى والستون

﴿أبو الحكم الطيب﴾

فلا فرغ عبيد الله من كلامه قال بزيد «يا ايي الحكم في هذه الساعة» فخرج عبيدة الله الغرفي فرأى شهر وكان في انتظاره هناك ف قال شهر «ماذا فعل الخليفة» قال «لقد كشف المكبة وتحقق قوله، انعرف منزل اي الحكم الطيب النصري؟» قال «اعرف انه بالقرب من هذا النصر»

قال «سراليو وقل له ان امير المؤمنين يدعوك اليه الساعة» فسار شهر وتحول ابن زياد الى بزيد فرأاه جالساً وقد اخذ الغضب منه ماخذها عظيماً فجعل بهون عليه ويهبه بالسلامة ومن قوله «محمد الله انة اطف هولانا وكشف لنا نيات اعدائنا فلا نطلع الشمس الا وقد قتل هذان الخائنان وارتاحت البلاد من شرهما وما ذلك الا لأن الله مؤيد سلطاناً بالرغم عن اهل العناد» فانشرح صدر بزيد وقال «بورك فيك يا عبيد الله وبورك شهر الله واش ذو فضل علينا ومسئولي علاء يفتح بع ان شاء الله»

وبعد قليل سمعاً وقع اقدام بيتهما خنق نعال رومية فعلموا ان الطيب قادم ثم دخل شهر وهو يقول «ان الطيب في الباب» فامر بدخوله وكان ابو الحكم شيئاً تدللت على صدره لحية بيضاء وبيان الضر على وجهه من تمجد بشريه وقد تزمل برداً على عجل ووضع القائمة على راسه بغور نظام لسرعة قدوه وفيها الخليفة ووقف بين يديه فابتدره بزيد قائلاً «اجلس يا ايي الحكم» فجلس

فقال بزيد «اتدري لماذا دعوناك»

قال «كلاً يا مولاي»

قال «دعوناك لنتبعين بعلمه على مقاعدة الخونة اهل الغدر»

قال «اني وما اعلم ين بدبي امير المؤمنين»

قال «هين لنا جرعة عسل قاتلة واستهها في البحر القادم لئن رأها جائمة مع عجوزنا في المتصورة، واحذر ان يعلم احد بذلك»

قال «العجب يا مولاي كيف تخذلني من هذا الامر وانت تعلم اني طالما كنت افضل
مثلك بامر ايك ولم يعلم بواحد»

قال بزيد «فامض الان واعد العقاير واستعن بمحبنا عيد الله على ذلك»
فوقف الطبيب وقبل بد الخليفة وخرج وهي الخليفة الى فراشها وسار عيد الله
الى غرفتها وقد سر شهر بيغود بغيرها

الفصل الثاني والستون

عامر

فلذكر ابا المحكم بيهي «جرعة العمل» ولنعد الى عامر وما كان من امره بعد خروجه
من الدبر . فانه خرج بالرغم عنه وقلبة معانى بسلى خوفاً عليها ما عرضت نفسها له من
المخطر المظيم . فاستظل في مكان يشرف على المارة حتى رأى موكب على مارلا الى
دمشق فاصدح قلبة وندم على مباراهما ومحقق وقوعها في الفتن وذعابها في
وعد الرحمن ضياعاً

لبث مستظللاً في الغوطة حتى نوارى الموكب . فلم يعد يستطيع صبراً عن لبع الخبر
في شعوذ دمشق وهو يذكر في سبيل يدخل بودار الخليفة ويستطلع احوال عبد الرحمن
وسلى . وما زال مائياً حتى دخل دمشق فسار الى المسجد وهو يعلم ان دار الخليفة
في جانب المسجد . فلما اقبل على الجامع رأى الصلاة قائمة ويزيد يخطب في الناس . فتجدد مع
الساجدين واخذ ينفرس في الوجن لعلة يرى احداً يعرفه ليتعرف به او يسترشد او
يسنثرهُ فوق نظره على شاب واقف بازاء استطوانة من استطوانات المهد يسمع الخطبة .
ويخل له الاول وهلة انه يعرفه . فنفرس فيوجدها فتذكرا انه رآه في غير ذلك المكان
وما لبث ان عرفة وهو الفرزدق الشاعر الشهير . وكان يومئذ في اول العقد الرابع من
عمره لم يتزوج نواراً بعد . وكان سبب معرفة عامر به ان غالباً ابا الفرزدق جاء الى
الامام علي بعد واقعة الجمل بالبصرة (سنة ٣٦٥) ومعه ابنة الفرزدق وكان صبياً وقال
علي «ان يبني هذا من شعراء مصر فاسمع منه» فاجابه علي «علمه القرآن»^(١) وكان
عامر حاضراً في ذلك مجلس وانجذب بغيره الامام علي الدين . ثم شاءد الفرزدق بعد

ذلك بأعوام في الكوفة وقد صار شاباً فذَكَرَ ما قاله الإمام فقال الفرزدق «إن تلك الكلمة ما زالت ترنُ في أذني وقد قيدت نفسي عن الشعر فلأكثُرْ ان لا أقول الشعر حتى أحافظ القرآن»

وكان عامر يعلم أن الفرزدق منشيع لأهل البيت سراً فرأى أن يستعين به في الأمر .
ف لما انقضت الصلاة وتفرق الناس سار في البر فرأه يخرج نحو القصر فاعترضه وأوقفه وجاهه فعرفه الفرزدق ورحب به فطلب الخلوة . فشيئاً ما مزلاه فلما خلوا شكا له عامر حالة حتى يك . فاستغرب الفرزدق حكمته وقال «ما العجل الآن وما الذي استطعه . إن الواقع مشكلة . ولا يستطيع أحد النظاهر بهذا الامر كما اعلم . ولو شاورني عبد الرحمن لأشربت عليه بالمسكون لأن الامر قد استتب لهؤلاء ولا حيلة في التجاة من أبد لهم فلا يهدنا التمرد شيئاً»

فنهد عامر وقال « وهو لم ينتم على ذلك برأيي ولكن لا خير في الواقع وإنما أريد منك أن تصحيبي معك إلى مجلس الخليفة فاقف بيأب في جمالة الشعراء لعلى أسمع ما يجري على عبد الرحمن من المقدادير »

قال الفرزدق «أني أجعلك راويني» و كان الشعرا . في الجاهلية وإقبال الإسلام يصطحبون الرواية حيثما رحلوا وكل شاعر راوٍ خاص يحيظ شعره او يروي له اقوال الآخرين فإذا دخل الشاعر على الخليفة دخل راوينه معه وجلس مخاذبين)١١-

فاسخن عامر الرأي فذكر بذلك الرواية وخرج مع الفرزدق حتى دخل دار الخليفة ووقفنا مع سائر الشعراء ولم يأخذ بزید للشعراء بالدخول عليه في ذلك اليوم كما نقدم .
ولما عان فكان يستطلع الأحوال وبنفس الاخبار شاهد عبد الرحمن بعيونه لما ساقه مغلولاً للرُّوع الأولى ثم جاء بعض الذين كانوا معه وقص ما ظهر من بسالته وهو مجيب بذلك

ولما استندمته للرُّوع الثانية وجاء الخبر بعد رجوعه قص ما كان من الامر بقليل . فوقع عامر في حيرة وبحث عن الحجرة التي سجن فيها فعلم أنها حجرة واطلة كانت في عهد الرومانيين حاماً بفضل بوالي دمشق . ولم يجد عامر يستطيع صبراً وهو يذكر في حيلة ينفذ بها عبد الرحمن ثم ينكر في سلي

الفصل الثالث والستون

السرداب

وفيها هو يعمال فكرته تذكر الشيخ الناسك فاستأذن النرزدق وخرج مسرعاً إلى الغوطه حتى أطل على الدبر فالناسك عذر الجوزة جعلها لتبة المرة الأخيرة . فسمع نباح الكلب قبل وصوله إليها فاستبشر وأسرع إلى الجوزة فرأى الناسك متكمياً فوق قبر مجرر ولما سمع نباح الكلب جلس ونظر إلى عامر . فلما عرفه أرخى شعره على عينيه وصاح بـ « ابن سلى »

قال « إنها يا سيدى في قصر بزيد لا ادرى ما آل اليه حاماها وإنما جئتك في أمر ذي بال لا أخال أحداً يفرجني فيه سواك »

قال « قل وإنك على الله »

فقص عليه حديث عبد الرحمن باختصار حتى أتى إلى آخر الكلام فقال « وفي هذا الليل يتنلونه ... سيفتنك شر اللعنين ينهى فما العمل ؟ »

فظل الشيخ الناسك مطرقاً ولم يجب . فسكت عامر أيضاً لمليء ان الناسك وإصحاب الكرامات لم مناجاة خصوصية يستخبرون الله بها . ثم قال الناسك « لم تعلم ابن سجيننا عبد الرحمن »

قال « بلى يا مولاي الله مدجنون في الحمام القدم في قصر بزيد »

فرفع الناسك رأسه وقال « أبشر بالنرج يا عامر ... ولكن يجب أن تكون رجلاً وتتشدد وتتكبد الخطأ في إنفاذ عبد الرحمن »

قال « أفي مستعد أن أفذيه بروحي ... »

قال « انعرف الكيسة جيداً »

قال « واي كيسة يا مولاي »

قال « كيسة الذي يجيئ التي جعل المسلمين نصفها جامعاً وهي بحوار القصر »

قال « نعم أعرفها وقد كنت في صباعي اذا جئت مع اهلي إلى دمشق صلبت فيها وغلن يومئذ على دين النصرانية مثل سائر آل كعبه »

قال « لا يخفى عليك ان الجامع والكبسة والنصرة ملاصقة وبجاورة »

قال «نعم يا سيدى»

قال «ادخل الجر» الباقي للنصارى يصلون فيه ولاحرج عليك في الدخول . ولكن يجب ان تختال في البناء بالكنيسة الى الليل . فإذا امتهن الميون امش الى جانب المحراب فتجد هناك رخامة مشغولة بالصيناص على شكل اسد . فإذا رفعت هذه البلاطة رأيت سلماً قصيراً يؤدي الى سردار تحت الارض فامش في ذلك السردار وانت تجسس الجدران يديك واجعل اعتقادك على اليد اليسرى . فلا تتشي بضع دقائق حتى تقبل على باب صغير يستطرق الى الحمام . فإذا توافت للوصول اليه وعبد الرحمن ياق حلّ قيوده وعده بـ: في نفس السردار واجعل هذه المرة يدك اليسرى دليلك فيطول بك المسير في اثناء رجوعك فلا تخف لانك نصل بعد طول المشقة الى مكان خارج سور المدينة . فإذا تجوهت تعالياً اليه»

وكان الناسك يتكلم وعامر مطحاوی يصفي لتوهه فاستبعد اتفاق ذلك وخاف ان يعتقد على هذه الصيحة فيقضى بيته اليوم في الانتظار ثم لا يوجد سرداً ولا سيلًا ونكون الفرصة قد فاتت . فاراد ان يتحقق بمحاجة مساعاه فقال «هل يسمح لي مولاي بسؤال»

قال «لانشكك يا عامر في ما اقوله لك ولا تظن قولي من قبيل الغلن او الحلم . ولكنني اعرف المكان جيداً وامثال هذه السراديب كبيرة في دمشق واكثرها كان اقنية للاء من عهد الروم ثم اعادوا عنها باقنية اخرى جديدة فظللت تلك السراديب حالية . ولا اخفي عنك انك قد تلقي مشقة كبيرة في تحطيم هذا السردار لانه مهجور من زعن قدم فربما انسد في بعض اجزائه او هدم في البعض الآخر ولذلك قلت لك ان هذا العمل بمحاجة الى شجاعة وافدام»

فاطنان يال عامر وتحقق وجود السردار ولم يعبأ بها قد يتحول دون المسير فيه ويهض فقيل يد الناسك وهو لا يرى وجهة . تقبل الناسك راسه ودعا له بال توفيق فاستبشر عامر بدعاؤه لاعتقاده بكرامته واربع الى دمشق وسار تـا الى الكنيسة وهو يعرف مدخلها ويسهل عليه النظاهر بالنصرانية لانها ما زالت قرية العهد منه

الفصل الرابع والستون

الكنيسة

وصل عامر الى الكنيسة ساعة الغروب فاشتم رائحة الجنور وسمع اصوات المشددين وهو لا يزال في صحبها فعلم ان الناس في الصلاة . فدخل في جملة الداخلين ولم يتبه له احد لان امثاله كثيرون من نصارى الپادية واكثراهم من عرب غسان فكانوا اذا ترلوا دمشق دخلوا كائسها وسمعوا الصلاة فيها . وكان الغساسيون قد اسلم معظمهم على اثر الفتح اما فراراً من الجزرية واما ترلوا الى المسلمين . ولكن جماعة كبيرة منهم كانوا لا يزالون على الصرافية وقد اقاموا في البلقا، وحوران وكانت بآتون دمشق للاستبعاد او غنوه فبدخلون الكائنات ابتدروا بالصلاة وهم لا يفهمون منها شيئاً الا من كان يعرف اليونانية منهم . وكان في دمشق كنائس اخرى غير هذه

فلم يدخل عامر كنيسة ماري بوجنا المشار إليها لم يستغرب احد دخوله فالنفس مجلساً متزويًا جلس فيه الصلاة قائمة ولا شيرت تصاحب والجنور يتصاعد وهو يذكر في حاله وما هو منتحبة من الخطأ الشديد — ولم يكن يهالي بالخطأ لوانه وائق بخاج مسعاً وبحو العشاء انقضت الصلاة وتفرق الناس فظهوره وبالتعاس والضعف . فلما خافت الكنيسة من المسلمين وضُعَّفَ النسيسون الى غرفهم دار الخادم (القندلفت) على الشموع وجعل يعلقها . فلما رأى عامر بفعل ذلك ورأى الظلام يتکاثف تذكر سردابه وما قد يكون فيه من الظلام الحالك فقال — لابد لي من مصباح او شمع استضيء به في طريقي . ففول على سرقة بعض الشموع ما على المذبح . ولكنها ما زالت خائفاً من الخادم . وفيها هو يذكر في ذلك دنا الخادم منه وكلمه مستنهما عن غرضه . وكان الخادم من اهل دمشق وقد نعلم العربية . فقال له عامر « اني رجل مريض وقد نذرت ان ایست الليلة تحت صورة التدليس بوجنا لعي ابراً من دائي »

فایحسن ایهانه ولكن استطال الاقامة معه طول الليل لانا مأمور باقفال الكنيسة قبل انصرافه فقال له ولكنني « اريد اقفال الكنيسة » فقال عامر « اذا كنت خائفاً مني فاقفل الباب وخذ منتحة معك ودعني انا هنا الى الصراح لاني قد بدأت اشعر بالراحة فعسى ان يتضاعف ايماني »

فلم يرَ الخادم بأَسَا من يقاومه طالما كانت البيعة مقدمةً ومتناحها معه فسايره ولكنَّه بالغ في مساعيه فجاءهُ بزرت من زجاجة مقدمةً كانت في حقِّ أمام إيقونة العذراء ودهن يو رأسه وقال له ان بركة العذراء تعجل شفاءك . فنظاماً عamer بالنوم فدعا له الخادم بالشفاء وتركه واقتيل بباب الكيسة وخرج إلى غرفته وصبر عamer برهة وهو ينظر إلى الكيسة وعلو سقفها وما تعلق بها من المصايد والشمع وكثراً مطناً لا مصايد صفرة معلنة أمام الآياتونات الكبرى وفي بعض الآياتونات صور كبيرة يقطع الآدميون ظهرت لها مجسمةً وزادها فراغ المكان تجمساً ورعبه فاقشعر بدنه ودخول له أن تلك الصور أشباح حية ترقب حركته وإصرارها كلها مصوبة نحوه . ثم نذكر عبد الرحمن وما هو فيه من الخطير فهو من متكلّم وأصالح يسمعه فلم يسمع صوتاً ولا حركة فتحقق نوم الناس وقد مضى هربيع من الليل

الفصل الخامس والستون

السرداب

وكان قد راقب البلطة التي وصلها له الناس فشي إلى جانب المذبح حتى وقف بقرب البلطة فتأملها فإذا في كبيرة وليس فيها مكان تمسك به ولا شقٌ تستند إليه فاستل خجوره وعالج مكان انصافها بما يجاورها وما زال يعالجها حتى ترجزت وتسم قرب اقتلاعها فأخذ يهمن بشمع يحمله معه واستدير به في ذلك السرداب وكله من الشمع الأصفر . ثم دخل شيئاً منه في جيوبه واستيقن واحدةً اشعلها من مصباحٍ ورفع البلطة بلياقة وخففة لولاً يسمع لها صوت ولم يكدر ينقلها حتى أحسن بنسيم بارد خرج من السرداب وفيه رائحة عنيدة فاستبشر بسهولة الطريق لأنَّه كان خائفاً من الاختناق . فنزل على درجات من الحجر والشمعة في يده حتى وصل قاع السرداب ففاصت قدماءً في بقايا مياه وأحوال وجام البعض حول الشمعة ولم ينمط بعض خطوات حق جاءاته نسبة قوية أطلاع الشمعة فاظلم السرداب فرمي الشمعة ومشي وهو ينفس ويتنفس ويساره على الحائط وقد أحسن بربطه وقلبه يهتفق ولا يسمع غير طنين البعض ولا يرى شيئاً لشدة الغلام ثارة يغوص في الأحوال وطوراً يغار بالاحجار حتى أنهى إلى مكان جاف

فاسرع فيو وهو يجهاق بعناده ويصيخ بسمعه لعلة برى بصيحاً او يسمع حليها
وفيا هو في ذلك سمع صوتاً بعيداً لم يفهمه لبعده فاسرع في خطواته وينه المسرى الى
الحانط والصوت ينرب منه حتى عثرت رجلة بمجرد فوف وترس في المكان وتجسس
الارض بانامله فإذا هو عند آخر السرداد وامامه درجات لابد لها من صعودها .
و قبل ان يخطو عليها رأى نوراً ضعيفاً خارجاً من شقوق باب صغير في أعلى السلم وسمع
قائلاً يقول « لا تهددي بالقتل فاني لا اخاف الموت »

فعلم عامر انه وصل الى السجن وعرف صوت عبد الرحمن فصعد الدرجات حتى
دنا من الباب ووضع عينيه على شيء فيو وحدق في ما هنالك فرأى رجلاً واقفاً كان
ينه صباح فوضعة على حجري بارز من احد الجدران ودنامن رجل آخر جالس والإغلال
في يديه ورجلين . وتدرس عامر في الرجل الواقع فعرف من يماض برصو انه شهر ورأى
في يده شيئاً مسلولاً وعرف ان المجالس عبد الرحمن . ولم يك عامر براها حتى سمع
شهر يقول « يا للعجب من وفاحتكم ووفاحة ابنة عمك !! انت تقول اقتلوفي لا ابابي
وهي تقول كذلك وانا متفolan لاما عالة .. قتلت سلي في هذه الساعة وانيت لاقتلك
.. ولتكن قبيل ان اخرج هذه الروح الفجيعة اطلب اليك بامر امير المؤمنين ان تلعن
علياً فإذا فعلت علمت انك نادم على ما فرط منك من تعدد قتل الخليفة .. »

الفصل السادس والستون

التهديد

قطع عبد الرحمن كلامه وقال « الخوفني يا شهر بقتل سلي وهي بعينك
لاناما اسيافقكم »

فضحك شهر وقال « اقول لك انك جاهل مغدور ولا تصدقني .. ابني قد سرت
سلي الى هنا النصر في هذا الصباح ليتزوجها الخليفة وقد ماتت منذ ساعة .. وإن شئت
ان الخبرك كيف مانت فاقول لك ابها تحررت السب بالعمل .. واما انت فساميتك بجد
هذا الميف » قال ذلك وهز السيف بيده فاهتزت اعضاء عامر وختل خلخ الباب
ولكنه رأى شهر وقف ولم ينرب من عبد الرحمن

اما عبد الرحمن فلما تحقق موته سلى صاح صحبة قوية وتميل والاغلال تنبع من الحركة . فجمع عامر صاحلة اغلاله ثم سمعه يقول « تباً لكم يا اهل الفدر . انتلوت سلى ونامسون بقائي ثم تكلوني على هذا البقاء لعن خير الناس بعد الرسول ... تكلني يا شمر لعن علي ... آه ... ما العمل وقد قيدتم يديّ ورجليّ والمموت اقرب الى من حبل الوريد ... ولكنني لا اخاف منه ... عجل بقتلني يا اندل الناس ... لا لافي حبيبي في مكان لا غدر فيه ولا خيانة ... ولكن ... باليمهم اخباروا جلاداً غيرك لاني اكره ان اموت بسيف نذر لهم مثلك ... »

فقطع شهر كلامه وهز سيفه واجابه ببئر وصوت مخض وهو يبسم « لم يختاروا غيري بهذه المهمة وساقتني بهذا السيف الصغير ... »

فصاح عبد الرحمن « اقتل قاتلك الله ... ولو اتيتني على سلى لكت آسف على الحياة من اجلها ولكنكم ارسلتوها الى النعيم قبلي فالحقوفي بها ... آه يا سلى يا ابنة حجر بن عدي ... قاتلوك والحقوفي باليك ... قاتلوك آه ما افسي قلوبهم ... انتلني يا شمر ... ولكن نهل قليلاً دعني اذنب حبيبي دعني ابكي سلى خطبني قبل ان افند الشعور ولا استطيع ندبها ... اعوذ بالله من شروركم ... كيف تنتلون فتاة طاهرة ؟ ... اما تخافون الله اما تخافون ذلك الموقف الرهيب ... هل بكى يا سلى على حبيبك قبل موتك ؟ هل تعلمين افي لاحق بك على عجل ؟ ... »

فابتدره شهر قاتلاً « قد علمت سلى انك مت قبلها او انك مائت بعدها وقد كنت عازماً على انتقامتك ببرهة لآنذاك بعذابك ولكنني أراك نطلب البناء لتدبر حبيبيك فاما ميق عليك ... وها افي قاتلك الساعة فاختر لك موته ... » قال ذلك ووخره برأس السيف في كتفه وهو يقهقح . فصاح فيه عبد الرحمن « اضرب يا شمر انتل اضربي عنقي ... » قال ذلك وحرق اسنانه ثم قال « آه لولا خوفي من ان نقول خاف عبد الرحمن من الموت لاصمليك لاندب سلى ... »

وكان عامر ينظر ويسمع وفي اول مرة سمع فيها يقتل سلى وكان يمسحها في امان . فلما سمع بقتلها ورأى ما رأاه من شهر خاف ان يسمحة شهر بالسيف فيقتل عبد الرحمن فتضاعف المصيبة فاستند ظلوع الى جانب الباب وتجمع بكلينه وشجن مسئوليه ورفس الباب رقصة كسره بها ونوب حتى وقف في وسط المخجر . فاجفل شهر ووقع السيف من يده فهم ان يلتقطه فابتدره عامر بالمخجر وطعنه في جنبه فوق قبضه بدمه

فظله عامر قد مات وتحول الى عبد الرحمن وحل قيوده وكسرها وعبد الرحمن مبهوت وهو يحسب نفسه في منام ولا يدرى ما يقول وعامر لم يزد على قوله « لا تخف يا عبد الرحمن جاءك الدرج » وسكت وهو يشتغل بحمل القيد ولم يبق في المجنون صوت غير ابن شر وهو متى على الأرض

الفصل الابتعاد والستون

خطر آخر

فلما فرغ عامر من حل القيد قال له « اتبعني » وعاد الى السردار . فمشي عبد الرحمن في اثره فقال له عامر امسك ذيل ردائى . فامسكت ذيله ومشيا وهما يلمسان الحائط الى البسار وعبد الرحمن لا يزال يحسب نفسه في منام . فتفضيا في السردار زمانا طويلاً ولم ينرضا الى النور فقلن عامر انه اخطأ الطريق ثم احس بالخجس الملوء عنها وضاق تنفسها فحدثته نفسه ان يعود ثم تذكر قول الناسك وما الذرة وما سيلقيو من المشقة في الخطر فعول على الاستقرار في طريقه حتى اشتد بها الضيق واوشكا ان يختنقوا من كثرة العفنونة وقلة الهواء . ولاحظ عبد الرحمن تلكة فقال له لا تأسف على حياتنا باعاه ... لا باس من موتنا معنا في هذا السردار لا يعلم بما احد فاني لا أرى الحياة عزيزة بعد موت سلي واما انت ... »

فاختدره عامر قائلاً « ولا انا احب البقاء بعدكما ولكنني لا احب ان نموت قبل الانتقام من هؤلاء الاشارار ... وأسناء ارانا في خطر الموت اذا لم يدركنا مفند تنفس منه الهواء ... »

فقال عبد الرحمن « دعنا نموت باعاه يا ما احلى الموت فانه يقربنا من حجرنا ابنته ... لا تأسف على الحياة بعدها ... ولكنني احب قبل الممات ان اعلم كيف قتلواها وما الذي اوصلها اليهم وكيف وقعت في النخ »

فقضى عليه عامر كل ما وقع له مع سلي من بعد ذهابه وعبد الرحمن يعجب بشهامها وبشهادتها حتى أتى على آخر الحديث وفيها هي في تلك الحال سمعا خططاً على سطح السردار فوقها كانه نيش بالمعاول .

فقال « عامر اني اسع نيشا فصي ان يكون اللہ قد فتح علينا » فاصفاها بمعيها واذا بصوت البیش يتعاظم و بعد قليل رأيا التراب يساقط عليهم فتفقرا الى الوراء ثم المختب
كون في السف دخل منها نور ضئيل كايان نور الغرب وجري السیم فانبعثنا . فقال
عامر « لند فتح الله علينا بابا للنرج » وهما بالمدبر فسحاما جلبة وفيها صوت رجل يقول
لرفقاو « اهيم اهان يدفنوها الا في هذا الجبل وما ضرم لو صبروا الى الصباح »
فاجابه الآخر « يظهر انك لم تفهم السر » يا احمق لا تعرف عادة الخلية في
مثل هذه الحال ؟ »

قال «وما هي عادته يا فضيبي»

قال «ان هذه المسكنة لم تمت موتاً اعبياداً ولكنهم اماتوها بالسم واظهروا امها ماتت بالمرض وكم من مرة جئت بليل هذه المهمة في ايام معاوية فقد كان اكثراً ينكأها لهذا المنكر وكما اراد قتل رجل سفاه فدحاماً من العمل وامر بذبحه والناس يحيطون به مات بعلة ... ولكننا قلنا رأييه يفعل ذلك في النساء كافعل ابنته ...»
قال ذاك «وماذا عني ان يكون من امر هذه الديناة وهي عروس الخليفة ولم تأت فصره لا في صباح الامس ...»

فتعلم الآخر كلامه وقال « ما لنا ولكننا ندعى بالذلة يقتل من أراد ونحن نخسر
الثبور والله يطالب بالذنب . . . »
وكانا يتكلمان وينتقلان في البش فما احسا الا المأول وقع في السردار فصاح
احدهما « اني اراني فوق بشر واخاف ان يصعد البنا منها عرب بت او جان . . . »

الفصل الثامن والستون

卷之三

وكان عامر لما سمع الحديث ادرك أنها صارا تحت المطر خارج المدينة وعلم أنهم يخترون قبر سلي وعلم عبد الرحمن ذلك ايضًا فاحب ان يتكلم فامسكته عامر بيده وأشار اليه ان يسكت ريثما يخرجان من المرداب . فلما سمع عبد الرحمن نفسه ولكن الرطوبة والطوا ، غلب عليه فعطس عطسة دوى لها المرداب فاجعل الرجال وصاح

احدها « الم افل لك ان المكان مسكون ..؟ هبأنا قبل ان تدركها العقارب »
 قال ذلك وفرّ وتبعه رفيقته ولم يمض قليل حتى خلا الجموع من الاصوات
 فمشي عامر وعبد الرحمن حتى خرجا من المسداب وتلتها فاداها في مدينة خارج
 المدينة وقد لاح النجع فاسرعا في الخروج من المديرة وعبد الرحمن بود البغا ابرى سلي
 ولو ميئه وعامر يلح عليه بالخروج لولا تدركهما الشرطة وبهون الماهمية عليه . حتى اذا
 بعدا عن المدينة واوغلوا في الغوطه لجا الى شجرة في عذباً وقال عامر « ارجع يا بني الى رشك
 وأصبران الله مع الصابرين .. اتنا شريكان في المصيبة يا بني .. هبأنا الى الشجر
 الناك فانه في اظارنا قرب الدير فوق قبر حجر ..»

قال عبد الرحمن « ولسي .. أتركتها .. اتركتها وحدها بين دك القبور ..»
 قال ذلك وغلب البكاء عليه فبكى وشاركة عامر في البكاء . وآكله تجاد وقال له « نقل
 يا عبد الرحمن وتدبر الامر بالحكمة . ان بقامنا هنا او ذهابنا الى المديرة او رجوعنا الى
 الشام لا ينديننا شيئاً . فقد كتلت الحقيقة بحال في تلك من مثل حبيبنا سلي وكنت عازماً
 على البحث عنها اما وقد تأكدنا وقوع المصيبة فلم يعد لنا فائدة من البحث .. فادا
 كنا رجالاً صبرنا صبر الرجال واثمننا لقيانا بما يشقى غلبنا ..»

قال عبد الرحمن « نعم ثائقتم ولكن بماذا .. اني لا ارضي الانتقام لسلبي الا
 بقتل فاتلها الذي يسمى نفسه خليفة .. ان قتلة والده عوض قاتل عن حبيبنا فلي ..
 روحي .. ابنته عمي .. سلي .. آه .. كيف اتركتها تدفن وانا حي وهي
 انا استقبلت الموت من اجلها . ولو لاي لم تدخل قصر مزيد ولا اصادها ما اصادها ..
 حتى انها لم تتركها وهي ميئه .. أم يكن قبرها والاثني عليها سبباً لنجاتنا من
 الموت ؟ .. لوم ذات هؤلاء لخز قبرها الم تكن قبرنا قبلها ؟ .. نعم يا ليني قبرت
 وكانت قبرى شئت قبرها .. ف تكون متجاورين وبعد قليل تختلط عظامنا ومتزوج
 بنا بانا كما اماتزجت روحانا ..»

قال ذلك وخففته العبرات فاطلق له عامر حربته ولم يلملم لما يعلمه من اخلاص سلي
 وهو برى انها اهل لاعظم من ذلك . وبعد قليل عاد الى التخفيف عنه فقال « ان سلي
 تستحق اكثر من هذا ولو قطعنا انسنا فداء عنها لما وفيناها حنها . ولكن ذلك الفيل
 يسر اعدائنا . ولاما اذا تدبرنا الامر بالحكمة وسعينا للانتقام بعقل ودرایة وفراشنا بشارنا
 فان عظام حبيبنا تتعش من اعاق البقر ..» قال ذلك وندى كرم او صنة بـ ما

فارقتها في الدبر فالتمنت الى عبد الرحمن وقال « ارعني سمعك لا يألفك وصمة سلي لك يوم سارت الى بزد »

فقال « قل .. حدثي عن سلي ماذا قالت

قال « لما ودعها في ذلك اليوم قالت لي — اذا انا مت وبي عبد الرحمن حجاً فعيوه عني وقل له ان سلي فضلت الموت في سبيل حبك على البقاء بعدهك واذا بقتي انت حجاً فان عظامها تهال في اهراق التراب »

فصاح عبد الرحمن « الموت هي في سبيل حبي وارام بمغرون قبرها فاهرب ؟

الفصل التاسع والتاسعون

الحسين وابن الزبير

فابعدوه عامر قالاً « ولكنها قالت ان يقام لك حجاً بعدها ينحر قلبها وهي في القبر هياً بما الى الشیخ الناسك نتشیر ان الله وملائكته ذو فضل علينا ولولاه لم اتوقف الى افادتك ولاني لا اشك في ولابة الرجل وكرامته » قال ذلك وقام . فقام عبد الرحمن ويشيا في اطراف الفوطة بحيث لا يشعر بها احد حتى اقتربا من الجوزة . فرأيا الناسك رافقاً فوق قبر حجر . وقبل وصولها نحو الكلب فجلس الناسك وقطع فلاناً رأها قادمن ارجى شعره على وجهه ونادي عبد الرحمن قلباً وهو يبكي ويقول « ما بالك لم تنسالي عن سلي »

فوقف الناسك على قدميه وصاح « ماذا فعلوا بها .. لا .. لا .. لم يقتلوها »

فقال عبد الرحمن « صدقتم انهم لم يقتلواها بالسيوف ولكنهم قتلواها بالعمل ..

قتلواها يا مولاي

فاطرق الشیخ الناسك بيده على لحيه وهو يتنفس ويرتعد وقال « ومن الخبركم

بذلك » فقص عليه عامر الواقعه كما حدث

فقال « ان الله لا ينصر القوم الظالمين »

فقال « عبد الرحمن ارشدنا يا شيخنا انا لا نرى سبيلاً الى الخجالة بغير

الانتقام الانتقام آه ما احلى الانتقام »

فهنت الشیخ هبہ ثم فعد وهو بنوں «آخرجا من هن البلاط لم يبق لکا فیها مارب»
قال عبد الرحمن «کف خرج منها وقد دفنا سلی فیها»

قال « اخرجوا الى شرکانکا في النار . اخرجا الى مکة فان قیها ابن بنت الرسول
وهو المطالب بالخلافة وهي حق له وحده . اذعبوا اليه على عمل وانصراء فاذا فاز بها
یتم لكم الانتقام ... ان البقاء هنا لا يجديكما نفعاً ولا امر اعظم مما لفظنا ... »
قال عالم « وكيف ذلك يا مولاي . ماذا حدث »

قال «لا ازيدكَا علَمًا ان يزيدًا» هذَا لِمَاتَ ابْنِ وَقَامْ بِدُعَوَةِ النَّاسِ الَّتِي يَعْنِي
كَانَ الْحَسَنُ مَعَهُ فِي الْمَدِينَةِ وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الصَّحَابَةِ وَفِي جَلْنِمْ عَدَافَةِ النَّزِيرِ بْنِ
الْعَوَامِ . وَكَانَ عَامِلَ يَزِيدَ عَلَى الْمَدِينَةِ يَوْمَ زَيْدَ الْوَلِيدِ بْنِ عَقْبَةَ بْنِ أَبِي سَفِيَّانَ (أَبِي عَوْنَوْ) فَكَدَبَ
إِلَى الْوَلِيدِ بِخَيْرٍ بِهُوَتِ مَعَاوِيَةَ وَبِطَلَّبِ إِلَيْهِ أَنْ يَأْخُذَ الْبَيْعَةَ مِنَ الْحَسَنِ وَعَدَ اللَّهُ بِنِ
الْزِيرِ . فَوَصَّلَهُ الْكِتَابُ وَعَدَ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمَ فَاسْتَشَارَهُ فِي الْأَمْرِ فَقَالَ مَرْوَانُ أَرِيَ أَنْ
تَدْعُوهَا السَّاعَةَ وَتَأْمِرُهَا بِالْبَيْعَةِ . فَبَعْثَتُ إِلَيْهَا وَكَانَا فِي الْمَسْجِدِ فَلَا وَصَلَ إِلَيْهِمَا الرَّسُولُ
وَأَخْبَرَهُمَا بِطَلَّبِ الْوَلِيدِ قَالَا انْصِرْ إِلَيْنَا نَأْتِيْ . وَقَالَ أَبْنُ الزِيرِ لِلْحَسَنِ مَا تَرَاهُ
بَعْثَتِيْ إِلَيْكُمْ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الَّتِي لَمْ يَكُنْ يَحْلِسُ فِيهَا . فَقَالَ الْحَسَنُ أَظُنْ طَاغِيَّتِهِمْ قَدْ هَلَكَ
فَبَعْثَتِيْ إِلَيْكُمْ لِيَأْخُذُنَا بِالْبَيْعَةِ قَبْلَ أَنْ يَنْشُوَ فِي النَّاسِ الْخَبَرُ . فَقَالَ وَلَا نَا مَا أَظُنْ غَيْرَهُ
فَمَا تَرِيدُ أَنْ تَصْنِعَ . قَالَ الْحَسَنُ: اجْمِعْ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ ثُمَّ امْشِ إِلَيْهِ وَاجْلِسْهُ عَلَى الْبَابِ
وَادْخُلْ عَلَيْهِ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ أَنِي أَخْافُ عَلَيْكَ إِذَا دَخَلْتَ . قَالَ الْحَسَنُ لَا آتَهُ إِلَّا
وَإِنَّا قَادِرُ عَلَى الْإِمْتِنَاعِ . ثُمَّ قَامَ وَجَمِيعُ الْأَهْلِ الصَّاحِبَةِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ حَتَّى اقْبَلَ عَلَى بَابِ الْوَلِيدِ وَقَالَ
لِلصَّاحِبِيِّ أَنِي دَخَلُوكَ فَإِذَا دَعَوْتُكُمْ أَوْ سَعَمْ صَوْتُكُمْ قَدْ حَلَّا فَادْخُلُوكُمْ عَلَيَّ بِأَجْمِيعِكُمْ وَلَا فَلَا
تَرْحُوا حَتَّى أَخْرُجَ الْكِمْ . ثُمَّ دَخَلَ الْحَسَنُ عَلَى الْوَلِيدِ فَسَلَّمَ وَمَرْوَانُ عَنْهُ . فَقَالَ الْحَسَنُ
الصَّلَةُ خَيْرٌ مِنَ الْفَطْلَعَةِ وَالصَّلَحُ خَيْرٌ مِنَ النَّسَادِ وَقَدْ أَنَّ لَكُمَا إِنْجِبَعًا أَصْلَحَ اللَّهُ ذَاتَ
يَنْكَأَ . وَجَلَسَ . فَأَفْرَأَهُ الْوَلِيدُ الْكِتَابَ وَنَهَى اللَّهَ مَعَاوِيَةَ وَدَعَاهُ إِلَى بَيْعَةِ يَزِيدَ فَاسْتَرْجَعَ
الْحَسَنُ وَرَجَمَ عَلَى مَعَاوِيَةَ وَقَالَ — إِمَّا الْبَيْعَةُ فَانْ مَثْلِي لَا يَبَايِعُ سَرِّاً فَإِذَا خَرَجَتَ
إِلَى النَّاسِ وَدَعَوْتَهُمْ لِلْبَيْعَةِ وَدَعَوْنَا بِهِمْ كَانَ الْأَمْرُ وَاحِدًا . فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ (وَكَانَ
يَهْبِطُ الْمَسَالَةَ) أَنْصِرْ . فَقَالَ مَرْوَانُ لِلْوَلِيدِ: إِذَا فَارَقْتَ السَّاعَةَ وَلَمْ يَبَايِعْ مَا قَدِرْتَ مِنْهُ
عَلَى مَثْلِهِ أَبَدًا حَتَّى تَكْثِرَ التَّقْلِيلَ بِهِنَّكَ وَبِهِنَّ أَحْسَنَهُ فَانْ يَبَايِعُ وَلَا يَضْرِبُ عَنْهُ . فَوَثَبَ عَنْ
ذَلِكَ الْحَسَنُ وَقَالَ يَا بْنَ الرَّرْقَاءِ أَأَنْتَ تَقْنَلِي أَمْ هُوَ كَذِبَتْ وَاللَّهُ أَلْوَثْمَتْ . ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَنِي

مزلة . فقال مروان للواليد . عصيتك لا والله لا ينكك من نسوة يهليها أبداً . فقال الواليد
والله يا مروان ما أحب أن لي ما طلعت عنه الشمس وغرت عنك من مال الدنيا
وملكها وإن قتلت حسيناً ان قال لا اباع والله أني لا اظن امرءاً يحاسب بدم الحسين
خنيف الميزان عند الله يوم القيمة . قال مروان قد أصبت - قال هنا وهو غير حامل له
علي رأيه

« ولما ابن الزبير فلما آتاه رسول الواليد قال الآن آتكم . ثم أتي داره فتشken
فيها ثم بعث إليه الواليد فوجده قد جمع الصحابة وإحترز فاتح عليه الواليد وهو يقول أمهلوني .
فبعث إليه الواليد مولى إليه فشته وقالوا له يا ابن الكاهنة لتأتيت الإمام أو ليقتلنك .
فقال لهم والله لقد استربت لكتاب الارسال فلا تجعلوني حتى أبعث إلى الامير من يأتيني
برأبوه . فبعث إليه أخاه جعفر بن الزبير فقال جعفر للواليد رحمك الله كف عن عذاته
فإنك قد أفرزته وذرته وهو ياتيك عذراً إن شاء الله تعالى فغير سلك فلينصرفوا عنه » .
فبعث الواليد بهم فانصرفوا وخرج ابن الزبير من ليلته فأخذ طريق الفرع هو وأخوه
جعفر ليس معهما ثالث وسارا نحو مكة . فسرح الواليد الرجال في طلبه فلم يدركه فرجعوا
ونشأغلوه عن الحسين ليتهم . ثم أرسل الرجال إلى الحسين . فقال لهم الحسين أصيحو
ثم تردون وترى ففكروا عنه فصار من الملو . وكان مخرج ابن الزبير قبله بليلة واحدة
معه بنبيه وأخوه وبني أخيه وجمل أهل بيته »

قال الشيخ « وقبل ان يخرج الحسين من المدينة اشار عليه اخوه محمد بن الحسين ان
يدعو الناس الى يعنده ويصيير على ذلك . فلما اتي مكة ناظر ابو الناس لبياضه ولكن
بعض الناس اشار عليه ان يقدم الكوفة ويستنصر اهليها . وأشار عليه آخر من بالبقاء في مكة
ويستظل بالحرم لأن اهل الكوفة لم يبلغوا في نصرة ابيه من قبله . واظنه بعث ابن عم مسلم
ابن عقيل الى الكوفة ليرى رايم في قدوته لهم . فإذا نتله يعنده وجاء الكوفة في بايعة
العراق والمحجاز فيه لـ الامر وينزل بزيد وفي فشله انتقام كاف لـ كما . فادهها
إلى مكة وانصرها الحسين انه اولى الناس بهذا الامر وهذا الناس على نصرته وعلى خلع
زيد والله ينصركم اجمعين »

فلما سمعوا قوله احسوا وبهذا الحال فودعاه فبكى لوداعها وقبل رأسها وها
لم يربها وجهة فاو صاحتا بسرعة الخروج من الشام لـ ثلاثة يعلم بها بزيد او احد رجاله

الفصل السابع

٥٠ تحرع السم

فانتركتها في طريقها إلى مكة ولنعد إلى دمشق لترى ما تمّ لسلى بعد ان امر بزيد بغيرها العسل . وذلك ان الخليفة لما افترق عن عبد الله والطيب وسار بالشمس فرأته مرّ بالخنزير التي كانت سلي فيها وكانت العجوز راقفة بالباب تنتظر امره فشار إليها ان تنقلها إلى المتصورة وتحافظ بها هنالك

وكان سلي بعد خروج عبد الله بن زيد من عندها قد أيقنت ببناتها وتحفنت وقوعها في الشراك ولكنها أصبحت لا تبالي بالحياة بعد ماجعنة عن مثل عبد الرحمن . على أنها كانت تود ان تنتقم له قبل موتها . وراجعت ما مرّ بها من الاهوال في تلك الليلة فرأت أنها لو استطاعت الكظم وأطاعت بزيداً وسأرتها في ما النساء منها من لعن على لفكت من الفتوك يو ولكنها رأت تلك المداهنة فوق طاقتها وعلى غير العجائب التي فطرت عليها فلم تندم على كلة قالها

وفيما هي تردد تلك التصورات في ذهنها دخلت عليها العجوز واستأنفتها في اصطلاحها إلى المتصورة فاطاعها وهي لا تبالي بما هنا لك من الموت أو الحياة . فلبت في الرده حتى صعدتا إلى المتصورة فدخلت سلي وظلت العجوز بالباب

وقد عدت سلي على ذلك الفراش ونظرت إلى ما بين يديها من آنية الخمر والشمع والناكحة وتذكرت جلوس بزيد إلى جانبها وما دار بينه وبينها من الحديث وكيف أنها بعد ان كادت تصيب مراها منه عادت العائنة عليها . ثم تذكرت حبيبها ونصرور ثان مقنولاً بخبيط بدم فافشعر بذتها . واستغرقت في التأملات وهي لا تدرى ما سيصدر اليه أمرها وفيما هي في ذلك سمّت وقع افدام على السلم فخفق قلبها خنوفاً سريعاً ولبست ثيوبع ما يكون وإذا برجل دخل المتصورة وعليه العباءة والعاممة وهي يد قده . فلما رأته أطريقت وظلت صامتة . فدعا الحكم منها وقدم لها التدرج وهو يقول « اشر في هذا العسل بأمر أمير المؤمنين فإنه قد يتعشك »

فاذكرت أنه مسموم فتناولته ويدها ترتعش وقالت « أأشربه وإنما أعلم أنه سُمْ قائل فلا تطعني بل قل لي أشر في هذا السم »

قال «وكيف عرفت انه سمٌ وإنما اقول لك انه عسل»
 قالت «انا اعلم انه سـمٌ .. وارجو ان يكون كذلك . لانه اذا امانني اراحتني من
 هذه الحياة .. فقل انه سـمٌ ليطمئن اليـا واعلم انـي لاحقة بمحبـي عـلـى عـجل» قـالـتـ
 ذلك وختـنـتها العـرـاتـ
 فـأـثـرـ الحـكـيمـ لـكـلامـهاـ وـلـكـتهـ نـعـودـ انـلاـ يـكـونـ حـسـاسـاـ فـظـاهـرـ بالـاستـخـافـ وـقـالـ
 «اـشـرـبـ مـهـماـ يـكـنـ منـ اـمـرـ اـذـلـاـ بدـ منـ شـرـبـ»
 فـرـفـعـ يـدـهاـ وـهـيـ قـابـيـةـ عـلـىـ الـقـدـحـ وـقـالـتـ «اـنـيـ اـشـرـبـ هـذـاـ سـمـ باـسـمـ اللهـ وـارـجـوـ
 انـ يـلـعـبـنـيـ بـالـامـامـ عـلـىـ وـانـ يـقـرـبـنـيـ مـنـ اـنـيـ وـانـ عـيـ» ثـمـ نـظـرـتـ الـىـ الـقـدـحـ وـقـالـتـ
 «بـوـرـكـ فـيـكـ مـنـ دـوـاءـ قـاتـلـ وـسـمـ مـحـيـ .. اـنـيـ اـشـرـبـ بـاسـمـ الـحـقـ وـالـعـدـلـ وـاـطـلـبـ الـهـ اـنـ يـلـتـقـيـ لـوـلـيـ وـانـ عـيـ مـنـ هـذـاـ الرـجـلـ الـظـالـمـ» وـادـنـتـ الـقـدـحـ مـنـ فـهـاـ ثـمـ اـرـجـعـهـ
 وـقـدـ غـلـبـ الـضـعـفـ عـلـيـهـاـ وـلـنـظـرـتـ الـىـ مـاـ حـوـلـهـاـ كـانـهـاـ تـوـدـعـ الدـنـيـاـ وـمـنـ عـلـيـهـاـ ثـمـ قـالـتـ
 «اـلـآـ تـرـوـنـيـ عـبـدـ الرـحـمـنـ وـلـوـمـقـتـلـاـ؟ .. بـاـلـهـ اـرـوـنـيـ اـيـاهـ قـبـلـ موـتـيـ لـاـبـكـيـةـ وـانـدـبـةـ
 .. اـيـوـتـ عـبـدـ الرـحـمـنـ عـلـىـ قـيـدـ اـذـرـعـ مـنـيـ وـلـاـ اـرـاهـ؟ .. اـهـدـيـ بـكـ
 يـاـعـبـدـ الرـحـمـنـ .. اـيـنـ اـنـتـ .. وـكـيـفـ قـتـلـوكـ .. هلـ قـتـلـوكـ بـالـعـسـلـ اـمـ بـالـسـيفـ اـمـ
 يـاـذاـ؟ .. تـعـالـ وـانـظـرـ خـطـيـبـكـ وـيـقـرـعـ السـمـ بـلـذـةـ وـشـوـقـ لـانـهـ سـيـجـعـهـ بـكـ ..
 هلـ عـلـمـتـ قـبـلـ موـتـكـ اـنـكـ مـتـلـاقـيـ عـاجـلاـ؟ .. هلـ اـنـيـاـ وـكـ قـبـلـاـ قـتـلـوكـ بـاـنـهمـ سـيـقـتـلـونـيـ
 اـلـآنـ؟ .. يـاـ لـهـمـ اـخـبـرـوكـ بـذـاكـ فـتـيـاـسـيـ يـقـرـبـ لـفـانـيـ .. وـلـاـ فـانـكـ تـوـتـ وـانتـ
 مـشـتـاقـ لـلـتـيـاـيـ

ثـمـ وـقـنـتـ وـقـدـ هـاجـتـ عـلـىـ طـلـبـهاـ وـبـدـلـتـ حـالـهاـ وـظـلـمـ الـمـاـجـ فيـ عـيـدـهاـ وـقـالـتـ «هلـ
 قـتـلـوكـ حـتـيـةـ .. لاـ .. لاـ .. لمـ يـقـتـلـوكـ .. اـظـنـهـ شـفـقـاـ عـلـىـ شـيـابـكـ! .. وـلـكـمـ
 قـوـمـ طـغـامـ لـاـ يـعـرـفـونـ الشـفـقـةـ وـلـوـ ذـلـكـ مـاـ اـسـهـانـواـ بـالـبـيـ وـقـتـلـواـ غـنـيـةـ الصـالـحـونـ مـنـ اـهـلـ
 الـبـيـتـ .. فـلـاـ غـرـوـ اـذـاـ قـتـلـونـاـ .. نـعـمـ اـنـهـ قـتـلـوكـ .. قـتـلـوكـ .. اـيـنـ اـنـتـ يـاـعـامـرـ ..
 يـاـ عـاءـ اـيـنـ اـنـتـ هـلـ تـعـلـمـ بـصـيرـيـ .. وـهـلـ اـنـتـ حـافـظـ وـصـيـقـيـ؟ .. مـاـذاـ يـكـونـ مـنـ اـمـرـكـ
 اـذـاـ سـعـتـ بـمـقـتـلـ حـيـيـ؟ .. هلـ اـنـتـ ذـاـكـ وـعـدـكـ؟ .. اـمـضـ الـتـرـبـةـ اـيـ
 وـاـبـكـوـنـيـ وـاسـكـ عـلـيـوـ الدـمـوعـ وـمـزـقـ الـفـلـوـعـ بـلـ اـبـكـ الـاسـلـامـ وـاـنـدـبـ حـالـ الـمـلـمـينـ
 لـاـ اـصـاـمـ مـنـ الـحـيـفـ بـغـرـوجـ الـخـلـافـةـ الـىـ هـوـلـاـءـ الـظـالـمـينـ
 وـكـانـتـ نـكـمـ وـالـحـكـيمـ وـاقـفـ لـاـ يـدـيـ حـرـاـكـاـ وـقـدـ ظـلـ صـامـتاـ وـهـوـ يـعـذرـ الـبـيـاـ

ويجب بشاهامها وقعة عارضها

اما هي فادنت الندح من فها ثانية ونظرت الى ما فيو ثم اذنت الى الحكيم ^{عليه السلام} وقالت «اخشى ان يكون السب قليلاً لا يكفي لتفلي فانعدب . فاذا كان قليلاً أخف اليه بما آخر ...»

فقال الحكيم بهدى ^{عليه السلام} « اشر في يا بنته ولا تطأطي الكلام فقد نند الوقت وفات الاجل الذي ضربه الخليفة لي »

قالت وهي تهز راسها وتخرق اسنانها « أخاف هذا الرجل الفظالم ولا تخاف الله ... اترك العناصر الثالثة لقتل الابرياء ثم تخاف من لوم يزيد اذا تأخرت في قتلهم ... ولنكم نصافرتم على الظلم وتحالتم على الحياة ... وبل لكم من مشهد يوم عظيم ... في مكان لا ينفعكم فيه سلطانكم ولا جنودكم ... يوم تأتي الساعة وينفع في الصور فلنبعون بين يدي الدبيان العظيم ...»

قطع الحكيم كلامها وقال « لانك ثري الكلام واشر في الندح عاجلاً »

قالت « اني اشر بها ولا اخاف منها ... لابها ترافق لها صاحي ... ولكن اريد ان ارى عبد الرحمن ... ابن هو ... آه ... قتلتهم ... نعم قلتموه ولكن ماذا فعلتم بذلك الجسد الظاهر هل مذلتكم به ... هل دفعتم او ام بني مطر وحشا ... آه اني ارى اعضاءه يختلط ودمه يجري وكأنني اسمع شخير في اذني ... هل ذكرتني يا عبد الرحمن قبل موتك ... هل ذكرت ملي ... هل ظهرت ان تراها قبل موتك ... يا اليهم قتلوا معها ودفنوها في قبر واحد فتختزج دماؤنا وختلط عظامنا ... وبالبيتهم يدفنوننا بجانب حجر بن عدي فتشكوا له ما لاقيناه وما بنايسيو المسلمين وما يتوقفه الاسلام من التوضي ... ولكننا سلسلتي بوعاً قليل في مكان لا وشابة فيه ولا ظالم ولا رياه . ونبث له الشكوى ... لقد ازفت الساعة وآن لي ان الافيكا . استودعك الله ايهما العالم الثاني استودعك الله ايهما الحياة الثالثة ... انك مملوء بالشر وولا عدل فيك ولا حق ... تم ادنت الندح من فها وهي تقول « اشرب هذه الكأس باسم الله » وشر بها جرعة واحدة وبدها ترتجف واستيقظت على التراش وهي شلو المفاغة وتردد اسم عبد الرحمن

الفصل الحادى والسبعون

لَمْ تَتْ وَلَكُنْهَا نَائِةً

ولم تمض ببرهة حتى غابت عن الدنيا وشققاها لخر كان كانها تخاطب عالم الارواح وقد امتنع لونها وبردت اطراها فخرج الحكم وأغلق الباب وتزل . وكانت العجوز قد نزلت ساعة دخوله

اما هو فضل سائر الى غرفة عبيد الله بن زياد وكان في انتظاره على مثل الجسر فدخل عليه وأغلق الباب وراءه . فقال له ابن زياد « وماذا فعلت ايها الحكم » قال « لقد سقيتها العسل »

قال « وهل فعلت ما وعدتني به »

فضحك وقال « وما الذي وعدتك به »

قال « ألم اطلب اليك ان تبدل السم بالبيج وجعلت لك جعلآ على هذا الجميل ؟ »

قال وهو يضع يده على كتف عبيد الله « نعم اني وعدتك بذلك وهكذا فعلت فالنتيجة لم تمت ولكنها نائمة » و مد يده الى جيبه واستخرج قارورة وقال « واليak هذا العقار في هذه القارورة فاذا سوتها ايام افاقت . ولكن احذر ان تبتتها بعد استيقاظها هنا فيعلم امير المؤمنين بها وتعود العائدية على »

قال « لاخفف من ذلك لاني سأخبر الخليفة بموتها وابعد من يحضر قبرها ثم ابعثها الى مكان خارج المدينة وهي نائمة كأنها محبولة الى التبر ومقى استيقاظ ابقوها خارج دمشق حتى اسافر فاصح لها معي ولا يعلم بها احد سواي . وإنما اردت بناءها الا لأنها بارجا عنها عن عزبها . فاذا فعلت ذلك رضي امير المؤمنين عني وعنتك وشكرا على هذا الصنيع لانه قد انجب بجهدك ولو لاغضها الليلة لم يأمر بقتلها . ولا شك انه اذا اصبح ندم على فعلته اما انت فافق على كفاح ذلك ولنك متى ما تشاء فوق ما اعطيتك »

فكثرة الحكم وانصرف

وكان عبيد الله بعد ان امر بزيد بقتل سلي قد خلا بالحكم واسترضاه بالمال الكثير على ان يبدل السم بالبيج حتى اذا احناه في اخراجها من القصر الى التربة

ذهب بها الى مكان منفرد اقامها فيها واسترضاها لعلها تقبل وزوجاً لها . وكان لا يزال عالقاً بها واملأه كثير في استرضاعها . فلما اخبره الحكيم بما فعله سار توّا الى بزيد وابوهه فتىالله « ابعث من يدفعها قبل طلوع التهار » فامر اثنين من رجاله ان يحملوا ان مكان منفرد وبكتاهما وبعث اثنين آخرين لحرث التهار . واوصى الاولين ان يحملواها الى مكان منفرد خارج المدينة حالاً وتظاهر انه ارسلها الى المقبرة

وعاد اللذان حذرا التهار قبل النجر مذعورين لما رأياه من خروج عامر وعبد الرحمن وها يحيىها عنربتين فقصصاً الخبر على عبيد الله فامرها ان يقماه على الخليفة لملاة يستطيع الاستعانت بذلك اذا علم الخليفة بمقتها حية فيها بعد . ففعلا

الفصل الثاني والسبعون

المسلون في الكوفة

وفي صباح اليوم التالي ابطأ بزيد في الخروج الى المجلس لانه قضى ليلة الماضي ساهراً فنام في الصباح ولم يستنق الى الظاهر فجاء الى المجلس وعبيد الله غائب . ولم يكدر يستقلب به الجلوس حتى دخل عليه الحاجب وهو يقول « ان بالباب رسول من الكوفة » قال « فليدخل »

فدخل رجل عليه علامات السفر وبيته كتاب فسلم ودفع الكتاب الى بزيد . فتناوله وفضله فاذ هو من عبدالله بن مسلم احد اصحاب بنى امية في الكوفة فقرأه فإذا فهو بعد المسألة :

« الى امير المؤمنين بزيد بن معاوية من عبد الله بن مسلم اما بعد : اعلم يا امير المؤمنين ان الناس في الكوفة والبصرة قد ضعف امرهم بضعف اميرم العنان بن بشير فقد ولدته الكوفة وهو رجل ضعيف او هو يضعف حتى كاد الا مر ان ينفي الى اعدائنا فاذا كان لك حاجة في الكوفة فارسل اليها رجلاً قوياً ينفذ امرك ويعلم مثل عملك في عدوك . وتقضيل الخواران اهل الكوفة لما بلغتهم وفاة معاوية رحمة الله وامتناع الحسين وعبد الله بن الزبير عن اليمعة ارجو يا امير المؤمنين لاجمعت شيعة علي في منزل احد كباركم فذكروا مسيرة الحسين الى مكة وكتبوا اليه كتاباً قالوا فيه « بسم الله الرحمن الرحيم سلام

عليك فانا نحمد اليك الله الذي لا اله الا هواما بعد فالحمد لله الذي قسم عدوك
المجاهر العبيد الذي انتزى على هذه الامة فاياتها امرها وغضبها فيها ونا مر عليها بغير
رضاء منها ثم قتل خيارها واستنقى شرارها وانه ليس علينا امام فاقيل لعل الله ان يجمعنا
بك على الحق . والنعان بن بشير في فصر الامارة لست مجتمع معه في جمعة ولاعيد ولو
بلغنا اقوالك اليها اخرجنا حق تلخچة بالشام ان شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة
الله وبركانه » وميراثي هنا الكتاب الى الحسين في مكة وبعنوان ابو كتب اخرى في مثل
ذلك . وكان جملة ما ارسل من هذه الكتب نحو من مئة وخمسين صحيحة . وارسلوا ابو
رسلاً عديدة فهم من الحسين كتاب قال فهو « اما بعد فقد ثبتت كل الذي اقصصتم
وقد بعثت اليكم ياخي وابن عبي وشقيق من اهل بيتي مسلم بن عقيل وامرتنا ان يكتب اليه
بمحالكم وارسلكم ورأيكم فان كتب اليه انه قد اجمع رأي مالكم وذوي الحجج منكم على مثل
ما قدمت بو رسالكم اقدم اليكم وشكراً ان شاء الله . فاعبرى ما الامام الا العامل بالكتاب
والقائم بالقطط والذائن بدين الحق والسلام » وقد حدث مثل ذلك بما امير المؤمنين في
البصرة ايضاً . اما الحسين فانه ارسل الى الكوفة ابن عم مسلم بن عقيل وامره اذا رأى
الناس مجدهم على يعلوه ان يجعل ابو ويغيره بذلك . وقد جاء مسلم الى الكوفة بعد
ان قاتى في طريقه عنابة عظياً من العطش وغدو ونزل في دار من دور اشیاع
الحسين وصارت الناس تختلف ابو وهو يقرأ عليهم كتب الحسين فيكون ويعدونه
بالقتل والنصرة . فلما بلغ ذلك عاملكم النعان بن بشير صعد المنبر وقال « اما
بعد فلا تشارعوا الى الفتنة والذرقة . فان فهنا عبلك الرجال وتسنك الدماء وتغصب
الاموال وافيا لا اقاتل من لم يقاتلي ولا اثبت على من لا يثبت علي » ولا انبه نائكم
ولا انحرس بكم ولا اخذ بالطرف ولا الفذه ولا الهبة ولكنكم ان ابدىتم صنعتكم وتكلتم
بوعنكم وخالتم امامكم فواهه الذي لا اله غيره لا ضر بكم بسيفي ما ثبت فائمه بيدك ولا يكفي
لي منكم ناصر ولا معين اما اني ارجو ان يكون من يعرف الحق منكم اكثر من
يريد به الباطل » فلما رأينا كلامه لا ينفي المقطع ولا يدل على المجزم قام ابو
واحد منا وقال له « ان هذا لا يصلح الا اللطم وانه راي المستضعفين » فلم يكن جوابه
الا قوله « اكون من المستضعفين في طاعة الله احب اليه من ان اكون من الاعززين في
معصيتك » فزادنا قوله خروقاً منه فكتبه « هذا ليكون امير المؤمنين على بصيرة وعلم انت
ابن بشير لا يصلح هذا الامر فارسل اليها من يعمل مثل عملك ^(١) والسلام »

الفصل الثالث والسبعين

﴿ عَبْدُ اللَّهِ عَلَى الْكُوفَةِ ﴾

فَلَا قَرَأَ يَزِيدُ الْكِتَابَ نَفِيرَتْ حَالَةً وَشَاءَمْ بِمَا أَرْتَكَهُ بِالْأَمْسِ وَخَيَلَ لَهُ أَنَّهُ اذْنَبَ بِقَتْلِ سَلْيَ وَفِي فَتَاهَ . وَنَدَمَ عَلَى فَعْلَوْ وَارَادَ صِرْفَ مَجْلِسِهِ لِخُلُوْ بِعِصْمِ خَاصِّهِ فَنَالَ « عَلَى بِرْكَةِ اللَّهِ » فَعَلَمَ أَرْبَابَ الْجَلْسِ أَنَّهُ بِرَيْدَ صِرْفِهِمْ وَتَلَكَ كَانَتْ عَادَتْ كَلَّا أَرَادَ ذَلِكَ (١) فَانْصَرَفُوا . ثُمَّ بَعْثَتْ إِلَيْهِ سُرْجُونٌ وَهُوَ رَجُلٌ رَوِيَ ذُو دَهَاءٍ وَحِكْمَةٍ كَانَ مَعَاوِيَةً يَعْقِدُ عَلَيْهِ فِي شُوَوْنَهِ وَيَسْتَهِرُهُ فِي أَمْوَارِهِ حَتَّى جَعَلَهُ كَانِيَةً (٢) فَلَمَّا مَاتَ مَعَاوِيَةً ظَلَّ يَزِيدُ عَلَى شُغْلِهِ فِي سُرْجُونٍ فَلَمَّا اشْكَلَ عَلَيْهِ امْرُ هَذَا الْكِتَابِ اسْتَهْدَمَ إِلَيْهِ وَخَلَوْهُ وَاطَّلَعَ عَلَى الْكِتَابِ فَأَخْرَقَ هَبَّةً ثُمَّ قَالَ « أَرَأَيْتَ إِذَا نُشَرَ مَعَاوِيَةُ هَلْ كَيْتَ تَأْخُذُ بِرَأْيِي ؟ »

قَالَ « نَعَمْ »

فَنَدَرَ سُرْجُونٌ بِهِ إِلَيْهِ جَبِيبٍ وَأَخْرَجَ كِتَابَهُ وَقَالَ « خَذْ هَذَا فَأَخْنَنْ يَزِيدَ وَفَرَأَهُ فَإِذَا هُوَ عَهْدُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيَادٍ بِيُولِيُّوْ بِالْكُوفَةِ فَقَالَ يَزِيدُ « وَمَا هَذَا »

قَالَ « هَذَا رَأْيِي مَعَاوِيَةَ فَانْهَمَاتَ وَقَدْ أَمْرَهُ بِهِ هَذَا الْكِتَابَ »

فَاسْتَخْسَنْ يَزِيدَ الرَّأْيِ وَعَوَّلَ عَلَى أَنْ يُولِيَ أَبْنَ زَيَادٍ الْكُوفَةَ وَالْبَصْرَةَ فَنَادَى الْحَاجِبَ فَسَأَلَهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ فَاقْتَنَعَ فِي التَّقْرِيرِ فَلَمَّا فَصَرَرْ حَتَّى جَاءَ وَدَخَلَ وَسَلَمَ (٣) فَدَفَعَ يَزِيدَ كِتَابَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ إِلَيْهِ وَلَمْ يَقْلِ شَيْئًا

فَتَنَاؤلَ أَبْنَ زَيَادٍ الْكِتَابَ وَفَرَأَهُ حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهِ وَسَكَتْ وَهُوَ مُطْرَقٌ

ثُمَّ دَفَعَ يَزِيدَ إِلَيْهِ كِتَابَ الْمَعْهُدَ لَهُ عَلَى الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ فَلَا قَرَأَهُ قَبْلَهُ وَوُضِعَ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ « أَنِّي صَنْعَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِيْتِ وَيَهُوَ الَّتِي يَحَارِبُهَا وَسَهِّلَهَا الَّذِي رَوَيَ بِهِ أَعْدَاءُهُ »

فَقَالَ لَهُ « سَرِ الْكُوفَةَ وَاصْلَحْ أَمْوَارَهَا وَامْنَعْ أَوْلَئِكَ النَّاسِ مِنْهَا وَكُنْ لِي كَمَا كَانَ إِلَيْكَ لَابِي »

(١) العَدَدُ الْفَرِيدُجُ (٢) أَبْنُ الْأَئِمَّةِ (٣) وَفِي الْتَّارِيخِ أَنَّ هَذَا الْمَبْرُرَ لَمْ جَاءَ إِلَى الْمَعَاوِيَةَ كَانَ أَبْنُ زَيَادَ فِي الْكُوفَةِ وَكَانَ يَزِيدَ مُتَنَاهِرًا عَلَيْهِ

فقال «سماً وطاعة» وقد سره ذلك بنوع خاص لخروجه من دمشق سرعاً فيخلو
له المبوولاً رقيب له على سلي

وكان قد بعث سليمان سراً قبل النجف إلى بيت منفرد في أطراف الغوطة كما نقدم
ثم سار هو في الصباح إليها وسناعها العقار الذي اعطاء آياه الحكم وإنزوى في بعض
أطراف الحجرة . فلما افاقت ورأت النور وهي لا تزال في طور السكر ظلت برهة مبهونة
لا تدرك ما تقول وعيدها لا يخاطلها وفي اعتقاده أنها إذا افاقت ورأت نفسها حية
تعترف لها بذلك الجميل . فلما افاقت تبادر إلى ذهنها الأول وهلة أنها بعثت من الموت
ولها في العالم الثاني فصاحت « ابن عبد الرحمن ... ابن هو ... أروني آياه ...
هل أنا في النعيم ؟ ... عبد الرحمن ! ... عبد الرحمن ! ...

ففحش عيد الله

فلما سمعت شحكت الثقة اليه وفي ترك عندها يانامها وحالما رأته صاحت « أنت
هذا يا ياهي ! أني أذآن في الجحيم ... أذهب من أمام عيني ... »
فدنعه عيد الله منها وأمسك بيدها وقال « أنت في هذه الدنيا يا حبيبي وقد
استيقنك شفاعة عليك »

لم يجد بيتها منه يده وصاحت « أخساً يا نزل ... أني لا أريد الحياة إلا إذا
كان عبد الرحمن فيها ... اقتلني ... اقتلني ... قاتل الله ... اشنق على
وأقتلني ... »

فuderها شهيدها وقال لها « أني لا أعملك بما تستحقينه لأنك جاهلة وساخر
عليك ربها تلذكرين روحك وانت اسرة بين يدي لا ينفك من غضبي غير الرضا
والاذعان . فاماكمي هنا حق ترجي الى رشدك او ثوقي » قال ذلك وتركها وحدها وامر
الرجلين ان يخفرها ربها يعود

فلما رجع الى دمشق ولقيه يزيداً وقد ولاد الكوفة والبصرة كما قدمنا استبشر بليل
مراماً على مهل وعلل نفسه باسترضاعها في اثناء الطريق الى الكوفة



الفصل الرابع والسبعون

خراب تدرس

قضى عيد الله بضعة أيام وهو يتأهّب للصيّر وأعوانه يهبون الأحوال خارج دمشق وفي جلّها هودج حمل سليفي على جمالين وإنّما عليها خادمها وخبرين يقدّمان لها الطعام والماء . وكانت في بادىء الرأي لا تقبل طعاماً ولا شراباً القاتاً الموت جوعاً وعطشاً حتى نخل جسمها وأمتنع لوحها وضفت عرائها . ولكن الحياة عزّة لا يبعد المرء خسارةها عن رؤياه وصبر وإنما هو اذا أصيّب بضنك شديد فضل الموت على الحياة في حال حدوثه وغضبه فإذا طال اصطباره من إلى البقاء والنّيس لهبيه عذرًا يحبّ الحياة اليه . فلما مضى على سلي يومان بلا أكل ولا شرب ورأّت الموت لا يانها في هذا السيل إلاّ بعد العذاب الطويل عادت إلى النّاطرة البشرية فالتوسّط الباقي وعذرها في القاسو ان تحمل على الانتقام في سبيل آخر لاخطر فيو على حيائها . ثم علت من قرائن الاحوال انهم سايرون بها إلى الكوفة وان الحسين سائر إليها أيضًا وان الناس في الكوفة على دعوته . فتوسّت في البقاء خيراً وأملت ان تخيا حتى تنتقم لوالدها وخطيبها . فجعلت لتناول من الطعام والشراب ما تسدّ بورتها

وكان عيد الله في أيام مسرور الركب يتردد إلى سلي . نارة يستعنّها وطوراً يهدّدها وآنة بؤمنها واخرى يخوّفها وهي ترفة رفصاً باتاً . وكثيراً ما كانت تسمعه كلاماً مؤثراً وهي تعلم ان الجفا لا يهدّيها نفعاً وانها لو عاملته بالمحظى واستخدمت اللبن والدهن نالت بغيتها . ولكنها لم تكن تستطيع التغلب على افتها . وكانت من الجهة الاخرى تخاف اذا سايرته في الكلام ان تطمع في ما تخافه وتفر منه

قضت في مثل ذلك خمسة أيام والركب سايرون في الصحراء نحو الشرق والشمال في ارض لا عارة فيها ولا مياه الا بعض الآبار . وسلى تشغل نفسها في أيام الاريق بالاشراف من المودج على ما يحيط به من المهوول الفاحلة والرمال الحمراء التي تنتهي بالافق وحوله هالة من لامع الآل . على انها كثيراً ما كانت تخافش ثق السotor فراراً من الرياح الحارة وما تحمله من الرمال . واشرقاً في صباح اليوم الخامس على بقعة متبعثلة

ادعها منظرها حتى نسيت ما هي فيه من الامور العظام . رأت بقعة من الارض مساحتها بضعة ایال قد غطتها أبیة خربة وفيها الجدران العالية والاساطيل الدائمة والاسوار الغليظة بين هبئم ومتداع وقد استولى عليها السکوت ونکن منها الخراب كأنها جنت بالية او عظام اكلها الدود - على ان تجاريها كانت تعلق باجل يان عاً كار هنالك من العظمة وشدة البطش في قدم الزمان

ذلك هي خراب تدمر الطائرة الصبت . تدمر العظيمة التي زهت في اوايال النصرانية وساربت بذکرها الرکبان وقد كانت واسعة عقد القوارب بين العراق والشام حتى اذا تداعت الى الخراب جعلوها موقفاً للتوافق في اثناء الطريق بين هذين البلدين

عمرت تدمر في اوايال القرن الثاني للميلاد على اثر سقوط دولة الانهاط في شالي جزيرة العرب وغربيها فاستولى عليها الرومان سنة ١٣٠ م فازهرت وانسعت تجاريها وكانت مع ذلك مستقلة بشراعها واحکامها يتولى النظر في شؤونها مشيخة من اهلها . ومد الرومان يمينها وبين دمشق طرقاً تسرب فيه المركبات وعليها اصناف التجارة من الانسجة والآنية والمؤونة . وهي التدمر يبون في مدینتهم ابنة على طرز يعرف بالطرز التدمرى اقاموها على الاساطيل المقوية وفوقها القائل من المجر الا يض الخير . وينتعل المدينة من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي طريق واسع في اوله قوس نصر بجانب هیكل هائل يعرف به بكل الشخص اشبه شيء بهیكل بعلبك - وطول الطريق الف وثلاثة متر تخف به الاعنة من الجانبين في رواحين عدد اساطيلها الف وخمسمائة اسطوانة لونها ابيض مائل الى الحمرة . وفي الاروقة دكاك او مساطب مسفلية كانوا يستدون اليها الاجمال الواردة الى تدمر من اراضي المعور وفيها طرود (بالات) الحبر والديباج الدمشقية وصناديق الابنة الونانية وجادل الماشية الم giole من جزيرة العرب على جمال يسوقها يدو من اهل التجار . واجمال من جرار الزرب من فلسطين - يوم كانت اسواق تدمر تعج بالماراث عجباً وهم اخلاق من الام المقدمة في ذلك العهد وفهم الخاسرون من مصر واسيا الصغرى والغار من الترس والشام والارمن والمارون والصيروف من الاهود . تاديك بیاعة السلم الضعينة يحملون سلمهم على اكتافهم ينادون عليها في الدروب والمحارات فختلط اصواتهم بنداء الدلالين على الملح . لان الملح كان من اعظم تجارات هذه المدينة

الفصل الخامس والسبعون

ـ العبرة والموعظة ـ

ولو أتيح للقاري أن يزور تلك المدينة في أيام مجدها على عهد الملكة زينوبية في القرن الثالث للميلاد لเหن ما كان فيها من دلائل الترف والبذخ وعلم من النزق البعيدين قصورها وأكواخها إن الثروة كانت مخصوصة في هذه من اهلها وإن تدتها كان شرقياً لا رومانياً ولا يونانياً . وكان التدمير بين تشيهوا بقدماه المصريان في استثناء مجرد بعد موته فبنوا لأنفسهم قبوراً كالتصور شادوها بالأشجار الهائلة في أكتاف المدينة وكانت قبورهم مدينة أخرى سكانها من الاموات . ولو بعث التدمير بعون بعد ذلك بفترة قرون لرأوا قصورهم أشد وحدة من قبورهم

اشهرت تدمير في أوسط القرن الثالث للميلاد بالملكة زينوبية فطبع بها الرومان في الغرب والفرس في الشرق وقادت الحرب بينها سجالاً حتى نغلب الرومان فملوكوها وأكثراها لم تدم لهم ولا غيرهم فلم يمر بها أجيال حتى أصبحت في زوالها الأهالى وخولت قصورها إلى خراب وصارت هيكلها حجوراً للشعب والنجدة وأوكاراً للطير . ونفع على منابرها اليوم بدل خطابة الخطباء ووضع العظام

ولو عتل ابن زياد يوم اشرف على تلك المخرب وعرف تاريخ تلك الآثار لعلم بصير الانسان فإنه لا يبقى له من مجده إلا ما أكمبته يداه من خير أو أحسان وقال مع الإمام علي « إن الدنيا دار أو هادئه وأخرها فداء في حلامها حساب وفي حرامها عذاب من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن » وتحمل لما ارتكبه هو ولبي أمره من ضروب الاعتساف وهان عليه ان يطلق سراح اسيرتو شفقة على صباها ورحمة لها في قليها من لوعة المحن على حبيبها عبد الرحمن

ولتكن جهله ذلك او تجاهله وأندفع بهيار الشهوات ولم يزدد في تلك الخلوة إلا فسدة ولم يعد يصدر عن نيل بنبيه حتى يصل الكوفة فامر بمحط الرجال ونصب الخيام فتصبوها على مرتفع يشرف على تلك المخرب الدانتنة وفيها بناءاً اسواقاً وإمباساً كل فالقصور والقبور . وامر ان ينبعوا بذلك يوماً كاملاً يستريحون فهو ثم يرحلون . وانما

هودج سلى في مكان منفرد عن معسكره يترقب هيكيل الشبس - وشغل اعنانه بازدال الاحمال
ومشي الى سلى وكانت جالسة كثيبة تتأمل في حالمها ونصر نسها الى بلوغ الكوفة ولم
يختصر بياطها ما نواه ابن زياد - فلما وصل خيمتها امر المفتر ان يتبعدوا ففعلوا فدخل
وإذا هي جالسة على بساط وقد اثر السفر والتعب والحزن في جسمها فهزلت وامتنع لونها
ورقت وجهتها وذابت عيناهما وأعممت العبرة طريقة فيها

الفصل السادس والسبعون

الفتاك

فلم رأته داخلاً قرأت الشر في وجهها فاستعادت بالله - وكانت ادرك خوفها فخاطف
في سرّها عن حالمها - فلم تجرب - فقال لها « قومي يا سلى واتركي الخيمة وادخلـي هذا
القصر وتأملي في صندوق »

فادركت انها اذا ابتعت ما قاتها بالعنف فسايرتها ومشت حتى دخلت الهيكـل
فاصبحت بها رأة من سعـد وارتفاع جدرانـه وكثرة اسـاطيلـه - فـإن مـساحـةـه كانت سـخـونـةـ
منـزـعـ وـجـدـ رـأـةـ منـ سـجـارـةـ هـائـلـةـ عـلـوـهـاـ سـعـونـ قـدـاـ لاـ بـرـازـلـ مـعـظـلـهـ قـائـمـاـ .ـ وـفـيـ صـحنـ
الـهـيـكـلـ اـسـاطـيلـ فـخـةـ مـتـشـاخـةـ مـتـراـصـةـ فـيـ صـنـوـفـ مـتـداـخـلـةـ بـرـيدـ عـدـدـ اـسـاطـيلـ عـلـىـ مـنـةـ
وـخـمـسـينـ اـسـطـولـةـ مـاعـدـاـ اـسـاطـيقـ وـالـمـهـدـمـ

فـلـمـ رـأـتـ نـسـهـاـ فـيـ تـالـكـ الخـرـبةـ اـهـانـةـ مـعـ اـبـنـ زـيـادـ وـابـسـ مـهـمـاـ ثـالـثـ اـرـتـعـدـتـ فـرـاـصـهاـ
وـتـحـلـقـتـ وـقـوـعـ الـهـيـلـوـرـ .ـ وـكـانـ الصـعـفـ قـدـ تـكـنـ مـهـاـ وـلـمـ تـعـدـ تـقـوىـ عـلـىـ الدـافـعـ فـاصـطـلـكـتـ
رـكـبـتـهاـ وـعـزـتـ عـنـ المـشـيـ فـاسـدـتـ نـسـهـاـ عـلـىـ اـسـطـولـةـ بـجـانـبـهاـ جـبـرـ كـبـرـ جـلـسـ عـلـيـهـ
وـهـيـ تـرـعـشـ .ـ فـادرـكـ عـيـدـ اللهـ حـالـمـاـ فـعـدـ اـلـىـ الرـفـقـ بـهـاـ جـلـسـ عـلـىـ جـانـبـهاـ وـهـوـ بـجـاذـرـ
اـنـ يـلـسـهـاـ لـلـلـاـ تـجـلـلـ وـقـالـ لهاـ «ـ اـنـعـلـيـنـ يـاـ سـلىـ اـنـكـ وـجـيـةـ فـيـ هـذـاـ المـكـانـ وـانـ
جـانـكـ يـدـيـ .ـ ؟ـ وـإـنـيـ نـائـلـ مـنـكـ مـاـ أـرـيدـ وـلـوـ بـلـغـ صـرـاـخـكـ عـدـانـ السـاءـ اـذـ لـيـسـ هـنـاـ
مـنـ يـسـعـ صـونـكـ غـرـ هـذـهـ الـأـسـجـارـ .ـ وـقـدـ طـلـلـاـ مـنـصـوـكـ وـأـنـتـ تـدـافـعـيـ وـإـنـاـ اـعـمـلـكـ
بـالـيـنـ وـالـلـاطـفـ حـتـىـ طـلـعـتـ الـكـأسـ وـأـنـكـ اـنـ تـرـعـوـيـ .ـ فـاـ ضـرـكـ لـوـ اـفـلـعـتـ عـنـ جـهـاـنـكـ
وـأـصـغـيـتـ لـصـيـغـيـ وـأـطـعـيـ فـكـوـنـ زـوـجـيـ وـأـنـتـ تـعـلـيـنـ اـنـيـ يـدـ اـمـيرـ الـمـؤـمـنـيـنـ وـسـيـنـهـ الـذـيـ

بناضل بـو وقد ولـا في الكوفة والبصرة فـاذا عـنـلتـوا اعـتـقـيـكـيـ كـمـتـ سـيـةـ نـمـاءـ الـكـوـفـةـ وـاـذـاـ شـيـ
عـلـيـكـ لـعـنـ ايـ تـرـابـ فلاـ اـكـلـنـكـ لـعـنـهـ . وـاـنـاـ اـطـلـبـ الـبـلـكـ انـ نـصـرـيـ بـنـوـالـكـ فـاـعـلـيـكـ
ماـ تـرـيدـهـ وـتـعـيـشـيـ مـعـيـ فـيـ نـعـمـاـهـ كـلـيـرـاتـ مـنـ اـمـالـكـ «
فـظـلـتـ سـلـيـ سـاكـنـ

قال لها « اراك ساكته فهل سكونك هذه المرة مثل سكونك بالامس في دار
الخالدة ام هو دليل على رجوعك الى الصواب . و يكفيني برهاناً على ذلك ان تعيدي
ذلك فاقبليها » قال ذلك ومد يده اليها

فَلَا سمعتْ كَلَامَهُ وَرَأَتْهُ يَدْ بَدْهُ وَقَنْتْ وَتَبَاعِدْتْ وَلَكَهَا شَعْرٌ بِالضَّعْفِ وَتَحْفَقْتْ
إِنَّهَا إِذَا جَاهَتْهُ فَعْلَ بَهَا مَا يَشَاءُ وَلَا تَنْتَوِي عَلَى دَفْعِهِ . عَلَى أَنْ نَسْهَمَا لِمَ تَضَعُفْ مِنْهَا ضَعْفٌ
جَمْهَا فَلِمْ نَهَا لَكَ عَنِ الْجَاهَاةِ فَلَا دَنْتْ يَدْ مِنْهَا دَفْعَةٌ وَصَاحَتْ بَاعِلِ صَوْنَهَا « اَنْتَهِمْ
ضَعْلَنِي يَا عَبْدَ اللَّهِ وَتَسْبِيدُنِي .. وَتَزْعُمُ اَنْتَنِي خَلْوَةً لَا يَرَانَا فِيهَا اَحَدٌ .. ؟ أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ
اللَّهَ يَرَكَ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى اذْلَالِكَ كَمَا اَذْلَلَ بَنَاهُ هَذِهِ الْفَصُورَ وَكَانُوا مَلُوكًا فَاصْبِرُو
زَرَابًا .. ؟ خَفْ مِنَ اللَّهِ يَا ابْنَ زَيْدٍ وَاشْقِ عَلَى ضَعْفِي »

فقال لها «لقد اهلكت بالي عليك كثيراً وأكثرت من الرفق بك حتى لم يبق مكان للصبر عندي .. فاعلي انك واقفة بين الحياة والموت . فإذا رجعت عن غيرك واطعنني حبيستر سمعون مكرمة معززة ولا» فاني اصلبك الى هذه الاسطوانة ثم اطعنتك ببعض الاختبار
واتركك طعاماً لطهور السماء » قال ذلك وأشار الى سخريه

فعظم الامر على مللي وغلب عليها اليأس ويفتحت بدنو اجلها فسيطرت كثتها الى
السماء وصاحت باعلى صوتها « اني استجير بك يارب العالمين يا ناصر المظلومين استجير
بك من ظلم هذا الباغي الاثيم . فابعث علبي من لذتك من يأخذ بناصري
وبينذفي ... اشنق اللهم على فناء لا ذنب لها الا الاتصال لبنيك والغيرة على
أهل بيتك الطاهرين ... »



الفصل الاباسع والسبعون

— كلب الناسك —

وكان سلي لكم والصدى يدوى في تلك الخرائب وهم ابن زياد ان يتبهرا فاذا ينبع بين الاساطين ونبجه يقترب نحوها . ولم تمض برهة حتى دنا الكلب واذا وهو اسود كبير فلما رأته سلي علمت انه شبيوب كلب الناسك فاستغربت وجوده في تلك الخرائب ولم يكن عيده الله اقل استغرابا منها . اما الكلب فوثب على عيده الله وهو ينبع بناجاً شديداً دوى له المكان دواً عظيماً . فاستأنست به ودخوله جاءها بالدرج الترتيب اما عيده الله فلما رأى الكلب وانما عليه استيل " خجور " وطعنه في ظهر طعنة غاص بها انصل الى نصفه فموي الكلب عواً شديداً من شدة الالم واثنى مسرعاً حتى خرج من الميكبل

والتفت عيده الله الى سلي وقال « كأني بك قد استأنست بهذا الكلب وحيثما فرجاً جاءك من ربك فها قد قتلناه واما بنيت على غيرك الحتماك به ومزجنا دمه بدمك » قال ذلك واخترع بيده والدم يقطر منه

فقالت « الغد خبرك في صدرى وارجعى من دونك »

قال « ساقفل ذلك بعد ان اتركك حادة وحدك لختيرين اجلك » قال ذلك وحل عاصمة وربط بها اكتافها من الوراء وشدها الى الاسلوانة وتناول ثقابها وقيد بـه رجالها وترکها مصلوبة مكتوفة الوجه وخرج وهو يقول « استقرى الله في نفسك وسأعود اليك بعد ساعة فاذا بقيت على وقارحلك اغدلت خبرى هذا في صدرك وتركك بين ذه الخرائب طاعاماً للغربان . واما رجمت عن غيرك سرت بك مكرمة الى الكوفة » خرج عيده الله وقادرها مصلوبة ثم من ضفحت الوناق فصغرت نسها وعلمت ان العنة لا ت赦 الا اذا خذلت بالروح ورضيت بالموت على خيانة ضميرها . ولكنها استغلت ان يطول عذابها على غير طائل وودت لوانه اسرع في قتالها لنجو من ذلك العذاب . ثم تذكرت شبيوبَا وشق عليها موته في سيفها على غير فائدة ما وعادت الى الافتخار في سيفه حيثى الى تلك الدبار فلم تجد سيفاً سوى انه رأى الركب مارقاً بالغوفة فلحق به القاتل

وطلت سلي مصلوبية على تلك الاستعطاف وانكارها تامة في عالم الخيال لا يجلوها غير الانفكار بعد الرحمن . فلما تصورت موته هان عليها الحراق به ولكنها استطاعت اجهلها واستدكفت ان تموت على تلك الصورة وهي لم تتفق له

الفصل الثامن والسبعون

الفرج القريب

وفيما هي غارقة في بلج المواجهين سمعت خربشة وابتها ثم رأت ثيبيواً مسرعاً اليها وقد جمد الدم على جرحو واسكب على كتفيه الى قواطعه . وقد فتح فاه واندلع لسانه وهو يلهث من النعيم . فنادتها سلي فدنا منها وذيله لاصق بساقيه ثم الف نسمة بين رجلها وقد أخذ منه النعيم ما أخذها عظيمآً وانقض عنبوه وندد رجلبوه وهو بين اثنين التزع ولم تكدر سلي لتأمله وتأسف لحاله حتى رأت الشیخ النائم بين يديها وهو يهلل وثاقها باسرع ما يستطيعه الشاب في عنفوان شبابه . فبعثت لروبيه ولم تنه بكلمة . وكانت حركة واشاراته تشير اليها ان نسكت . فلما حل "الوناق اواماً" اليها ان تسرع امامه فاسرعت ثم حمل كلبه على ذراعيه وسارحت سيفها فصارت في اثر لا تتحقق بذلت شفقة . ولكنها استغرقت ذلك الاتفاق وعدة من قبيل المغزات وكان الشیخ وهو سائر يثار التراب على اثار الدم في الطريق حتى لا يستدل بها احد الى مكانه

وبعد مسيرة نصف ساعة بين الاجمار والعدان وصلتا الى باب ضيق الخدرا فهو على درجات غير منتظمة والكلب على ذراعي الشیخ . وقبل الدخول عمد الشیخ الى حجره " بو الباب حتى لا يشك الذي يراه انه خالٍ مهجور . ثم دخلتا حتى اختفي عن العيون ووصلتا الى مصطبة تحت الارض لا ينفذ اليها النور الا من خلال الباب . فجلس النائم واجلها وضع الكلب بين يديه على المصطبة وأخذ في الكلام والغيبة وهو يخاطبها وسلى ساكنة تنظر الى ما يجدون منه فاذا هو يقول « أنسني عليك يا رفيقي وصديقي ... واحسرتاه عليك ايها الخادم الامرين ... لقد خنت حياتك بشهامة يعبر البشر عن مثلها ... انك حيوان اعجم ولكنك خير من الناطقين لأنهم يطلقون بالباطل ويستخدمون تلك امية السامية لارتكاب المكرات وإثبات المعاشرى وانت

لا تعرف غير الخبر . . . صحبتك منذ بضعة عشر عاماً وانت رفيقي وابني . . . صحبتك بعد ان عللت صحبة الآدميين وعرفت شرور بني الانسان . . . ما ابلغ عجمتك وما افزع نفطم ! . . . نعم امك حيوان ائم و لكنك انقذت نفساً ناطقة . . . انقذت هذه النفس الطاهرة من متكر او شك ان يرتكبها فيها انسان يزعم انه ارق منك خلة و اسي عاطفة وهو لا ينفصل الا باقتداره على بث الدسائس ونصب المكائد . . . قُتل الانسان ما اكبر دعوه وافق خيره ! . . . وهو ينفترم بذلك الله سيد الاخلاقات . . . ما صحبتك الا وانا عارف فضلك وناظر خيرك . . . ولكنني لم احز رسوه مصيرك . . . وما حبيبتك انك صادر الى الموت قبلي قال ذلك وهو ينظر الى كلبي والكلب ينفعه ويخلط ويجهل عينيه ويعاني عذاب النزع . . . ولسي تنظر اليها ولا تهالك عن البكاء . . . وكان أكثر يكاثبها على ما اصاهاها من فند حبيبها وقالت في نفسها « اذا كان هذا الشيخ يبكي كلبة لاما تتوصدق مودتي فكيف لا ابكي حبيبي وابن عي وقد ذهب ضحية امامته في خدمة الحق »

الفصل التاسع والسبعون

﴿فلسفة حكم﴾

وكان الشيخ يبكي ودموعه تحدر على لحيته وتدحرج حتى تسكب على الكلب وتحنط بدمائه . ثم رفع الشیخ بصره الى سلوى وقال لها « لا تتعجب يا بنتي لما ترين من يكافي على حيوان ائم فانه خير عدو من اولئك الآدميين . . . لا اترى به ذكر صحبتك ومات في سبيل انتادك . . . ولكنني لم يمت رخيماً . . . انذاك صحبة يوم او يومين فلما اشتم رائحتك بين هذه المخراشب وكان ناماً الى جانبني نهض كالليث الكاسر واسرع اليك ثم عاد ودموعه ينور من جرحه لذلة الطعنة وكأنه أشار الي ان الحلة فبعثة . . . وفيها انا مار . بين هذه الاساطير بصرت بذلك الرجل اللثيم خارجاً من الميكل ولا عامة على رأسه والمخضر يبت وهو هم بالغاده . فلما اتيت اليك ورأيتك مصلوبة ادركت انه صلبك هديداً فانقذتك والنضل لهذا الحيوان . الذي ترى يقاومي غرات الموت بين ايدينا . . . فمن ينعمل ذلك من الآدميين . . . كم من رجل ترين في حجرك وتطعنونه من

طعامك ثم يكون وبالاً عليك ؟ »

فتصورت سلى احوال الشر وظلمات بني الانسان ومطامع اهل الشرور وكيف انهم يقربون النفيحة على مذايق الاغراض ! فقالت « صدقت يا مولاي ان صحبة هذا الكلب خير من صحبة كثيرين ولكن النهاية نفذ فيها . ولا عجب فذلك عافية اهل الفضل من المخلوقات الناطنة ايضاً »

فنهيد الشيخ وتغيرت صحته وكانت افاق من غثاثه والنت الى اللقا وعياه تقدحان شرراً وقال « وبدل ذلك على صدق ما وعد به ربك من العتاب والثواب ولاإ فإن الحياة ضرب من العبث لان العدل في هذه الدنيا غريب تأثير لا يعرف ماوى .. ولا ترى في اعمال الناس غير المظالم الفادحة . ترى الاشرار في رغدوهنا وسعادة والابرار ينماسون من العذاب . وما كان ربكم ليذهب الطالبين ستاني ساعة تلقى فيها كل نفس ما كسبت ان خيراً وان شرراً وويل للذين خلّموا من مشهد يوم عظيم ! »

شعرت سلى والشيخ يتكلم كأنه يطلق بلسان اهل السوء ولم تهالك ان قالت « نعم ولا بد من ذلك كيف لا وقد رأينا خيرة الصالحين يقتلون بآسياف القلام وهو لاء يعيشون في سعة وسلطان والله عادل فلا بد من يوم يحال فيه كل امرء ما كسبت يداه »

ثم سكت كلامها والشيخ يصح دموعه ثم قال « هلم بما تدفن هنا الصديق الابدين فقد يكتبنا وسنذكره كلما لقينا شروراً » قال ذلك ويهض فخر حضر وكان الكلب قد مات فدفنه فيها وسلى توقع ان تصفع من الشيخ خيراً . وتدكرت ما شاهدت من كراماته في دير خالد فقالت لعله يبيّني بشيء يتفعي . فلما عاد الى المصطبة هبت بخطابه فادا هو يدرك انانملة بانامله وقد اطرق كأنه ينكر في امر هام فامسك هي عن الكلام وهيجاً واجلالاً . اما هو فقال لها « وما الذي جاء بك ياسلى الى هذه الديار وقد كنت سمعت بمقتلك »

ف لما سمعت قوله استغربت اطلاعه على سرقها ثم تذكرت ما تعلم من كراماته فزالت استغراها وقالت « فلتلوني يا مولى ثم احيوني وباليثم ابقوني ميتة لالتي حبيبي » قالت ذلك وخنقتها العبرات فهم الشيخ اتها نحسم عبد الرحمن متنولاً وهو يعلم انه حي . فاراد ان يستطلع فكرها

فقال « وهل قتلوا عبد الرحمن ؟ ... »
 قالت « انسأ لي عن قتله وانت اعلم مني بذلك وقد اوتت الكرامة وعلم الغيب
 ... ؟ »

الفصل السادس

الكونفة

قصمت الشيخ واطرق وقد ادرك ان سلى نظن عبد الرحمن قد قُتل . وحدثه نفسه
 ان يخبرها بيقاوى حياً ولكن رأى بقاها على اعتقادها اقرب لليل ما ينتهاء وما قد عاند
 القيمة عليه منذ نظر النسك فظل صامتاً وهو يتردد بين ان يطلعها على بناه حبيباً حياً
 او ان يسكت عن ذلك

اما في فحصت دموعها وقالت « ولكنني لا اعلم ما جرى لعامر ... هل علم
 بما قرئ بما اصاب عبد الرحمن وما اصابني ... وابن هو الا ان ؟ ... »
 فتجاهل الشيخ برقة ثم قال « لاشك انه علم بقتله وهو يعتقد انك قتلت ايضاً ولا
 ادرى اين هو فلمعلم سار الى المدينة او الى الكوفة ولا يبعد انه فتك بنفسه يأساً واستنعاً »
 فاطمطت وجهها وقالت « وأأسأه عليك يا عاصه واحسرته على آمالك وبالخسارة
 ما قضيته من سفي الشفاعة في خدمتنا ... اني لا الومه اذا قيل نفسه ... »

فاراد الشيخ ان يشغلها عن البحث في مسألة قتل عبد الرحمن فسماها عن كتبية خمام افتصت
 عليه الحديث من اوله الى آخره ثم قالت « وها اني ضبعت من الموت ولانا اشتهدوا
 الا اذا كان في بقائي خدمة المسلمين . فالآن اما ان تقتلني وتتدافي في هذه الخراب
 او ترشدي الى سبيل للانتقام ... الانتقام ... الانتقام ... »

فقال لها « أتریدين الانتقام ؟ ... »

قالت « كيف لا اريده » وهو وحن يحبب اليه البقاء والا فالتعاقب محظوظ عاجلاً
 اشهى الذي »

قال « اذا كنت تطلبين الانتقام فانك تلقيه في الكوفة »

قالت « لا ابالي ابن هو ولا كيف هو وإنما أنا أريد الحياة من اجله فاذا قتلت يزيداً وابن زياد او رأيتها مقتولين ثم متْ فان في ذلك الموت حياة لي »

قال « اعلى يا بنتي ان الحسين ارسل ابن عم مسلم بن عقيل الى الكوفة ليدعو الناس الى يعزوون هناك فبایعه منهم نحو ثمانية عشر الله^(١) فاذا جاء الحسين الى الكوفة تمت البيعة له فينقل ابن زياد فقتلوه ثم يصيرون الى الشام فهماربون يزيداً وبقتلته ايضاً »

ولم يتم الشيخ كلامه حتى اشرق وجه سلي من النرج وقامت « آه .. باحبدنا ذلك ... هل انا ولوني المنام ؟ .. هل اقتل يزيداً ؟ .. هل اقتل ابن زياد ؟ .. اني اريد ان اقتلها يدي .. ولكن قل لي يا امه هل عرفت ذلك بتينا ؟ .. »

قال « اني اقول الصحيح الذي لا ريب فيه فاماكتفي معي هنا بضعة ايام ربها يتصرف هو ثلاثة اليوم الى الكوفة ثم للحق هم وفق وصلنا الكوفة ابشع ما سيكون »

اما ابن زياد فانه ترك سلي مصليوبة وهو لا يشك انها لا تثبت ان تذعن له وتخاف بطشه . فلما عاد الى الميكل ورأى بنايا الوثاق ولم يرها غاب رشد . واحد يبعث عنها بين الاساطين في الميكل وخارجها وارسل رجاله ينشدون في كل مكان فلم يبلغوا لها على اثر . وما زال في البحث يومين حتى ملّ ولامة رفاقت على الاخير والخالة تتفضي بسرعة المسير لتدارك ما ألم بأهل الكوفة من الخوف على البيعة هناك . فتحول احواله وسار بالنفس الكوفة وهو يشتت ورائه ولا يصدق ان سلي خرجت من يده على تلك الصورة . ولو أطاعته رفاقه لما خرج من نصر قبل الوقف على مكان سلي ولو ادى به ذلك الى نقد اتجاه تلك الخرابب مجرأ حجرأ

وكان اهل الكوفة قبل وصوله قد القوا مسلم بن عقيل وبايده منهم جمع غدير وضعف امر الامويين . وكان عبيد الله بن زياد اولاً في البصرة الله^(١) ففرض اهلاها على الطاعة . ثم جاء الكوفة واهلاها قد تشيع معظهم الى الحسين واصحابها ينتظرون قدوتها لبياضها وبروله امر . فلما سمعوا بان يزيداً اولى عيادة رجعوا ان يصل الحسين قبله لتكون الولاية له . اما عبيد الله فالقدر الخنوم وصل الكوفة قبل الحسين فدخلها وحده وعليه لباس الامراء . فكان لا يرى مجلس اوجاهة الا ظنوا الحسين فيقولون « مرحبا بك يا ابن رسول الله » وهو لا يكلم . وخرج اليه الناس من دورهم . فسأله مارأه من

ترحاهيم بالحسين . حق وصل دار الامارة (النصر) وفيها العغان بن بشير اميرها السابق والعنان يحبسه الحسين فاغلق الباب في وجهه وقال له « اندك الله ألا تختبئ عنـي .. فوالله ما أنا بمسـلـمـ البـلـكـ اـمـاـتـيـ .ـ وـمـاـلـيـ فـيـ قـنـالـكـ حاجـةـ» فـدـنـاـ مـهـهـ وـقـالـ لـهـ «ـ اـنـجـ لـاـنـخـتـ» فـلـمـ سـعـيـ العـغاـنـ صـوـتـهـ عـرـفـهـ وـفـعـلـهـ وـصـعـدـ عـيـدـ اللهـ المـدـرـ وـخـطـبـ فيـ النـاسـ قـيـالـ «ـ اـمـاـ بـعـدـ فـانـ اـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ وـلـأـنـ نـفـرـكـ وـمـصـرـكـ وـفـشـكـ وـاـمـرـيـ بـاـنـصـافـ مـظـلـومـكـ وـاعـطـاءـ عـمـرـوـكـ وـبـالـاحـسـانـ الـىـ سـامـعـكـ وـمـعـاـيـعـكـ وـبـالـشـكـ عـلـىـ مـرـيـكـ وـعـاصـيـكـ .ـ وـإـنـاـ مـتـبعـ فـيـكـ اـمـرـهـ وـمـنـذـ فـيـكـ عـهـنـ .ـ فـانـاـ لـهـسـكـ كـالـوـالـدـ وـلـطـاعـكـ كـالـاحـ الشـفـقـ .ـ وـبـيـنـيـ وـسـوـطـيـ عـلـىـ مـنـ تـرـكـ اـمـرـيـ وـخـالـفـ عـهـدـيـ فـلـيـقـ عـلـىـ نـفـسـهـ »^(١) ثـمـ تـرـزـلـ وـجـعـلـ بـهـمـ فـيـ اـرـهـابـ اـهـلـ الـكـوـفـةـ وـرـدـهـ اـلـىـ الطـاعـةـ هـاـعـرـفـ بـوـمـ اـنـ الـدـهـاءـ .ـ وـاهـلـ الـكـوـفـةـ ضـعـفـنـاـ سـرـبـعـوـ الـانـتـلـابـ^(٢)

الفصل الخامس والثمانون

كر بلاه

اما ما كان من سلي والشيخ فانها بعد ان تختبئ سير ابن زياد من تدخل خرجا وسارا يائسان الكوفة من طريق غير الذي سار هو فيه وكان سيرها يطيلها لانها ما شبان والطريق وعر وفيه خطر وبعد أيام اشرفوا على الكوفة من ثل وقد تعجبوا عظياً . فاستراحوا يوماً وسلي لا نصر عن التزول الى الكوفة فلما عزم على ذلك قال الشيخ « اعلى يابية التي عاهدت الله ان لا اقيم في المدن ولا اسكن العارة فازرتني الكوفة وحدك » فبعثت سلي وقالت « وكيف العمل بما ملأني وابن نعيم ؟ » قال « اما انت فاذهبي الى ذلك البيت في طرف الكوفة ... هل ترينه ؟ » قالت « نعم » قال « انه بيت امرأة كندية ملك اسهامها ملوحة وكانت جارية للأشعث واعتها ثم

تزوجها رجل آخر ولدت منه اولاداً اسم أحدهم بلال .. هل تعرفينها (١) ..

قالت « نعم أذكرني رأيتها في الشاء أقامتني بالكوفة واظهرها تعرفني »

قال « أذعبي إليها واقفي عندها وإنما اتردد إليك في منزلها ونرى ما يكون

من الأمر .. »

فقالت « والنلت ابن فقيم .. »

قال « أما أنا فاني ذاهب إلى سهل صغير في طرف البرية وراء الكوفة من جانب

التراث اسمه كربلاء (٢) فإذا احتجت إلى فانك تجدينني هناك »

قالت « لا تنسني من دعائكم وإنني داخلة الكوفة وقلبي متغضش بالأمال وعسى أن ينفع الله علينا ونخرج كربلا ونرى الحق سائداً »

قال « وإنما أرجو ذلك » ثم ودعها ومضى وفي خاطره أن يزددها اهتماماً فيطالعها

على حقيقة حال عبد الرحمن . لكنه أجل ذلك إلى فرصة أخرى مخافة أن تشغله بو

فسير إلى عبد الرحمن يكمل وهو يرى الكوفة أوسع مجالاً للاتقاء

فمشت سلي حتى دخلت الكوفة كأنها فتاة من فتياتها عائنة من الاحتفاظ إلى

الاستقاء . ومررت في الأزقة فرأيت الناس في هرج وسует بعضهم يعادون « يا منصوراً

مت » وأخرت يلعنون ابن زياد (٣) فاستبشرت بتنمية الناس عليه وأكملت أحبت

استطلاع الواقع فعولت على الاستهانة من طوحة

وبعد قليل وصلت إلى دار طوحة فرأيت المرأة جالسة في الباب وجدتها في نفسها

فلما عرفتها راحت بها واستقبلتها . وكانت قد عرفتها قبل سفرها إلى دمشق فسألتها

عن عمر عبد الرحمن فاجابها جواباً منها وكظمت ما في نفسها وإدخالها طوحة

إلى البيت وقدمت لها الطعام فاكتفت منه شيئاً واستراحت ولم يرق لها صبر عن

استطلاع المخبر ف وقالت « ما بالي أري أهل الكوفة في هرج ومرج ؟ ما الذي أصابهم ؟

وما معنى ما سمعته من أقولهم يا منصوراً مت »

ف وأشارت طوحة إليها أن تخاض صوبها ثم قالت « العنكبوت غابة عن الكوفة »

قالت « كدت في البصرة ولم أعد ألا في هذا التهار »

قالت « وابل البصرة لا يجهلون ما أصابنا لأنهم شركاؤنا في الأمر .. »

قالت « سمعت بأئناض أهل الكوفة على الخليفة الجديد وبما يعتمد للحسين بن علي

(١) ابن الأثير ج ٢ (٢) مراصد الاطلاع ج ٢ (٣) ابن الأثير ج ٢

على بد ابن عم مسلم بن عقبة . ولتكن سمعت الناس يلعنون ابن زياد لانه تولى الامارة على ان ينماوهم المبايعين ولم افهم شيئاً غير ذلك . . .

الفصل الثاني والثمانون

هاني بن عروة

قالت « اعلى يا بنته ان مسلم بن عقبة تزل في دار الخمار بن ابي عبيد وامير الكوفة يومئذ العنان بن بدر وهو رجل ضعيف . فجعل مسلم يدعو الناس الى يعة الحسين فباعية جع كبر حتى خاف الامويون ان يخرج الامر من ايديهم . وانت تعلمون ان الحسين لو جاء الكوفة لا يبقى احد لا يباعية . فلما رأى الامويون ذلك بعنوا الى زياد في دمشق فولى عليهم عبيد الله بن زياد وهو داهية مثل ابيه كلامي عليك . . . »

فنهدت سلى وقالت « كيف لا اعرفه وهو الذي قتل والدي رحمة الله . . . »
قالت طوعة « فلما جاء ابن زياد الكوفة دخلها وجد فلم يشك الناس انه الحسين . ثم ما ثبتوا ان عرقه فدخل دار الامارة وخطب في الناس وحرضهم على مقاومة شيعة الحسين ولكن يتم له ذلك مع قوله اشياعه بعث الى العرفة (مشانع المخارقات) فجدهم وامرهم ان يكتروا اليه ابناءه من في ارباعهم من شيعة الحسين وشدد في ذلك حتى هدم بالصلب والتقطيل . فلما سمع مسلم بما نوته ابن زياد خرج من دار الخمار ونزل في بيت هاني بن عروة المرادي وهو رجل ذو وجاهة . . . »

فقطعت سلى كلامها وقالت « اني اعرفه »

قالت طوعة « فلما جاء مسلم الى هانيه خاف هذا ان ينزله في داره لما سمعه من تشديد ابن زياد في طليوه . فقال له مسلم اتيتك ليغيرني وتفصيني . فلم يعبد هانيه يستطيع ردّه فقبله بالرغم عنه . فصارت الشيعة تختلف اليه في دار هانيه . . . فبلغ ذلك ابن زياد من بعض الجوايس فاراد ان يجتاز في الدخول على هانيه ليتحقق الامر . ثم مرض هانيه بن عروة فبعث ابن زياد اليه انه قادم لعبادته . فقال بعض

المحضور من الشيعة ها ان هذا الطاغية قاتم ابن ابيكم فانقلوا وانذروا المسلمين من شر ...»

فيهنت سلي عبد ذلك وصارت ثوقيع ان ينبلوه لاتهما فرصة ثمينة لو اغتنموها — ولكنهم اضاعوها فصاحت بضياعها كل مسامعهم .. وكم من غلطة صغيرة يتوقف عليها خراب كبير ...

فاستطردت طوعة كلها وقالت «فلا اقترح ذلك الرجل قبل ابن زياد اعترض هاى بالله لا يريد ان ينصل امير الكوفة في داره . فخوا ابن زياد فعاده وخرج سالماً» فصاحت سلي «بالخسارة وبالضعف ... آه ما اضعفهم ...»

فقالت طوعة «ابهم ضعفاء يابنته ولكن ذلك امر الله ... فاصبح ه ابن زياد ان يتبع على هاى واستنطافه . فبعث اليه ان يأتيه في قصر فاعذر هاى بالمرض فاتبع عليه وبعث اليه رجلاً استندمه بالحيلة . فلما وصل هاى، الى دار الامارة احس بالشر . ولكن دخل ووقف بين يدي ابن زياد فقال له هذا «يا هاى، ما هذه الامور التي ترخص في دارك لا امير المؤمنين؟ ...» جئت بسلم بن عثيمين فادخلته دارك وجمعت له السلاح والرجال وظلت ان ذلك يختلي علينا؟ ...» فاخترك هاى، في يادى الرأى وهو لا يظنه امر معلوماً عبد ابن زياد . فارأه ابن زياد الرجل الذي كان جعله عبئاً عليه . فخفق هاى، انه مطلع على جلية الامر فقال «اجمع بي وصدقني فوالله لا اكذبك . والله ما دعوت ابن عثيم ولا علمت بشئ» من امه حتى وأيتها جالساً على يالي يسألني التزول على . فاسقطت من رده وازمتني من ذلك زمام فادخلته داري وضفت وقد كان من امر الذي يلفك . فان شئت اعطيتك الان موئلاً تطمئن به ورهينة تكون في يدك حتى انطلق واخرجه من داري واعود اليك» فلم ينفع ابن زياد باخراج مسلم من دار هاى . بل طلب اليه ان يأتيه به الى النصر . فقال هاى «لا آتيك بضيقني لقتلة ابدآ ولله على حق الفباء وهو في ذمائي» فتوسط بعض المحضور في افتعال هاى ان يأتى بسلم ولا خوف عليه فلم يقنع حتى قال «لا ادفع ضيفي ولانا صريح شديد الساعد كبير الاعوان . والله لو كتبت واحداً ليس لي ناصر لم ادفعه حتى اموت دونه»

فصاحت سلي عند ساعتها ذلك «لا فض فوك يا ابن عروة هذه هي رعاية الذمام» فقطعها طوعة كلام سلي وقالت «اميبي يا حبيبي ما كان من عاقبة تلك الرعاية فان ابن زياد لما سمع كلام هاى قال ادنوه مني . فادنوه . فاعاد التهديد عليه . فلما

يقطعه تناول عبيد الله عكاراً كان سيف بد بعض رجال الوامر واحداً فامسك هائماً بضيورته وهو عبيد الله عليه بالقضيب . ولم يزل يشرب آنه وجبيه وخذن حتى كسر آنه وسفل الدماء على ثابو ونار لم خديبو وجبيه على ثابتو حتى انكسر القضيب . واراد هائماً ان يدافع عن نفسه فرد بين الى قائم سيف شرطي كان واقفاً بجانبه فجعنه منه . وامر عبيد الله بو فاني هائماً في حجرة وأغلق عليه ... »

فطلبته سلي كذا بكتف وقالت « وماذا فعل رجاله واهله وعشائرته؟ »

قالت طوعة « بلغ عشيرته انه قُتل مجاقاً او احاطوا بالنصر وفروا ابن زيد ورجاله فخاف ابن زياد منهم وسلام عما يرددونه فقال لها انك قاتلت هائماً . فهان عليه الخصل لأن هائماً لا يزال حياً . فاستشهد شريحاً الفاضي وكأنوا يعتقدون بصدقه . فقال له عبيد الله ادخل على هائماً واخبرهم انه حي . فدخل وعاد فأخبرهم انه حي فانصرفوا »

فصاحت سلي « يا للفشل ماذا اصاب الناس ... »

فقالت « تهلي يا سلي انك سمعتني ما يدركك وفي النوز والجهة ان شاء الله وذلك انك سالتي عن معنى قوله « يا منصوراً مت » فاعلي يا بيته ان هذه العبارة هي شعار الصار الحسين ينادون بها بضمها بعضاً » . وأما سبب المرج الذي رأيته فان مسلماً لاعلم بما اصاب هائماً بهض ونادي رجاله بذلك الشعار حتى اجمع حواه تائية عشر الآف من كثة ومتخرج واحد وغيم وهمدان وامل المدينة وأكل عشرين من هولاء ربع . فعقد على كل ربع لائحة وساروا في هذا الصباح حتى احاطوا بالنصر . وليس مع ابن زياد في النصر الا ثلاثةون رجلاً . وهو الآن في ضيق شديد ولا اظن مسلماً الا فائزراً »

فنهل وجه سلي وارقت اسرتها وباهت الاهتمام على وجهها وقالت « يارب يا كرم ... انصر قومك ... » قالت ذلك ويهضت تردد الخروج

فامسكتها طوعة وقالت « الى اين تذهبين »

قالت « دعيفي امضي وارى ما سيكون من امر »

فقالت « تهلي واقعدني فانك فتاة ولا آمن عليك الفوضاء »

الفصل الثالث والثانون

الفصل الجديد

وفيا كانت سلي تحاول المزروج سمعنا وقع اقدام بباب الدار . فتغير وجه المرأة وخفق قلبه وليس في يدها رجال . فشاررت الى سلي ان تكث وخرجت هي الى الباب فرأى رجلاً واقفاً والبغنة والكافية ظاهرتان على وجهه . فساله عما يردد
فقال « استني الماء »

فندمت له كوبية شريها وجلس . فقالت له « يا عبد الله ألم تشرب ؟ »
قال « بلى »
قالت « فاذهب الى اهلك »
فمسكت

فقالت له ثلاثة ان يذهب . فلم يبرح المكان
فقالت « يا سجان الله ؟ .. اني لا اهل للك الجلوس على باي »
فقال لها « اني غريب وليس لي في هذا المصر منزل ولا عشيرة فهل لك الى اجرى
المعروف ولعلك اكافئك بو بعد هذا اليوم »
قالت « وما ذاك ومن انت »

قال « انا مسلم بن عقبة كذبني هؤلاء الاقوام وغروني »
وكان سلي واقفة تنصت فلما سمعت تولة اخراج قلبهما في صدرها واسرعت الى الباب . فلما وقع بصرها علي عرقته وكانت قد رأته قبل ذلك الحين في المدينة . فارادت
ان تستعطف طوعة في قوله فادا هي قد دعنه من ثلاثة نصفها ان يدخل
فذخل مسلم وسلامة تحت عباءته والبغنة والتعب قد أثرا في جسمه . فعرضت عليه
العداء فلم يتعش

فوقئت سلي بين يديه وقد أرسلت تناهيا على رأسها وترقرقت الدموع في عينيها
وقالت « ما الذي اصاب قومك يا مولاي ؟ .. »
فنهض مسلم وكادت العبرات تسبق كلامه وقال « دعوني يا اخوه ولا نسأل عن
نوي فقد قلت لكيان لا قوم لي ولا عشيرة في هذه المدينة »

فقالت طووة « وأكثني سمعت في هنا الصباح انك جمعت ثانية عذر الله واحطم بنصر ابن زيد وهو ليس عنده الا ثلاثة رجالاً فما الذي جرى بقومك ؟ .. »
قال وهو يحرق اسنانه « لقد تفرقوا عنى »

قالت سلي « وكيف تفرقوا وما الذي حمل على هذا التفرق وهم كانوا »
قال « لا نسأل عن التها ، اذا وقع . ولكن اهل الكوفة قوم لا يرکن لهم وقد اخطأنا بالاعتقاد عليهم بعد ان سمعنا عي الامام علياً كرم الله وجهه يخاطب اهل العراق يقولوا « اخلاقكم دقاد وعهدكم شاق وديمكم نفاق وما وكم رعاي . المنيع بين اظهركم مريئون بذنبكم الشاخص عيكم متدارك برحمه من ربكم » ^(١) فقد غربني من هؤلاء الاقوام ما رأيت من اقبالهم على بيعة الحسين حتى تكاثر عددهم . فلا دعوهيم في هذا الصباح اجتمعوا وتجددوا حتى قلت « توليهما يا ابن بنت الرسول » ولكن ابن مرjanة (ابن زيد) داهية مثل ايديه رأى رجالاً محظوظين يتصرفون وقد امتلاهم المسجد والسوق بالناس ويمنع جماعة يسبونه ويسيرون اباءً دعا بعض رجاله وفيهم من اشرف الفتاوى وامرهم ان يخرجوا الى الاسواق وينذلوا الناس بالتهديد والوعيد او بالوعد والتخفي . واطبعهم بالمال وغنو . فخرجن بذلك الناس . وامر آخرين ان يشوفوا من غواصه قصر علينا ويؤمنوا اهل الطاعة وبخوفنا اهل المعصية فاشترقو علينا وجعلوا ينادون بالامان لمن اطاع وبالشر لمن عصا . فاشعرت الايّ الناس يتفرقون عي حق لم يبق معهم الا ثلاثة رجالاً قد دخلنا المسجد . ثم رأيت في البقاء هناك خطر اهل حماقي فخرجت متوجهاً لا دري الى ابن امير حتى وصلت هذه الدار . وانا لا ابالي الان اموت او احجا واكتفي اخاف على ابن عي الحسين لاني كبرت اليه بالحضور واظله فادماً وهو يحسب اهل الكوفة جيدهم على دعوه وهم على ما رأيتم فيهم من الضعف . ثم تهد وقال « والله ان عبد الله بن مطیع قد نفع لنا ان لا تقرب الكوفة وقد قال للحسين لما خرج من المدينة « جعلت فداءك ابن ترید » قال « اما الان فمككه واما بعد فاني استجير الله » قال « خارا الله لك . وجعلنا فداءك فاذا اتيت مكة فايالك ان تقرب الكوفة فانها بلية مشوهة بها قتل ابوك وخذل اخوك واعدل بطمعنة كادت تأتي على نفسو . الزم الحرم فانك سيد العرب لا تعدل بك اهل الحجاز احداً ويداعي اليك الناس من كل جانب . لا تفارق الحرم فداءك عي وحالى فوالله لمن هلكت لغيرهن بعدك » فما كان اجرتنا ان نصفي لنلولا ولكن قد نند السهم ولا خيرة في الواقع »

وفيما هو يتكلم دخل شاب في متبل العمر لم تعرفه سلي ولا مسلم اما طوعة فاسرعت الى استقباله وهي تربد ان تخفي امر مسلم عنه . وكان ذلك الشاب ابها بلا اعلم يسكت عنها حتى اخبره بخبر مسلم وطلبت اليه ان يكتم امره واخذت عليه الاوهان بذلك . فسكت ولكن اصر السوء . وبات تلك الليلة وسلام هناك . واما سلي فانها باتت منتبضة النفس وقد اسقطت في يدها . وتحفنت الفلال فتذكرت في ما ينفي لها ان تفعله فمولت على ان نسي اولاً في سلامه الحسينين بان تسير الملاقوان في الاريق وتقص عليه الخبر وترجمه عن الكوفة حتى ينضي الله بها يشاء

الفصل الرابع والثمانون

الدفاع

ولما أصبح الصباح افاقت طوحة ولم تجد ابها فظلت خرج لعله . واناق مسلم فجاءه سلي وعرضت عليه ان تسير هي بنفسها لا بلاغ الحسينين الخبر . فاعجب بجهودها وغيرتها وقال لها « والله لو ان في رجالنا عذر مثلك ما اصاينا ما اصاينا بورك فيك يا بنتي انا اذا احببنا الى ارسل لك ارسلاك . ولكنني لا ارى فائدة من ينفي هذا خاذل ببنضي » فنهدت سلي وذكريت مصائبها وما ألم بجيبيها في سبيل ذلك الامر فغلب عليها المزن ولكنها تجلدت وعادت الى التنجيم مسلم وهو يعجب بشهامها وغيرتها على الاسلام ولم تمض برهة حتى سمعوا دعوة حواري حول الدار وعلت الضوضاء فاجتل مسلم وامتنع لونه . فلما رأت سلي ذلك فهو خرجت تنظر ما الخبر . فرأيت فرساناً ورجالاً يزيد عددهم على السبعين وفي مقدمتهم فارس شاكي السلاح وعلى الدرع فعلمت انه زعيم القوم فلما استقبلتهم صاح فيها الفارس قائلاً « اين مسلم فلخراج اليها الساعة » فقالت « وما ذا تريدون منه »

قالوا « الملك وهذا العذيل .. اين مسلم بن عقيل »

لما سمع مسلم صوت الرجل الذي يناديه جرد حسامه وفهم عليه وقال « ما بالكم ماذا تريدون ؟ ..

فصاح فيه الفارس « تعال معنا الى الامير »

فقال « خسنت انت وابركم » وهم عليهم بهدوء حتى اخرجهم من الدار وقتل واحداً منهم . فتناولت سلى سيف الرجل المقتول وشدت وسادها وهي تتألم الموت بعد ذلك التسلل لكي تلقي بجثتها وكان ابن عقيل ينظر اليها ويعجب بجثتها وينول لها ارجعي يا سلى ارجعي ما المك ولهذا الخطر »

اما هي فلم تصح الا فضررت ضربتين ثم سمعت ابن عقيل يصرخ « قاتلوفي قتلهم الله » فالنافت وإذا يسيف اصحابه فقطع شنطة العلبة وسقطت شيئاً لكة لم يتبدل . ففيهم هو على الصارب فضررها على رأسه وتنى باخرى على العانق كادت تطلع على جوفه وسلى تناضل معه . فلما رأى النوم ذلك اشرفوا على سطح البيت وجعلوا برمونة بالمحارة ويلهمون النار في القلب ويلتهمها عليه . فلما رأى مسلم ذلك خرج من الدار بسبعين وهو ينول

افتسمت لا اقبل الا حرا * وان رأيت الموت شيئاً نكراء
او يخلط البارد شيئاً مرا * رد شعاع الشمس فاستقر
كل امريء يوماً بلا شيء شرا * اخاف ان اكتب او اغرا^(١)

وخرجت سلى وفانلام في السكة فصاح رئيس النوم بان عقيل « لا تكتب ولا تخدع ان النوم ينوعك وليسو بذاته لك ولا ضاريك » وكان مسلم قد انحن بالمحارة وعمر عن القتال فاسند ظهره الى حائط تلك الدار وقد ضعف ولم يعد يستطيع قتالاً فجاءه سيد النوم وهو عبد بن الاشعث فحبشه على يفلة وأمه على حياؤه فالنفت مسلم التي سلى فاذاهي لا تزال تكافح والدار قد لعبت في تناها فاراد ان يخاطلها تحبلوه وسارطاً به وهو يذكر في تلك النهاية لانا لم ير مثلها في حياؤه

الفصل الخامس والستون

مقتل ابن عقيل

وما زالوا سائرين به حتى جاءوا النصر واوقفوا عند باود فرأى هناك برجاً ماء يارد فقال استوتي من هذا الماء

فقال له واحد منهم « اتراءها ما أبىدها والله لا تذوق منها قطرة حتى تذوق الحبوب
في نار جهنم »

فقال له « ومن أنت »

قال « أنا من عرف الحق اذ تركته ونصح الأمة والآمام اذ خدشته وسمع وأطاع اذ
عصيته أنا مسلم بن عمرو »

فقال له مسلم بن عقبيل « لأمرك الكل ما اجناك وافشك وافقني قلبك وإغاظتك
أنت يا ابن باهله أولى بالحبيبه والخلود في نار جهنم مبني »

ثم جاء رجل فصب ماءً وأعطي مسلم فشرب ثم نظر في التدرج فإذا هو قد
امتنلا بالدم

وامر ابن زياد ب المسلمين فاصعدوا الى أعلى النصر فضررت عنقها ثم أخرجوا هائياً
وفتنلوه ولم يبال ابن زياد بهذه الذي اعطاء هنفي . ولا مسلم يصدق أنها هبها

لا شك ان عملة هذا يدل على قسوة وظاهره ولكنها باعتبار الغرض المراد منه يهدى
حرماً ودهراً لان الدول في اول نشأتها لا يتأيد استقلالها وتنجو من الدعاية
والطلابين الا اذا صرّ اصحابها آذانهم عن ندا . التمير وحصروا نظارهم في مصالحهم
المخصوصية . وفي التاريخ حوادث كثيرة تشهد بصحة ذلك :

فلو لم يغدر ابو جعفر المتصور ثانى الخلفاء العباسيون باي مسلم الخراساني ويفتنله
غليلة لم ثبتت الدولة العباسية باى مسلم هو الذي اقام دعائم تلك الدولة وسلبها الى
العباسيين . ويتناول نحو ذلك في نكبة البرامكة فان ذلك بهم يتضمن قسوة وغدرًا
ولكنه غنى الدولة العباسية من خطير عظيم . والسلطان سليم الناتح العثماني لو لم
ينفذ طومان باي آخر سلاطين الماليك لم يخلاص له الملك وكان قبل ان قتله قد
أكرمه وقربه حتى اذا استطاع كل ما يحتاج الى معرفته من احوال البلاد وخارجها
وإدارتها امر ابو فشنقو على باب زويله

ولو لم يقتل محمد علي باشا بالمالكيك في قلعة القاهرة كما هو مشهور لم يأت من
غلاظتهم مع ائمهم كانوا قد سلعوا الله واخاذوا الى السكينة . ولكن بنائهم في اعتباره كان
يدعو الى المختار على استقلاله فقتلهم بالنكبة . ولا خلاف في انه غدر بهم وقد لامة
كتيرون . ولما عذرهم عند نسوانه فهو انه امن الفتنة ولقد استقلاله . وقد روى بعض
معاصريه انه لما امر بقتلهم كان جالساً في شرفة قصره بالقاهرة فلما بدأ المذمة

خول الى الداخل وقد امتنع اونه كأنه شعر بعظم الامر ولكن مفعار الى ارتکابه
بحكم الضرورة والا فانه يعرض دولته للسقوط
على ان مثل هك العمال لا يستطيعها الا رجال يسمونهم بلغة السياسة « عقلا »
وفي الواقع ان الصبر على قتل الابرياء لا ينوي عليه الا ذروة الارادة التوينة والمطامع
الكبيرة وهو لام هو موسى الدول في الغالب

لابزال المؤرخون يواخذون بونابرт لما ارتكبه في قتل حامية يافا وهم اربعين
آلاف رجل اشداء سلوك انفسهم الى احد قواده على ان يستفيدهم . فلم ير بونابرт
راحة في استيفائهم . فامر بقتلهم رميا بالرصاص خلافة ان يكونوا عائقا في سير فتوحه .
وعلى هذا المبدأ كان سلطان آل عثمان يقتلون الخوئي فرارا من الفتنة . وعندنا ان
اسعيل باشا الخديبوى الاسبق كان من اولئك العظاء . وكذلك كان معاوية ابن
ابي سفيان وكان عنده « جدد من العسل » . ولم يحيط مسعي الامام علي في امر الخلافة
الا لم راعاته واجمات التقوى وسلامة الفهير

واخيراً لو نقل هاني بن عروة باولئك الرجال العظام وخرق حرمة الجنوار واذن
بتذليل ابن زياد يوم عاده في منزله لتذليل وجه المسألة وتحولات مجرى التاريخ حتى آلت
الخلافة الى اهل البيت . ولكن الله حكمة لا تدركها العقول

فما زال اسرع طوعة الى سلي فاطلنا شعرها ونشاهد حملها الى النراش
وجهو تذكرت متى حربها فهاجرت عواطفها ولم يهلكت وصارت محارب بسمها وتناضل
مناضلة الابطال كما تقدم ولو لا النار التي اتصلت بها وخلفت بشعرها لم تك عن الفرب
فاما انصرفنا بسلم اسرع طوعة الى سلي فاطلنا شعرها ونشاهد حملها الى النراش

وهي غائبة عن الدنيا . فرشتها بالملائكة حتى اتفاقت ولم تصب بسوء

فاما اتفاقت صاحت « اين مسلم اين ابن عم الحسين »

فقالت طوعة « قد حملوه الى القصر »

قالت « وماذا يفعلون به هناك ؟ ... اخليهم قاتلبيه لا محالة فيجهم الله
ما أقصى قلوبهم »

فجعلت طوعة تخلف عنها ولم يرض الهاجر حتى سمعت بقتل مسلم فانصعد قلبها
عليه وفكرت في امرها فرأيت البناه لا يجد فيها نعماً وذكرت الشيخ فهمت بالمسير الى

الفصل السادس والثمانون

سلی والناسك

واصجحت سلی في اليوم الثاني وخرجت من بيت طوطة وسارت تلمس كربلاه .
فجعلت طریقها من خارج الكوفة لئلا ترى ما تكرهه من فوز الامميين . ثم سرت شاطئ
الفرات حتى احللت على سهل مغار لآخر فهو ولا عصب ولا ماء . فعلمت انها سهل كربلاه .
ورأت في بعض اطرافه شجرة قد نقادم عهدها وتحتها شبع نائم فعلمت انه الشیخ الناسک
ولم يصل اليه حق جلس وقد شعر بذلك عن بعد كأنه اشتم رائحتها . اما هي فلما رأته لم
تباين ذلك عن البکاء لترطط ما هاج في خاطرها من مصدر مسلم وجزء
فلما رأها الشیخ صاح فيها وناداها الي قاتلها « اراك باکية كاني بهم فنكروا
بابن عقبيل ؟ »

فاجابهه وقد خنتها العبرات « نعم انهم قتلوا يا مولاي شر قتلة . . . قتلوا ويميلوا
بوي وقد فازوا بالامر من دوى وخابت مساعدنا . كان الله قد كتب الشقاء لنا »
فابتدرها قاتلها « قتلوا ابن عم الحسين ؟ . . . وكيف قتلوا ولم يخافوا غضب الله
وملاكته . . . اعود بالله من ظلم الانسان »
قالت « نعم قتلوا يا سيدی بعد ان ساموه مر العذاب . . . وكانت احب
الملاکكة تدافع عنه لانه انا جاؤ للدفاع عن الحق !! . . . اهذا جرا . نصراء الحق
عند الله ؟ »

فقطلع الشیخ كلامها وقال « لا تکنري يا سلی ولا تتعرضي احكام الله . . . فاننا
لاندرک مناصن سجانه ونعال . . . وما نحن الا تراب صنعتنا بین وهو يتعل بنا ما بناه .
لکنه لاندرکها . . . فاخیر بني کتف قتلوا . . . »

فجلست على حجر بالقرب من انصت الحديث وهي تقطع الكلام ونشاهد . حتى اذا انت
على اخر كلامها اوغلبت في البکاء وجعلت ندب حال المسلمين . وجرها بذلك الى ندب
حبيبه ابید الرحمن فقالت « لا اعترض على حکم الله . ولكنی لا ادری کيف اوول
الحكمة في ذلك . . . ان الحسين قام يدعو الناس الى الحق وارسل ابن عم لصرره
اومنل هذا ويشل ابن بنت الرسول ويظلم كل من قام بصرره ؟ ام يقتلوا ابن عی عبد
الرحمن لانه طالب بدم والدی وانتصر لاهل البيت . . . الم يقتلوا شر قتلة . . . آه

مِنْهُمْ كَفَ بِيَتَلَوْنَهُ » قَالَتْ ذَلِكَ وَاعْدَتْ إِلَى الْكَاءَ . ثُمَّ قَالَتْ وَقَدْ خَنَقْنَا الْعِبَرَاتِ
 « كَيْفَ يَنْصُرُ اللَّهُ فَوْنَا بِحَارِبَوْنَ أَبْنَ الرَّسُولِ وَيَتَلَوْنَ كُلَّ مَنْ قَامَ بِنَصْرَتِهِ — وَخَلَقْنَاهُمْ
 يَشْتَغلُ عَنْ أُمُورِ الْخَلَافَةِ بِشَرْبِ الْخَبُورِ وَضَرْبِ الْعَذَابِ وَمُجَالَسَةِ النِّسَاءِ ؟ إِنَّهُ لَأَمْرٌ
 غَرِيبٌ »

فَلَمَّا سَمِعْنَا تَدَبَّرَ أَبْنَ عَمِّهَا وَهُوَ يَعْلَمُ بِيَتَلَوْنَهُ حَيَاً اشْتَنقَ عَلَى عَوَاطْنَاهَا وَعَلِمَ مِنْ سَيَاقِ
 حَدِيثِهَا أَنَّهَا رَاغِبَةٌ فِي النَّذَاهَابِ إِلَى الْمُحْسِنِ لِأَطْلَاعِهِ عَلَى جَلَلِ الْخَبِيرِ لِعَلَيْهَا تَرْجِعَةٌ عَنْ عَزْمِهِ .
 وَالشَّيْخُ يَرْجِعُ إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنَ وَعَامِرًا مَعَ الْمُحْسِنِ فَارَادَ أَنْ يَطْعَنْهَا . فَمُولَانَ يَعْلَمُهَا
 عَلَى الْمَوْلَعِ فَسَعَ طَبَقَتِهِ يَدَهُ ثُمَّ سَعَ عَيْنَيْهِ بِأَنَّمَلَوْنَ مِنْ أَنَّارَ دَمْوَعَ كَادَتْ تَبَلَّهَا فِي اثْنَاءِ
 سَاعَوْنَاقِنْ أَبْنَ عَنْهُلَ ثُمَّ قَالَ « وَمَا الَّذِي أَنْسَى عَازِمَةَ عَلَيْهِ يَا سَلَيْ ؟ »
 قَالَتْ وَقَدْ رَجَعَ إِلَيْهَا رِشْدَهَا وَبَيْانَ الْإِهْنَامِ فِي وِجْهِهَا « أَسْأَلُنِي عَمَّا عَزَّمْتَ عَلَيْهِ
 وَأَنْتَ لَا تَنْجِيلَةَ ؟ اتَّجِيلُ يَا سَيِّدِي إِنِّي فَنَدَتْ كُلَّ شَيْءٍ فِي سَيِّلِ نَصْرَتِ بَيْتِ الرَّحْمَنِ
 وَلَمْ يَهِي لِي مَا إِبْدَلَهُ إِلَّا تَنْفِي — وَمَا هِيَ بِالْأَمْرِ الْعَظِيمِ عَنِّي فَإِنَّمَا بِإِذْنِ رَوْسِيِّ فِي هَذَا
 السَّيِّلِ . . . أَرِيدُ أَنْ أَذْهَبَ لِأَلَّا يَنْبَغِي الْمُحْسِنِ قَبْلَ وَصْلَوْهُ الْكَوْكَفَةِ وَآخِرُهُ بِأَوْقَعِ وَلَنْصَعِ
 لَهُ أَنْ يَتَرَبَّصَ حَوْرَبَا يَمِّنَ لِهِ الْأَنْتَهَى لِلْمَطَالِبِيَّةِ بِمَنْتُو وَأَمَكَّتْ فِي خَدَّهِمْ حَتَّى يَنْأَيَنِي لَهُ
 ذَلِكَ فَاحَارِبُ مَعَهُ حَتَّى أَمُوتَ يَمِّنَ فَدِبِيُو فَأَذْهَبُ إِلَى حَيَّتِ الْأَلَّا يَنْبَغِي عَبْدَ الرَّحْمَنِ وَالَّذِي
 وَارْجَوْنَ يَكُونُ ذَلِكَ فِي الْمَعْيَمِ لَا نَنْهَا اعْتَدَ صَدْقَ الدُّعَنَةِ الَّتِي غَنَّ فَائِمُونَ بِهَا وَإِذَا قَدَرَ
 اللَّهُ لَنَا النَّصْرُ وَفَزَّنَا عَلَى أَوْلَكَ الْعَلَمَاءِ وَقَلَّنَا مَاهِ فَاعِشَ سَعِيدَ لَيْنِي اَنْتَهَتْ لَاهِي وَإِنْ
 عَيْ وَلَلَامَ عَلَيْهِ »

الفصل السادس والثانون

البغنة

فَفَحَكَ الشَّيْخُ حَقَّ الْأَغْرِبِ فِي الْفَحْكِ وَسَلَى تَفَارِدَهُ وَتَهَبَ مِنْ ضَحْكِهِ يَعْدَهُ
 فَصَسَتْ عَلَيْهِ خَيْرُ الْمُشَلِّ الذِي أَصَابَهَا . فَلَيَشَتَ صَامَدَهُ وَهِيَ تَسْعَ قَهَّيَّتَهُ وَتَرِيْ اهْتَازَ لَحِيَّهُ
 حَقِّ خَيْلِهَا إِنَّهَا أَصَبَّ بِمَدْعَنَ وَلَكِنْ اعْنَادَهَا بِكَرَاءَهُوَ غَلَبَ عَلَيْهَا تَعْمَلَتْ ضَحْكَتَهُ عَلَى
 شَيْءٍ يَضْمَنُ وَفَوْ خَيْرَهَا . فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ الْفَحْكِ تَفَرَّسَ فِي وِجْهِهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ عَادَ إِلَيْ

الانفاس بفتحة ولعنت عيناه بما غشاها من الدمع . ورأت سلي ذلك من خلال حاجبيه
المترلين على عينيه فقالت له « أباً ذن لي مولاي بمن إل »
قال وقد عاد إلى الأقسام « إنك ستسأليوني عن سبب ضحكتي وإنما أقول لك السبب
وارجو أن يضحكك أياً »

فقطعت كلامه وقالت « لا أظن شيئاً في العالم يضحكني وما أنا ضاحكة إلا ضحكة
الفنار أو ضحكة الموت »

قال « وما قولك اذا أضحكتك الساعة »

قالت وهي تُسْعِف بقوله « قل ما شئت وأضحك ما شئت وستري أنني لا أبسم
شيء فقط . كيف الضحك أو أبسم وإنما البنية الأساسية وقد قيل أني وابن عيسى ظلماً
ولم أقبل منها »

قال « وإذا أخبرتك خبراً مليحاً؟ »

قالت « إذا كان خبرك من قبيل الإطلاع على الغيب فللاولياء كرامات .. وقد
لدينا بغير ترجُّح لي في المستقبل . ولكنني رأيت من النشل في الأيام الأخيرة مامود في عيني
كل خبر . فلا أضحك إلا لخبر أراه لا لخبر أنوقة . وإي خبر أرجوه بعد هذه المصائب؟ »

قال « وإذا أطعلتك على خبر عبد الرحمن؟ »

فلم اسمعْت اسم حبيبها اخْتَلَجْ قلبها وأصطبَّتْ رُكْنَاهَا وبهنتْ وقالت « وما هو
خبر يا مولاي .. العلي لم اسمعه بعد .. دعني .. دعني .. » وأخذتْ صوبها وبكتْ

قال « وماذا سمعت عنه؟ »

قالت « لم أندبه بين يديك مراراً .. أه يا مولاي دعني من هذه الذكري
ولا تُبْحِج الشجاني .. دعني أشتغل عن المحن بالانتقام .. دعني أمضي لمبيلي فالآتي
الحسين وأهل بيته وأنتهم بالخطر الذي يهظرون هنا »

قال « سيري يا بنت سوري بمحارمة الله ولكنني أرجو أن تلاقي عبد الرحمن هناك »
فصاحت « ألاقي عبد الرحمن!! وكيف ألاقيه وإنما حوة؟ .. لا .. لا .. إذا بعثت في
هذه الحياة الدنيا .. ولم نسبع بالبعث إلا في الآخرة .. لا أراك يا مولاي إلا
ضاحكاً مُنْهَى هازئاً بعواطفني . أو إنك تنهي بقرب أجيلى لاني حبيب في الآخرة . فاذًا كان
ذلك فرجحاً بالموت أنا حلو شيء؟ » قالت ذلك وهي لا يخطر في حلها ان يكون عبد
الرحمن حياً . ولكن قلب الحب سريع الامتنان قريب التصديق فخدعهما حبها ان الله قادر

على أحياهـ بعد موتهـ وإنـ الشـيخـ النـاصـكـ لاـ يـقـولـ قولـاـ عـبـراـ ... علىـ انـ عـقـلـهاـ ماـ زـالـ
يـنـولـ بـاسـخـالـةـ ذـلـكـ . فـلـيـتـ تـرـدـ بـيـنـ الـأـمـرـيـنـ وـهـيـ تـوـقـعـ أـنـ تـحـقـقـ ذـلـكـ بـوـجـهـ الشـيخـ
أـمـاـ هـوـ فـلـمـ شـاهـدـ أـضـطـرـارـاـهـ نـظـارـهـ بـعـدـ يـغـيـرـهـ بـعـدـ وـقـالـ «ـ أـنـ لـاـ اـفـولـ
جـذـافـ يـاـ سـلـيـ » . أـنـ عـبـدـ الرـحـمـنـ حـيـ يـاقـيـ لـمـ يـهـلـ سـيفـ اوـلـكـ الاـشـرـارـ »

فـوـبـيـتـ سـلـيـ مـنـ مـجـلسـهـ بـغـيـرـهـ عـلـىـ غـيرـ اـتـيـاهـ وـاحـسـتـ كـانـ شـعـرـ رـاـسـهاـ اـنـتـصـبـ وـاقـشـعـرـ
بـدـنـهـ وـكـادـ الدـمـ يـجـمـدـ فـيـ عـرـوـقـهـ . وـصـاحـتـ فـيـ الشـيـخـ وـامـسـكـهـ بـيـدـ وـهـيـ تـوـلـ «ـ يـاـ هـيـ
اـصـدـقـيـ اـخـبـرـ يـاـ مـوـلـايـ وـلـاـ هـنـأـ يـيـ قـلـ لـيـ اـكـادـ اـفـتـلـ نـفـسـيـ » . قـلـ لـيـ «ـ هـلـ عـبـدـ الرـحـمـنـ
حـيـ » . عـبـدـ الرـحـمـنـ . عـبـدـ الرـحـمـنـ ! هـلـ هـوـ حـيـ ؟ حـيـ مـاـيـ وـمـثـلـكـ ؟ » . قـالـتـ
ذـلـكـ وـهـيـ تـحـكـمـ وـالـدـمـ مـلـ عـيـنـهـاـ الـأـنـدـرـوـيـ الشـحـكـ اـمـ تـبـكيـ
خـافـ الشـيـخـ أـنـ تـفـرـ عـلـىـ طـلـبـهـ فـيـ ظـاهـرـ بـالـسـكـيـنـةـ وـقـالـ بـصـوتـ خـافـتـ «ـ نـعـ يـاـ سـلـيـ
اـنـهـ حـيـ يـاـ ذـنـ اللهـ »

قـالـتـ «ـ قـلـ لـيـ ... كـيـفـ عـاـشـ ... كـيـفـ هـوـ حـيـ وـقـدـ تـحـقـقـتـ مـنـ قـيلـ ؟
... يـارـبـيـ مـاـ ذـاـ اـسـعـ هـلـ اـنـاـ فـيـ حـلـ ... هـلـ عـبـدـ الرـحـمـنـ حـيـ يـيـ وـبـكـمـ ... هـلـ
اـحـاـ كـيـوـسـهـيـ وـالـقـيـوـزـهـيـ ... عـبـدـ الرـحـمـنـ حـيـ ... حـيـيـ ... اـنـتـ حـيـ وـاـنـدـبـكـ
... وـلـكـ لـاـ ... لـاـ اـظـلـنـيـ اـلـاـ فـيـ حـلـ ... » . ثـمـ تـهـنـتـ اـلـهـ مـاـ يـجـدـقـ بـهـ مـنـ السـهـلـ
الـفـاحـلـ كـأـنـهـ تـحـقـقـ وـجـدـاـهـاـ ثـمـ تـرـامـتـ هـلـ يـدـيـ الشـيـخـ وـجـمـلـتـ لـقـلـبـهـ وـالـدـمـ بـسـافـطـ
عـلـيـهـاـ وـهـيـ تـهـنـقـ مـنـ شـتـةـ الـكـاءـ وـتـقـولـ «ـ بـالـهـ يـاـ سـيـديـ قـلـ لـيـ الصـدـقـ ... هـلـ عـبـدـ
الـرـحـمـنـ حـيـ حـيـةـ ؟ وـهـلـ اـرـاهـ بـعـدـ وـاـنـ هـوـ ... قـلـ لـيـ يـاـ مـوـلـايـ ... قـلـ لـيـ ... أـشـنـقـ
عـلـيـ حـيـاتـيـ ... عـبـدـ الرـحـمـنـ ... حـيـيـ ... اـنـ هـوـ ؟ »

فـامـسـكـهـ الشـيـخـ وـبـهـ تـرـنـعـشـ وـارـقـهـاـ وـهـوـ يـأـمـلـ فـيـ حـرـكـاتـهـ وـيـقـرـأـ عـلـىـ طـلـبـهـ فـدـمـعـتـ
عـيـنـاهـ وـقـالـ «ـ اـحـدـيـ اللهـ يـاـ سـلـيـ اـنـ عـبـدـ الرـحـمـنـ وـعـاـمـرـاـ فـيـ قـيدـ الـحـيـاةـ وـهـاـ مـعـ الـحـسـينـ
وـلـاظـنـهـ آـتـيـنـ مـعـهـ فـيـ طـرـيقـهـ »

فـبـهـتـ سـلـيـ وـاسـتـجـمـعـتـ رـشـدـهـ وـلـبـتـ مـطـرـقـةـ تـنـظـارـهـ إـلـىـ الـأـرـضـ وـهـيـ تـرـاجـعـ فـيـ
ذـاكـرـهـ مـاـ سـمعـهـ عـنـ مـقـتـلـوـ فـيـ دـمـشـقـ فـلـ تـجـدـ دـلـلـاـ عـلـىـ اـنـهـ قـلـ لـيـرـ ماـ سـيـعـةـ مـنـ
ابـنـ زـيـادـ وـالـحـكـيمـ فـهـاـ عـلـيـهـ التـصـدـيقـ بـيـقـاـوـ حـيـاـ . فـاـحـسـتـ الـحـالـ أـنـ خـاتـمـ اـنـتـشـعـتـ عـنـ
عـيـنـهـاـ . وـكـانـ جـنـبـاـ نـزـلـ عـنـ قـلـبـهـ فـانـيـطـ وـجـهـهـاـ وـبـهـتـ . فـاـبـدـرـهـ الشـيـخـ قـائـلاـ
«ـ أـرـاكـ الـشـحـكـونـ ... وـإـنـتـ تـقـولـنـ اـنـهـ لـاـ شـيـ يـضـعـكـ ... »

قالت « لم يدر في خلدي ان ابيع هذا المخبر ... أ يكون عبد الرحمن حيأ ولا الحك ... » ثم اقبضت لفتها يهنة وقالت ولكن ما النارة ؟ ابن هو ... ما الذي يجهعني بو فند اصحيت بعد ما لاقيته من الفشل المدوات لا اصدق شيئا حتى يقع ... وقد بنع ولا اصدقة »

قال الناسك « لاتنامي من فم الله فان معسكر الحسين يجمعك بعد الرحمن فلقد سار الي وانت في دمشق مع عابر وهو يمدحك مهنة كا كدت تحسبه مهنا » وقص عليهما خبر من اولو الى آخر فاطلان بالها وسكن روعها واستونت من يقاوم في قيد الحياة

الفصل الثامن والثمانون

الحسين وابن الزبير

اما الحسين فكان قد انتقل من المدينة الى مكة وارسل ابن عم مسلم الى الكوفة كما تقدم . وجاءه كتبة ان معظم اهل الكوفة على يهو . فلزم على الخروج الى الكوفة وهو يحسب انه اذا جاءها استتب الامر له . وكان يستشير الصحابة فنهم من ينحوه من الذهاب و منهم من يحرضه على ذلك . وكان في جملة المحرضين عبد الله بن الزبير . وكان هذا طاغيا بالخلافة لتسوانة من كبار اباء الصحابة . وكان ابن الزبير بن العوام طاغيا فيها قبلة على عهد الامام علي (والد الحسين) وقد حاربه عليها في واقعة الجبل بمحوار البصرة . ولذلك قتل هناك هو وملحقه وفاز علي بالامر . فلما قتل علي وتولى الخلافة معاوية بن ابي سفيان لم يجر ابن الزبير على مهاجرته . فلما مات معاوية كان ابن الزبير والحسين في الكوفة فطلبا منها البيعة لزید كا تقدم . فلما باشر عرجا الى مكة وفي نفس كل منها ان يطلب البيعة لنفسه . فرأى ابن الزبير ان لا يمنعه ذلك فالحسين ممه في مكة لان الناس يتضلون الحسين عليه . فرغبة في طلب بيعة اهل الكوفة وحب ابيه المسور اليها . وكان الحسين خالص الطاوية صادق اللائحة مثل ابيه والشخص سليم الديمة سربع التصديق . وما اخراج الخليفة علي الا لطبيب عصبه وحلبه ورثبه عن الدهاء والتفكير

وكان ابن الزبير لا يظهر للحسين عزمه وربما اظهرا رغبته في بنائه بحكة وهو يريد خروجه منها . وفي جملة ما دار بينهما من الحديث في هذا الشأن ان الزبير قال له مرت « ما ادرى ما ترتك لنا هؤلاء وقد كفنا عنهم ونحن ابناء المهاجرين وولاة هذا الامر دونهم » خيرني ما ترید ان تصنع ؟

قال الحسين « لقد حدثت ننبي يا ابا الكوفة ولقد كتبت الى شيعتي فيها واشراف الناس واخثير الله »

قال ابن الزبير « اما والله لو كان لي بها مثل شيعتك لما اعدت عنها » ثم خشي ان يهمنه فقال له « اما انت لو اقمت في الحجاز واردت هنا الامر هونا لما خالنا عليك . بل ساعدناك وبايعناك وتصحينا لك . فاقم ان شئت وتولئني الامر فقطاع ولا تهمني »

لما خرج الزبير قال الحسين لمن عنده « ان هذا الرجل ليس شيء في الدنيا احب اليه من ان اخرج من الحجاز . وقد علم ان الناس لا يهدلونه في فودا اني خرجت حتى يخلوا له الجنة » وبظاهر من ذلك ان الحسين لم يكن يجعل طبع ابن الزبير ولكنه ظلل راغبًا في الخروج . ولعله خاف من اتاها اذا بقي هناك

ومن نصيحة الحسين ان لا يخرج من مكة ابن عم اي عبد الله بن عباس وكان قد ادارك غرض ابن الزبير فنصح للحسين مراراً ان يبقى قلم يطعنه . « شيئاً » في مساء اليوم الذي خاطب فيه ابن الزبير فقال له « يا ابن عم اني اتضير ولا ااصر . اني اخوف عليك من الذهاب الى اهل العراق فلو اتيتم فقلنا اميرهم وضياعها بلا دام ونفي عدوكم ثم دعوك الى فسر اليهم . وان كانوا قد دعوك وايدم عليهم فاهر لهم وعاليه تحيي بلا دام فاما دعوك الى الحرب . فما ذكر اليهم فلينبغوا عالمهم ثم اقدم عليهم . اما اذا اتيت الا ان تخرج من مكة فسر الى اليمن فان بها حصونا وشعابا وهي ارض عريضة طولها ولا يكفي فيها شيعة وانت عن الناس فيعزلة . فذكتب الى الناس وتبثت دعائك حتى يتوى شائك وتنظر ما يكون »

قال الحسين « يا ابن عم اني والله لا اعلم انت ناصح مشتفق . ولكنني قد ازمعت على المسير الى الكوفة »

قال ابن عباس « فان كت سائرًا فلا تسر بسانك وصبيانك فاني لخائف ان تقتل كما قيل عذاب ونساءه وولاته ينظرون اليك » ثم قال « لقد افررت عن ابن

الزير بخروجك . والله الذي لا إله إلا هو لو أعلم أني إذا أخذت بشرتك وناصحتك حتى يجتمع علينا الناس وإنك نظيفي وتقيم لعمليت » ثم خرج ^(١)

الفصل التاسع والثمانون

الخروج إلى الكوفة

خرج الحسين من مكة ومعه نساءه وأولاده وأبناء عمومه . وما زال يشقق من مكان إلى آخر والناس يتضمنون إليه حتى أتي مكاناً اسمه التعلية كان قرية ثم خرب ^(٢) وهناك جاءه الخبر بهذل مسلم بن عقيل وبها حل « ينبعون وخفون من المسير إلى الكوفة . وكان خاف الذهاب إليها فقام بتوبيخه آخر مسلم فعرض على المسير وقالوا » والله لأنبرح حتى تدرك ثارنا وندوق كما ذاق مسلم «

لحسين الحسين وقال » صدقتم لأخبر في العيش بعد هؤلاء «

ومما زال سائرًا حتى دنا من ضواحي الكوفة والناس يأتونه في الطريق ويكتفونه فاصر على المسير ولكنه أطلق الحرية للذين معاه فقال لهم » قد خذلنا شعبتنا فمن أحب أن يتصرف فليتصرف ليس عليه من ذمام «

فتفرقوا عنه شيئاً وشالاً حتى بقي في الصحابة الذين جاؤه معه من مكة ^(٣) وفي جلهم عبد الرحمن وعامر . وكانوا في حالة من حرفة على المسير إلى المألاقفام . وكان عبد الرحمن لا يستصعب شيئاً في ذلك الميل بعد ما كان يعتنى به من مقتل على امامي لفانها كانت قد صببت على الموضع الملاقا للحسين لكي نتعلم على جالية الخبر وهي تحسبة لم يعلمه . وبات ليائماً تحت تلك الشجرة على أن تصبح في الغد ومسير . ولما أصبحت ودعنت الشجرة وخرجت . ولم تكن قليلاً حتى رأت القبار يتصاعد من جهة الكوفة ثم ظهر من تحته خبول ورجلة فعلت أن ابن زياد ارسل ملاقاً للحسين . فظاهرت بالاستفهام من بعضهم وسألت عنهم . فعلت أن قائدكم عمر بن سعد وقد بعثه ابن زياد في بضعة آلاف ملاقاً للحسين وجدك . فنزل هذا الجيد في النادي ونظم الخبول

(١) ابن الأثير ج ٢ (٢) مراصد الطلعاج (٣) ابن الأثير ج ٢

بن النادسية الى خفاف و من النادسية الى التعططانة الى جبل لعلم . فخفق قلب سلي خوفاً على الحسين و رجاله ولكنها ظلت سائرة و قلبه طائر امامها اليأساً لللاقة حبيبها . حتى وصلت جيلاً اسمه ذو جشم فوقفت لتطلل منه على الطريق فإذا بغير يعمال فنظرت فرأيت نحو ثلاثة فارس و اربعين راجلاً^(١) ماعدا النساء والاطفال فعلمت ان النادسين هم الحسين و رجاله ولكنها استقلت عددهم واستغرقت عجائب هنـه اللـه بعد ان رأـت جـدـ الـكـوـفـةـ وـكـثـرـهـمـ . ثم قـادـرـاـتـ ذـهـبـهـ اـنـهـ تـرـىـ طـلـيـعـةـ الجـيـشـ وـانـ الـبـيـةـ آـتـيـةـ . فـوقـنـتـ جـانـبـاـ وـقـلـبـهـ يـخـفـقـ وـعـيـنـاهـ شـائـعـانـ اـلـىـ الرـجـالـ لـنـزـلـسـ فـيـ وـجـوـهـ لـهـاـ تـرـىـ عـامـرـاـ اوـ عـبدـ الرـحـنـ . فـلـمـ تـرـاحـدـاـ . فـتـرـجـعـ عـدـهـاـ اـنـ الذـيـ تـرـاهـ لـيـسـ كـلـ الجـيـشـ فـاسـلـتـ عـدـاـ كـانـ متـرـدـاـ عـنـ الرـكـبـ . فـنـالـ لـهـاـنـمـ الحـسـنـ وـرـجـالـهـ جـيـعـاـ . فـاسـغـرـتـ ذـلـكـ وـاقـبـتـ نـسـهـ لـمـاعـلـةـ مـنـ كـانـ جـدـ الـأـمـوـيـنـ فـيـ النـادـسـيـةـ . وـانـشـفـ خـاطـرـهـاـ عـلـىـ عـبدـ الرـحـنـ وـعـامـرـ ثم رأـتـ جـمـاعـةـ اـسـرـعـلـ فـنـصـبـوـ فـسـطـاطـاـ كـبـيرـاـ فـيـ سـنـعـ الجـبـلـ . وـعـدـ قـلـيلـ اـقـبـلـ فـارـسـ حـسـنـ الـلـيـاسـ وـالـنـادـسـيـةـ جـابـ الـنـدرـ بـهـيـطـ بـوـ الرـجـالـ وـعـلـيـوـ جـهـةـ مـنـ خـرـ وـعـلـيـ رـاسـ عـالـمـ وقد أـخـفـبـ بالـلوـسـةـ^(٢) (ـوـهـيـ وـرـقـ الـهـلـلـ اوـ زـيـاتـ بـخـضـبـ بـورـقـ)ـ وـهـوـ فـيـ خـيـرـ الـسـابـعـةـ وـلـخـمـسـيـنـ مـنـ عـمـرـهـ لـوـلاـ يـزالـ الـجـمـالـ ظـاهـرـاـ فـيـ وـجـهـوـ معـ ماـفـيـهـ مـنـ آـتـارـ الـاقـيـاضـ . فـعـلـمـتـ اـنـهـ الحـسـنـ فـاشـيـفـلـتـ لـحـظـةـ فـيـ النـطـلـعـ الـيـوـ فـاـذـاـ هـوـ قـدـ تـرـجـلـ وـدـخـلـ الـسـطـاطـ وـهـوـ صـاحـبـ كـانـهـ يـذـكـرـ فـيـ اـمـرـ ذـيـ بـالـ وـاـشـارـاـتـ رـجـالـهـ اـنـ بـرـشـنـواـ الـجـبـلـ تـرـشـيـنـاـ وـسـلـىـ بـالـبـابـ فـيـ جـلـةـ الـوـاقـفـيـنـ وـعـيـنـاهـاـ تـتـقـلـلـ فـيـ النـاسـ ثـمـ تـحـولـتـ اـلـىـ سـائـرـ الـمـسـكـرـ وـلـفـصـتـ الرـجـالـ بـيـصـرـهـ فـلـمـ تـجـدـ حـامـرـاـ وـلـاـ عـبدـ الرـحـنـ فـاـضـطـربـ قـلـبـهـ وـإـرـتـابـتـ فـيـ كـلـامـ النـاسـكـ . ثـمـ عـادـتـ اـلـخـيـرـةـ اـعـلـمـاـ تـجـدـ اـحـدـاـ مـنـهـاـ فـيـهـاـ . فـرـأـتـ فـارـسـاـ قـادـمـاـ مـنـ جـهـةـ الصـحـراءـ وـعـلـيـهـ لـيـاسـ الـأـمـرـاءـ فـتـنـحـ لـهـ النـاسـ طـرـيـاتـاـ حـقـيـقـاـ اـقـبـلـ عـلـىـ الـخـيـرـ وـتـرـجـلـ وـدـخـلـ عـلـىـ الـحـسـنـ . فـلـمـ تـرـفـهـ سـلـيـ وـلـكـهـاـ سـعـتـ بـعـضـ النـاسـ بـخـدـوـنـ عـهـ وـيـذـمـرـونـ مـنـ قـدـوـمـهـ . ثـمـ عـلـمـتـ اـنـهـ الـحـرـ بـنـ بـرـيزـ الـتـيـمـيـيـ قـدـمـ مـنـ النـادـسـيـةـ فـيـ الـفـ فـارـسـ اـرـدـ الـحـسـنـ عـنـ الـكـوـفـةـ . فـالـتـابـتـ سـلـيـ اـلـىـ النـاسـيـةـ الـثـانـيـةـ مـنـ الـجـبـلـ فـرـأـتـ الـجـبـلـ قـدـ مـلـأـتـ الـهـلـلـ ثـمـ دـخـلـ الـحـرـ عـلـىـ الـحـسـنـ وـقـالـ لـهـ «ـمـاـذـيـ جـاءـ بـكـ اـلـىـ هـذـهـ الـبـلـادـ»ـ

فقال الحسين «أفي لم آتكم حتى أتنبئكم أن أقدم إليكم»

فقال المحر «أنت والله ما تدربي ما هذه الكتب»

قال الحسين « انکثون ثم تنكرون »

قال « اتنا لستا من هؤلاء الذين كتبوا اليك وانا نحن أمرنا اذا قبناك ان لا تفارقك حتى تقدمك الكوفة على عبيد الله بن زياد »

قال الحسن « لموت ادف اليمك من ذلك » ثم صاح في اصحابه « قوموا فاركبوا وانصرفوا »

فاعترضه الحرس قالاً « انهم لا يصرفون »

صاح الحسين فيو « ثكلتك امرك ماذا تrepid ؟ »

قال له الحرس « اما لو غيرك من العرب يتوطأ لي وهو على مثل الحال التي انت عليها ما تركت ذكر امو بالتكل كائنا من كان ولكن والله ما لي الى ذكر امرك من سبيل الا بحسن ما نقدر عليه »

قال الحسن « فما تrepid »

قال « اريد ان اطلق بك الى الامير عبيد الله »

قال « اذا والله لا اتبعك »

فظار الحرس اليه وعيشه تعتذران عن جسارت و قال « اني لم اوامر بذلك وإنما امرت ان لا افارقك حتى تقدمك الكوفة فاذا اتيت فخذ طرفي لا يدخلك الكوفة ولا يرددك الى المدينة ربيعاً اكتب الى عبيد الله فاستثنين في امرك »

الفصل السبعون

— زينب بنت علي —

فرضي الحسين بذلك وامر الناس بالركوب . فلما سمعت سلي ما دار بينهما تحققت بغير الحسين عن قال هؤلاء واستعاذت بالله من حقيقة ما نراه . ثم عادت الى شاهنها وآن لها ان تبعث عن عبد الرحمن وعامر بنتها دقيناً فلم تر خيراً من ان تدخل خباء النساء وكانت تعرف اكثيرهن وهن يعرفنهما معرفة سطحية لانهما لم يتم بينهن طويلاً . فخولت الى قسطاط آخر دخلت فيه فرأيت امراة لم يقع نظرها عليها حتى عرفت انها زينب اخت الحسين وكانت شديدة الشبه بـ لابنها من ام واحدة (فاطمة بنت الرسول) ولكنها رأتها في

انهاك و بغية وقد علت جميتها دلائل الاهتمام وعيتها تقدان ذكاء وعملاً وكانت زينب منشغلة بطليل بين ذراعيها لا يزيد عمر على سنة وبعض السنة ترتبت وتنسولة وعيادة ذاتيان للرقاد وقد اشترق وجهها كأنه يدقق نوراً وجاهه : والطليل في غسلة عا حاق بها هلو من الامر العظيم فعلمت سلي انه علي الاصغر بن الحسين وهو اصغر اولاده وكان للحسين ثلاثة ابناء اسم كل واحد منهم علي . ولما يزورون بعضهم من بعض بالقب السن فالاكبر اسمه علي الاكبر والثاني علي الاوسط (زين العابدين) والثالث علي الاصغر وهو هذا

اما زين العابدين فعما وقع نظرها على سلبي عرفتها واستغربت حضورها في تلك الحفلة
بغية . ولكنها لعلها
الترحاب بالرغم عن شواغرها واستأنست بها وأجللت الاستثناء عن حالي الى فرصة اخرى .
فأسرعت سلبي اليها وهي تشاركها بعنوانها وتعرض عليها مساعدتها . فاشارت اليها زين العابدين
ان « خذني هنا الغلام على ذراعك ربنا يسام » فتناولته وحثت اليه حنو الولادة على
ولدها . فلما حملت يدا زين العابدين نحوت الى فراش في بعض جوانب المخبا . عليه غلام مضطجع
في بصرها سلي بصرها وتنفس في الرائد فإذا هو على الاوسط وقد توردت وجنتاه
ونصوب العرق عن جبهته وذيلت عيناه وها متتوحنان حمراوان كالدم ودلائل الحمى
بادية فهمها . ورأت صبية جميلة الخلقة نجلاء العبيدين جائحة بجانب المريض وهي مرتبكة
والدمعوع في عينيها مع ما يخلو في وجهها من البشاشة الغريرية . فلعلت سلبي انها سكينة
بنت الحسين اخت ذلك الرائد . وكانت سكينة من اجمل النساء واظفافهن واحسنهن
اخلاقاً مع خفة الروح والمهل الى المحبون

فوقت سلى وهي تشاغل بتربيت الطفل وتنظر الى زينب فاذا هي قد دنت من فراش المريض وجست يده ومحبت العرق عن وجهه . ثم التفت الى سكينة وقالت « لا بأس علي يا حبيبتي باذن الله ولا تثبت الحمى ان تفارقنا عاً فليل بها ينسكب عنه من العرق »

فلم تجدها سكينة إلا بالبكاء ثم رفعت صوتها وقالت «صبرأ على حكم العدالة ...
اما كذانا ما احديق بنا من الاختصار حتى اصيب اخي هذا بالمرض ... فادعا عني ان
 تكون عافية هنالك؟» قالت ذلك وشرقت بدمعها
 فادعات زينب اليها وهي تبكيان «لانتقولي ذلك على جميع من المريض لثلاً يشتد

مرضة» ثم امسكتها بيدها وابهضتها وقالت لها « قومي يا ابنة اخي هلي بنا نتأهّب
للرجل فان والدك قد امر بالركوب »
فهضت الفتاة واخذت يهتم ببناتها . فوقع نظرها على سلو فعرفتها واستأنست بها
وهدت لها وابهضت حالاً لانها لم تكن تطيق الا تهادس لانطباعها على السرور وحجب
المراوح ^(١)

الفصل الخامس والسبعين

ـ حديث المودج ـ

وكان العلليل قد نام على ذراعي سلو وهي نسمة الى صدرها وتبين بغير بو لانه ابن
الحسين وفيه من دم الرسول . فلما ارادت زبيبة ان تاخذن منها قالت لها « دعيو نائماً
على ذراعي » فان ذلك ارجع له من الانتقال »

قالت « بورك فيك يا بنتي وأكثري ارى انت اضجعها في المودج وتخن على
اهية الرحيل »

قالت « اني ذاهبة في خدمتي الى حوت بسبر . دعي امر العناية بوالي واشتغلني
 بشؤونك »

فاثنت عليها وتحولت الى فرائش على فانهضته وامررت من معها من النساء والجواري
ان يهتممن بشدة الرجال

وكان الرجال قد اخذوا في تقويس المخيم وتحول الاصحاح . وركب كل منهم في
مركبة وركبت سلو في مودج مع زبيبة والعلليل وهي تشترق الى الاستئهام عن عبدالرحمن
وأكثرا استفدت ان تأسلاها وهي في تلك الحال

وافلتح الركب وساروا في طريق وسط مجئ تكون الكوفة الى يهتم . في الخروج ورجاله
ساخرون بالقرب منهم ليمنعهم من الرجوع اذا ارادوه

وكانت زبيبة وهي في المودج اشرف من خلال استور على اخيها ومن معه هنديه

بعد هذة وتعود الى متعددها وهي ثانية . فلعلت سلي انها اثنا تتعل ذلك لعظم قيمتها واضطراها . فارادت ان تسللها وتختف عنها وهي توقع ان تستطرق الى حدث حبيبها فقالت « مالي اراك في هذا الااضطراب يا مولاي »

فتهدت زينب ونظرت الى سلي نظر المتأمل وقالت « انسأليني عن سبب اضطرابي وإنك ترين ما نحن فيه ... ألا تعلمون اننا ذاهبون الى النيل ؟ »

قالت « ولماذا تقولين ذلك ان الله ينصر نصراءه ويرفع كلهم »

قالت « صدقت يا بيه ولكنك لو عرفت ما يتطلّبنا في الكوفة وفي ضواحيها من الاعوال وما هنالك من الاعداء وفيهم الفرسان والرجال لهجت لم يريدنا . ولكن اخي الى الا مسيرة وقد نصحي له ان يرجع فاني . وهذا نحن سارون ومعنا الاطفال والفلانين والنساء ونفهم المرضي والضعفه والرضع . وليس معنا من الرجال الا اخوي لأبي وهم سنة العباس وجعفر وعبد الله وعفان وعبيد الله وابو بكر . وما من اولاد اخي الحسين من يستطيع النزال الا على الاكبر . وهذا على الاوسط غلام وهو مريض . ومعنا من ابناء اخي الحسن رحمة الله اثنان صغيران ابو بكر والقاسم وبضعة آخرون من ابناء عي عقيل الذين قُتلوا اخوهم مسلم في الكوفة ^(١) ... » ثم تهدت وقالت « آه لو تعلمون كيف قُتلوا ؟ ! ! »

فذكرت سلي مقتل مسلم وجان طا ان ظاهر نفسها وستطرق الى حدث حبيبها فقالت « اني اعلم الناس بقتل ذلك الشهيد يا مولاي »

فاتهمت زينب نفسها بإدركت انها كان يجب ان تأسلا عن حامها فقالت « اهذلك من اهل الكوفة ... فل جنت منها فريبا ؟ »

فقالت « نعم كنت في الكوفة ورأيت مسلما ينافض بيمنه في بيت طوعة الكدية ثم رأيتم بسوقونه والدم يسيل من شنبه . وعلمت انهم لما بلغوا به الى دار ابن زيد قاتلوه قاتلة لم نسمع بذلك من قبل ... اصعدوا الى اعلى التصر فضرروا عينه وقد قاتلوا مجذبو الماسنل » فصاحت زينب « قاتلهم الله ما اقصى قلوبهم ... اني كلما فكرت في ذلك يشعر بدني »

فقالت سلي « من اينكم بقتل مسلم ؟ »

قالت « لم نسمعا الا بالامس وكان اخي قد ارسل فرارا من اصحابه للبحث عن

حقيقة الحال وفيهم اثنان كذبيان لم ار اشد خبرة منها على الاسلام جاؤنا من امد غير
ايند وقد فض اخي علي من اخبار خبرتها ما ينرح قلب كل مسلم «
فلا سمعت سلي ذكر الكذبيين حتى قلبتها غناوة ان يكونوا عامراً وعبد الرحمن
واكبهما تجلدت وسائلها » ومن ها ذائق الرجال يا سيدني «
قالت « لم ارها با بنيه ولكنني سمعت اخي يذكر ان احدها ابن اخ جابر بن عدي
صاحب القبر المشهورة في نصرة الحق وهو الذي قتله معاوية بن أبي سفيان ظلماً ... »
ولم تكدر زين ثم قوتها حتى ارتعشت سلي وكان العذاب لا يزال على جبرها فاجعل
من اجناها وصعد الدم الى وجهها بفمه واخذت الدسوع تغلي في آماقها

الفصل الثاني والستون

﴿ كشف السر ﴾

فاصغرت زينب ذلك منها وكانت تعرفها معرفة بسيطة ولا تدرى علاقتها
بعد الرحمن فقالت « ما الذي غيرتك يا بنيه »
فلم تمالك سلي عن ارسال الدمع وهي تقول « وهل سمعت شيئاً عن ذلك الولد
يا مولاتي ... ؟ »
فتهجدت زينب وقالت « والهني عليهم لند بلغنا ان ابن زياد اللعين قبض عليهم
وفعل بهم مثل فعلتيك يا سيدني ... »
فصاحت سلي « قتلتهم يا سيدني ؟ ... قتلتهم جميعاً ... » قالت ذلك وهبت
باضجاع الطفل في المودج الى جانبها ثلثاً يعيتها عن الحركة او اذا حركت توقيظه
فادركت زينب ان في الامر سرّاً فقالت « ... لا ... لم يقتلهم جميعاً ...
لا ادرى سوى انهم قتلو بعضهم ... »

فقالت سلي « هل قتلوا عبد الرحمن ... اواه ... قتلوه ... » قالت ذلك وهي
تألم وجهها
فاسكتها زينب وقد نسيت مهيبتها وانشغلت بما رأته من همة النساء وبكلامها
وقالت لها « ومن هو عبد الرحمن يا بنيه وهل من قرابة بيتك وبيته »

قالت «انه ابن عي ... و ... هل قتلوا والحقون بالي؟ ... »
فلا سمعت قوطا تفترس في وجهها فرأيت في شبابها بحجر بن عدي فقالت «الملك
ابنة بحجر بن عدي»

قالت «نعم يا مولاني اني ابنة ذلك الماتقول ظلماً انا ابنة بحجر الذي ذهب شهيد
الحق ... ذهب في سبيل نصرة ابيك صهر النبي وابن عدو ووصيه وحيبه ... بالله
اخير بني افرنجي كري ... الخبر ببني هل قتلوا عبد الرحمن؟»
فضحشت زينب لحظة وقد تلتفت جر وجهها وتذكرت مقتل ابيها وما يقاسونه من
العذاب والبلاء بسبب ذلك . ولكن خاطرها انشغل بسلى ما رأته من غريب امرها
اذ تذكرت احاديث سمعتها عن عبد الرحمن وخطبته وموته خطيبه فقالت «الملك
خطيبه عبد الرحمن»

قالت وهي مغارقة «نعم يا سيدتي انا هي تلك العيسية ... انا اسلى الشيبة ...
كتبه على أن احيا بعد موته والدي وابن عي ... آه يا رباه ما هذه المصائب ...
ولكن ... هل مات ابن عي حقيقة؟ ... »

فارادت زينب ان تخفي عنها فقالت «تجاهلي يا سلى ... تجاهلي يا ابنتي ...
اني ارى في الامر سرًا عظيمًا وامرًا غريباً لاني سمعت ان عبد الرحمن فقد خطيبته في
دار بزيد بن معاوية في دمشق . ولأنه جاء للاتفاق لها ولوالدها والدي رحمهما الله .
وهو ااما اراد الذهاب الى الكوفة سعياً في هذا السبيل ... كف يتوتون انك قلت لي
وانسترجي؟»

قالت «انهم قتلوني ثم احيوني كما قتلوا عبد الرحمن واحياء الله . وقد خرجنا من
دمشق وانا احسنة مات وهو يحيبني مت . ولكنني عرفت ببناته حيَا بالامس وقبل
لي انه معكم فجئت لا لاقية ولا قي عامراً وصبتنا فاذا انا اسمع ما سمعته منك
اشتقت على يا بنت الرسول وارثي الحالي واكي معي ... هل ابكي على ... اعذر بني
يا مولاني على ما فرطت من عواطفني بالرغم عني . وما انت في حال تساعدكم على
الافتكار پشي»

فاستغربت زينب كل كلمة تسمعها ولم تهم السر في موبتها وحياتها فقالت
«لا تتأسي من رحمة الله ... نعم ان عبد الرحمن وعامراً اخرجوا الى الكوفة مع الوفد
ولكتنا لم نسبع الاً بقتل واحد منها . سمعناها بقتلها وهاها ولا أظنهن الا في قيد الحياة

فاحبب بي عا كان من موتك وموتو في دار ابن معاوية
فاخذت سلى نفس حديها وزينت تنظر اليها وشاركتها بكل حركة وقد انصرف
ذهابا عن مصبيتها برهة

الفصل الثالث والستون

جمع بالحسين

هذا فرغت من حديها كانت زينب قد أنسنت فيها سمعة من سلى عبة وموعظة
واعجبت بغيرها على الاسلام وخصوصا على بيت ابيها الامام علي فقالت لها « ان حديك
اشر في خاطري تائراً كبيراً وهو علي ما كت الخوفة من الموت . وما الموت بالامر
الذى يجب ان تخافه طالما كان عند الحق في جانبي فاخذني حالنا موعلة لك » ثم
فتحت ستار المودج وقالت « انظري الى هؤلاء وهم خونة بيت الرسول — ائمهم ملتوون
بانفسهم الى القتل لانهم يعتقدون الحق في جانبيه وبرون خوراً لهم ان يوتوا محققوين
من ان يعيشوا ضالين ... »

شعرت سلى ائمها بالفت في شكلها وبيان مصبيها بالظاهر لما تراه من المصيبة التي
يتفقونها لها قليل وهي ضرورة شديدة على الاسلام والملسين . فابدرها قائلة « افي لا
اجهل ما نحن فيه يا مولاني ... ومن هو عبد الرحمن ومن انا او كل المسلمين في جانب
ايها بنت الرسول واولادهم ... ولكن يسودني ان يغلب الباطل على الحق . وان
أرى الطغام ينتصرون والكرام يُغلبون ويفعل الله ما يشاء »

وفيها في الحديث شعرنا بالمودج قد وقف بفتحة وسمعا لفطأ . فاطلت سلى من
خلال السرور فرأيت الركب قد وقف ووقف المحر ورجاله بازاء الحسين ورجاله . وإذا
برجل على ناقة فادم من نحو الكوفة وقد نكب قوسه ورجل ولنتم الى المحر ودفع
اليه كناباً

قالت زينب « ماذا عني ان يكون خير هذا الساعي وما في كتابي ؟ » قالت ذلك
وترجعت فترجمت سلى وسرعا الى الحسين ووقفنا تتضران ما يكون من امر ذلك
القادم . فادا بالحر قد تناول الكتاب وقرأ ثم تحول الى الحسين وهو يقول « هذا

كتاب من الامير عبيد الله بن زيد هل انت علىك و
قال الحسين « انت »

فقرأه فإذا فيه « اما بعد فجتمع بالحسين حيون بيلك كداب وبندم عليك ربولي .
ولاتزلا لا بالعراة في غير خضر وفيفي غور مااء . وقد امرت ربولي ان يلزمك ولا ينارفك
حتى ياتني بانفاذك امري والسلام »
فلم افرغ الحبر من تلاؤ الكتاب نظر الى الحسين كأنه يعذر له بذلك الامر وقال
له « لا اقدر ان انزلك الا في هذا المكان » وأشار الى سهل كربلا على مقربة منهم
والتراث من ورائه والجند يحول بينه وبين الماء .

فقدم الحسين الى ان ينزله في مكان آخر فهو مااء . فابى وسافهم الى كربلا .
واما سلى فانها نسبت فانها على عبد الرحمن وعامر وانشغلت باسم الحسين واهلو
ولازمت زينب والطفل . اما زينب فانها عهدت بالطفل الى سلى وانشغلت بتدبير من
هي وخصوصاً الغلام المريض فان الحسين عاودته
واشرفت في الصباح على كربلا . وسلى في المودج فرأت جد الكوفة قد ملاها
السهل وحالوا بينهم وبين الماء . فطالعت بمعتها لها ترى الشيخ الناسك قادماً لكن
تسقط عنده حال عبد الرحمن بعد ما سمعته من مديره الى الكوفة . او تستفيد منه شيئاً
يهم الحسين في تلك الحال . فلم تر أحداً .
اما الحسين واهله فلما وصلوا كربلا ضربوا خيامهم وجعلوا اخوية النساء الى الوراء
وخيم الرجال الى الامام

واما زينب فلم تنا ان ترك اخاهما وحده فشارت الى فسطاطه وتبعها سلى وهي
لا تقل « قلنا عنها » . فادى بالحسين جاثر بباب خيمه يصلى فصرنا حتى فرغ من صلاته
فرأينا رجلاً من جد الكوفة قادماً عليه فلما وصل الى الحسين حياه . فنال له الحسين
« من الرجل »

قال « جئت برسالة من رئيس هذا الجند عمر بن سعد »

قال « وما هي رسالتك »

قال « هو يسألوك ما الذي جاء بك وماذا تزيد »
فنال له الحسين « قل له ان اهل مصر هدا كتبوا اليه ان اقدم فلخدمت . فاما
اذا كرهتوني فانا اصرف عنكم . او اآتي يزيد بن معاوية فاضع يدي في يدك »

فـلـمـعـتـ سـلـيـ قـوـلـهـ تـاـثـرـ الدـمـعـ مـنـ عـيـنـهـاـ لـاـ نـوـسـتـ فـيـ جـوـاـءـ منـ دـلـائـلـ
الـخـوـفـ وـالـفـعـفـ

الفصل الرابع والسبعين

علي الاصغر

ولما هـادـ الرـوـسـ بـالـجـوـابـ الـفـتـ الحـسـينـ إـلـىـ أـخـيـهـ زـيـنـبـ وـقـالـ طـاـ «ـ مـاـ الـذـيـ جـاءـ
كـ يـاـ أـخـيـهـ ؟ـ »

فـقـالـتـ «ـ أـنـأـلـيـ عـاـجاـءـيـ ؟ـ وـمـنـ لـيـ فـيـ هـذـهـ الـأـرـضـ بـعـدـكـ ؟ـ »

فـدـمـعـتـ عـيـنـهـ زـيـنـبـ وـهـوـ يـخـلـدـ وـيـظـاهـرـ بـالـصـبـرـ .ـ وـإـدـرـكـتـ سـلـيـ ذـلـكـ فـيـ فـحـومـاتـ
حـيـاءـ مـنـ إـلـىـ خـيـاءـ زـيـنـبـ .ـ وـكـانـتـ قـدـ تـرـكـتـ الطـنـلـ مـضـطـبـعـاـ فـيـ وـلـمـ تـدـخـلـ الـخـيـاءـ حـقـ
رـأـتـ الطـنـلـ يـدـرـجـ إـلـيـهـ وـخـلـاخـلـةـ تـرـنـ فيـ رـجـلـيـهـ وـهـوـ يـضـعـكـ وـذـوـأـيـاهـ مـرـسـلـانـ عـلـىـ
عـنـقـ وـقـيـصـةـ مـشـنـوقـ مـنـ اـعـلـىـ الصـدـرـ وـحـولـ الـعـنـقـ عـنـدـ مـنـ الـجـرـعـ الـثـيـنـ .ـ وـفـيـ يـدـ عـودـ
يـلـعـبـ بـوـلـامـارـاتـ الـبـشـرـيـادـيـ عـلـىـ وـجـهـوـ .ـ فـلـمـ نـهـالـكـ سـلـيـ عـنـدـ ذـلـكـ عـنـ الـبـكـاـ .ـ وـقـالـتـ
فـيـ نـفـسـهـاـ «ـ هـيـنـاـ هـذـاـ الطـنـلـ لـانـهـ فـيـ خـلـلـةـ عـاـ يـهـدـدـ وـالـكـ مـنـ الـخـطـرـ الـعـظـيمـ .ـ هـيـنـاـ
لـهـ مـنـ نـاسـ زـكـةـ طـاـهـرـ سـاذـجـةـ لـاـ تـعـرـفـ مـنـاعـبـ الـحـيـاةـ .ـ لـهـ قـلـبـ لـاـ يـعـرـفـ الـاـنـتـقامـ وـلـاـ
الـحـقـدـ .ـ وـهـوـإـذـاـ لـيـ الرـجـلـ لـاـ يـبـالـيـ مـاـ اـذـاـ كـانـ صـدـيقـاـ اوـ عـدـيـاـ .ـ وـاـذـاـ سـقـيـ السـمـ غـرـعـةـ
وـهـوـ بـحـسـبـ مـاـ زـلـاـ .ـ يـلـقـيـ نـفـسـهـ عـلـىـ كـلـ مـنـ يـهـشـ لـهـ وـيـحـبـ كـلـ مـنـ يـلـاعـبـهـ »

ثـمـ دـنـتـ مـنـهـ وـبـطـلـتـ لـهـ ذـرـاعـيـاهـ فـرـعـ إـلـيـهـ وـاـخـذـ بـلـاعـيـاهـ — يـعـبـتـ تـارـةـ بـشـعـرـهاـ
وـطـورـاـ يـجـلـبـ نـتـيـاهـاـ وـيـنـحـكـ لـهـ وـقـلـيـاهـ يـكـادـ يـقـطـرـ دـمـاـ لـاـ نـوـقـعـةـ مـنـ الـأـمـرـ الـكـبـيرـ .ـ

وـمـاـ عـنـ اـنـ ضـمـنـتـ حـقـ سـعـنـةـ يـذـكـرـ اـيـاهـ بـلـسانـ الـاطـنـلـ

فـقـالـتـ لـهـ «ـ اـنـ اـيـاكـ لـاـ يـلـمـتـ اـنـ يـاـ نـيـكـ عـلـىـ عـجـلـ »ـ فـصـمـ الـأـ »ـ اـنـ بـرـىـ اـيـاهـ .ـ وـلـاـ
الـحـتـ فـيـ مـنـعـوـ عـمـدـ إـلـىـ الـبـكـاـ .ـ فـانـنـطـرـ قـلـيـاهـ عـلـيـهـ وـجـلـلـةـ حـقـ اـنـتـ بـوـالـكـ وـهـوـلـاـ بـزـالـ
جـالـسـاـ بـيـابـ خـيـتوـ وـجـهـ .ـ فـلـمـ وـقـعـ نـظـرـ الـحـسـينـ عـلـىـ اـبـوـ اـيـسـمـ لـهـ بـالـرـغـمـ عـنـهـ وـبـسـطـ لـهـ
ذـرـاعـيـهـ فـالـقـيـ الـفـلـامـ نـفـسـهـ عـلـيـهـ وـاـطـلـانـ فـيـ حـجـرـ وـالـكـ .ـ فـجـعـ الـحـسـينـ يـقـبـلـهـ وـيـكـيـ وـالـفـلـامـ
يـضـحـكـ وـيـهـنـهـ وـلـيـ تـرـىـ ذـلـكـ وـتـكـظـمـ عـلـىـ مـاـ فـيـ نـفـسـهـ .ـ وـالـحـسـينـ لـمـ يـكـنـ يـعـرـفـ

سلى الا انها من بعض توابع نسأتو . فجعل بلاع الطفل وهو ثارة يدعوله وطوراً
يحن اليه ويشفع الحسين بالبكاء . وآونة برقة والطفل يشك ويُلْعَب ويُفْعَل على
لحية ابيه او على عارضيه او عنقه والحسين ينهض وزفون يكاد يذيب الحديد . حتى لم يبق له
صبر على ذلك . فاشار الى سلى فدلت بدها وتناولت الغلام وعادت بـه و هو يود القاء
في حجر والد

الفصل الخامس والتسعون

الشيخ الناسك

وفيما هي عائنة لاحت منها النهاية الى بعض جوانب البر فرأى شجاعاً مسرعاً من ناحية
الكوفة . ولم يقع نظرها عليه حتى عرفت انه الشيخ الناسك فلقيه وهرولت الى
الخباء فدفعته الطبلة الى سكينة اخنو وخرجت للإفادة الناسك . وما دلت منه سمعنة
يددمم ويقهم فاقبالت عليه حق الثنيا بقرب فسطاط الحسين فارسل الناسك شعر
على وجهه وأشار اليها انه يريد ان يكلم الحسين . فامتنعت باشارته ومشت معه الى
باب الخيبة فلما رأى الحسين استغرب منظرة ولكنه رحب به وتوجه في المغير فقال
« اهلاً، الشيخ الجليل »

فقال الشيخ « ارجع يا حسین ! .. ارجع الى المدينة انتا خير لك وافق ... ان
الناس هنا يرددون بك شراً ولا تقوى على فنالم »

فقال الحسين « اني اراك ذا كرامة فقل ما يبدوك »

قال « انتظر يا مولاي الى هذا الجيد انهم اربعة آلاف رجل بقيادة عمر بن سعد
وقد أمرنا ان يقاتلكم وانتم ذلة قليلة لانتقوون عليهم » قال ذلك وانحدرت عبرانة
على لحيته

فتآثر الحسين من منظرة ولكنه تخاذل ما يراه وقال « اني ارى رأيك فهل من
رجوع ... »

قال « اطلب الرجوع فان قبلوا كان بـه ولا فانك » وبكي بصوت
عالٍ . فبكت سلى . واما الحسين فقال « لند حملت مديرى لاني رأيت جدي (صلم)

الليلة بدعوني اليه وما عنك خير ما في هذه الدنيا المفانية »
 فَكَفَكَفَ الشِّيخُ دَمْعَهُ وَقَالَ « أَمَا وَقَدْ رَأَيْتُ رُغْبَتَكِ فِي الْآخِرَةِ فَاعْلَمُ أَنَّ إِنْ زَيْدَ
 لَمْ يَجِدْ طَالِبَكَ وَقَدْ كَانَ اوْثَلَكَ أَنْ يَجِدْهُ لَوْلَا ذَلِكَ الْحَائِنَ »
 قَالَ « وَمَنْ هُوَ »

قَالَ « لَمَّا عَرَضْتُ رِسْالَتَكَ عَلَى إِنْ زَيْدَ وَانْتَ نَطَّلَبُ الرُّجُوعَ إِلَى الْمَدِينَةِ أَوْ انْ
 نَفْعُ يَدِكَ فِي يَدِ بَزِيدٍ اشْنَقَ إِنْ زَيْدَ وَلَكِنْ رَجُلُ السَّوْءِ كَانَ حَاضِرًا وَهُوَ شَرُّ بْنُ ذِي
 الْجَوْشِنِ فَقَامَ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ « أَتَقْبِلُ هَذَا مِنْهُ وَقَدْ تَرَزَلَ بَارِضَكَ إِلَى جَبَّابِكَ ؟ وَاللهُ لَأَنْ
 رَحْلُ مِنْ بَلَادِكَ وَلَمْ يَفْعُلْ بِكَ لِيَكُونَ أَوْلَى بِالنَّوْءِ وَلَنْ يَكُونَ أَوْلَى بِالْفَصْفَ وَالْجَزْرِ .
 فَلَا نَعْلَمُ هَذِهِ الْمَتَزَلَّةَ ذَانِهَا مِنَ الْوَهْنِ - وَلَكِنْ لَيَتَرَزَلَ عَلَى حَكْمِكَ هُوَ وَاصْحَابُهُ فَإِنْ عَاقِبَنَاهُ
 فَأَنْتَ أَوْلَى بِالْعَقْوَةِ وَانْعَنُوتَ كَانَ ذَلِكَ لِكَ » فَاسْفَضَنَ إِنْ زَيْدَ الرَّأْيَ وَبَعْدَهُ مَعَ
 كِتَابِ الْمُعْرَافِ بْنِ مَعْدُرِيَّ بْنِ مَعْدُرِيَّ رَئِيسِ هَذَا الْجَمِيعِ بِأَمْرِهِ فَبَيْدَهُ أَعْرَضَ عَلَيْكُمُ التَّرَزُولَ عَلَى حَكْمِكُو
 فَإِنْ فَعَلْتُمْ بِكُمُ الْيُوْسُلَّا وَانْ أَيْمَنَ قَاتِلَكُمْ - وَقَالَ إِنْ زَيْدَ لِشَرِّ (فَإِنْ فَعَلَ عَمْرُ بْنُ
 سَعْدَ فَاسْعِنْ لَهُ وَاطِّعْ وَانْ أَبِي إِنْ يَقْاتِلْهُمْ فَأَنْتَ أَمِيرُ الْجَوْشِ وَاضْرِبْ عَنْهُ وَابْعَثْ إِلَيْهِ
 بِرَاسِهِ) وَهَذِهِ فُخْوَى كِتَابِ إِنْ زَيْدَ الْمُعْرَافِ بْنِ سَعْدٍ (الَّتِي لَمْ يَعْنِكَ إِلَى الْمُحْسِنِ لِنَكْفِ
 عَنْهُ وَلَا لِنَطَّالَهُ وَلَا لِنَهْيَهُ الْمُلَامَةَ وَالْبَنَاءَ، وَلَا لِتَعْذِيرَ عَنْهُ وَلَا لِيَكُونَ لَهُ عَدْيٌ شَافِعٌ) .
 اَنْظَرْ فَانْ تَرَزَلَ الْمُحْسِنُ وَاصْحَابُهُ عَلَى حَكْمِكِي وَاسْتَسْلَمُوا فَابْعَثْتُهُمْ إِلَيْهِ سَلَّا - وَانْ اَبْطَأْ
 فَازْرَحْتُ إِلَيْهِمْ حَتَّى لَتَاهُمْ وَتَثْلِيلُهُمْ فَانْهَمُوا ذَلِكَ مُسْتَقْبَلُونَ - وَانْ قَتَلَ الْمُحْسِنُ فَأَوْطَعَهُ الْخُولُ
 صَدْرُهُ وَظَهَرُهُ فَانْ أَنْتَ مُضِيَّتُ لِأَمْرِنَا فِيهِ جَزِيَّتُكَ جَزِيَّهُ السَّاعِمُ الْمُطْبِعُ وَانْ
 أَيْتَ فَاعْتَزَلْتَ عَلَنَا وَجَدَنَا وَخَلَّ بَنْ شَرِّ بْنُ ذِي الْجَوْشِنِ وَبَنْ الْعَسْكَرِ فَإِنَّا قَدْ أَمْرَنَا
 بِاَمْرِنَا وَالسَّلَامُ ، وَقَدْ جَاءَ بَا مُولَى شَرِّ اللَّعُونِ بِذَلِكَ الْكِتَابِ الْمُعْرَافِ - فَعَنْهُ عَمْرُ وَقَالَ
 لَهُ « أَنِي لَا أَظْلِيكَ إِلَّا بِهَذِهِ أَنْ يَقْلِلَ مَا كَتَبْتُ بِهِ إِلَيْهِ وَاقْمُدْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا كَمَا قَدْ
 رَحْوَنَا أَنْ يَصْلَحَ . وَاللهُ أَنَّ الْمُحْسِنَ لِنَفْسِهِ أَيْدِي بَنْ جَيْبِهِ) فَلَمْ يَصْنَعْ شَرِّ لَتَولَوْ وَخَافَ
 عَرَانْ خَالِفَهُ فَيَقْتَلُ فَانْهَنَا أَنْ يَهْلِلَ مَعًا وَتَوَلَ شَرِّ اِمَارَةِ الرَّجَالَةِ وَإِظْلَهُ قَادِمًا إِلَيْكَ فِي
 الْقَدْ »

الفصل السادس والستون

التعدد

فلم يتم الشيخ كلامه حتى بللت سلي شعرها بالدمع وقد زاد ثيوبها اسم شر بن ذي الجوشن وقد كانت تحسبه قاتل في دمشق على ماقصه عليها الناسك من حديث عامر عبد الله أبا عاصي عبد الرحمن من السجن . ولما الحسين فلما سمع كلام الناسك اعتبره ولم يكن بالامر الجديد عذراً ولكن تجلد وقال « اننا صابرون لحكم الله والله مع الصابرين » ثم تحول الناسك قبيحة سلي وهي ترجو ان تستفيده عن عبد الرحمن . فاذا هو قد اوغل في التحراه . ولم يلتفت اليها فوققت حازمة وقد استغربت اطوار ذلك الرجل . ثم حدثها « ألم يخرب من كل هؤلاء فاذا قتلوا هم فما النافع من بقائي . ولما عبد الرحمن فاذا كان لا يزال حياً الى الان وقتل الحسين فانهم يقتلونه . . . ولكن . . . اذهب اعلى اراه ثم اعود الى هنا الركب . . . لا لا . . . من اين اعود وكيف اعود . . . يا ويلاه . . . ماذا اعمل أترك عبد الرحمن وانا لا اعرف مقبره ولا ابحث عنه . ولكن كيف الخروج من هنا ومن يبني بيكانو . . . لا بل ابقى هنا اناضل مع الحسين واحارب معه فاذا انتصرنا كان المحظى كاملاً وفي السعادة في الدارين . فإذا قتلنا فلا اسف على الحياة ولا اشرف من موته اموتها مع الحسين واهل بيته . . . هل انا خير من زينب ام سكينة ام الحسين ؟ ام . . . ام . . . ولكن هب الي اردت الخروج الا بمحمل الحسين خروجي محمل الخوف . . . » وبعد التردد مدة عوّات على ان تبقى مع الحسين . فاما ان تموت معه او تحيي معه . فعادت وقد صغرت نفسها وابتلاعها بالهلاك الا ان يأتم الله بفرج من عنده

ونحوت الى خباء زينب وتحول خاطرها الى الطفل فقالت في نفسها « اذا قدر الله فشل الحسين او قتله ماذا يكون من امر هذا الطفل ؟ . . . وشعرت بالعناد اليه فاتت الى الخباء . فاذا بالطفل يبكي فاسرعت اليه وضمه وقبلاه وسأله عما يريد فاذا هو يشكو الطلاق وما في المعسكر قطعاً ماء فجئت عن زينب حتى رأيتها بجانب فراش ابن اخيها المريض وقد تعاملت الحسين عليه وهو بهذي ويخلط بكلامه . فلم تخسر ان تخاطرها ولا

هي قادرة على إسكات الطفل . فلما سمعت زينب صرخ الطفل بهضت اليه وتناولته وجعلت ثقبة والدموع تنساقط من عينيها على خديه وهي تتول له « اشرب من هذا الدمع لعله يرويك ... اشرب انهم منعوا الماء عنك والكلاب تشربه »

فقالت سلي « أو ليس عندنا شربة ما ، يارى الفرات امامي ؟ »

فصاحبت زينب « انهم منعوا الماء . الا نسمعي اصوات هؤلاء الظالمن الساعة يقولون لأخي « يا حسين لا تنظر الى الماء كانه كبد السماء والله لا تذوقون منه قطرة واحدة حتى تموتونا عطشاً ؟ »

فقالت سلي « ففهم الله ما افسي قوله وما اغاظط طباعهم اينعون الماء عن المرضى والاطفال » . واخذت سلي تعال الطفل بجرفة وضعتها في فمه وما زال يبغضها ويصرها وهو اما يصر ريشة حتى غلب عليه التعب فنام

وفي عصر ذلك اليوم (الخميس ٩ محرم سنة ٦٦٥) كانت سلي وزينب وسكنية جالسات في الماء وهن يقاذلن في ما يختنه على الحسين ورجاله فسمعن قرقعة الخم وصدى الخل والاصوات الرجال فخرجت زينب ثم عادت وهي تتول « لندانها فتلام الله » فلما سمعت سلي ذلك تحمس وثارت الحمية في رأسها وقالت في نفسها « لندحان وقت الاستشهاد في سبيل الحق ... وهل أرى سبيلاً الى الجنة خيراً من هذا ؟ » وتلتمست بيمارها وسرعت الى قوس معلقة في دعامة الماء فتناولها وجعلت تبحث عن السيف . وفيها هي في ذلك رأها زينب فقالت لها « وماذا تتعلمين يا سلي »

قالت « لا افعل شيئاً واغدا انا طالية وجه ربي اليوم »

قالت « العالك تردد بين النزول الى ساحة الحرب »

قالت « نعم »

قالت « وافينا ذلك ... باحينا لو اتنا ننزل جميعاً فنقاتل حتى نقتل مع هؤلاء . ولكن اخي الحسين منعنا واسفلتنا ان ناوي الى الماء ... الم ترى اني خرجت الا ان اليه فرأيتها جالساً يباب خيمته وعمة سينه وكانت لم يسمع صهيللاً ولا صليللاً . فدنت منه فرأيتها نائماً مو رأسه الى ركبتيه فناديه فادافق قلت (اما نسمع الاصوات قد افترست) فرفع رأسه اليه وقال (رأيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ال ساعة في الماء ف قال لي انك تروح علينا) فلما سمعت قول اخي لعلمت وجهي وناديت بالوابيل فقال لي

(ليس لك الويل يا أخيه أسكنى رحمة الله) واستغلني أن لا ارفع صوتي وكلامه لا يُرد فهل تريدين غضبها؟ أمكثي معنا يا سلي ويكتفيك من النعيم إن نلاحظي هذا الغلام وإنما أعلم المربي حق ينادي الله بما يشاء «

فتش ذلك على سلي واستط في يدها وقد كانت تود أن تستقبل حتى تقتل ولو أنها ثالث شر فقطاعها بالحرابة أو ترمي بالسهم . لأنها تصورت كل هذا البلاء منه فضلاً عما لاقتة بسيء في دمشق . وكانت تحسب ما تلقيت بتناهياً فجأً تضاعف بلا وهم . ولكنها لم تكن لنعمي اثنان الحسين فوقنت بيهوتة لاتدرى ماذما تعلم . على أنها ظهرت بالنبيول ثم خرجت ملائمة حتى وقفت بازاء خيبة الحسين فرأيت إخاه العباس قادماً على راحلته من معسكر العدو فعلمت أنه سار إليهم بهيمة فاستقبله الحسين وسألة عما كان من أمر هؤلاء

فقال العباس « قد استقبلتهم إلى المقد فآمهموا على أن تستسلم فيسرحونا إلى أمورهم عبد الله بن زيد إلا فليس عندم غير الحرب »

الفصل السابع والتسعون

— شهادة الرجال —

فلا سمع للحسين ذلك قال « حسبي » ووقف وصاح في أهل فاجمع حوله كل أخوه وأبناء عم وكل من معه من الرجال ووقفوا يتظرون ما يقوله وكلهم طوع أشارتو . فلما تکامل جمهم وقف فهم موقف الخطيب وقال « أني على الله أحسن الشهاده وأحمد على السراء والضراء . اللهم أني أحدثك على أن أكرهتني بالدنيا وعلمنا القرآن وفنهنا في الدين وجعلت لنا أسماءً وإيماراً وإثقة فاجعلنا من الشاكرين . أما بعد فاني لا أعلم أصحاباً أرق ولا خيراً من أصحابي ولا أهل بيته أبداً ولا أوصي من أهل بيتي . فجزاكم الله عني خيراً . إلا واني لا اظن يوماً لنا من هؤلاء إلا واني قد اذنت لكم فانطلقو جميعاً فانكم في حل ليس عليكم شيء ذمام . هذا الليل قد شهدكم فاخذتموه جلاً » فصاحوا جميعاً بصوت واحد « لم نتعل ذلك ليتحقق بعدك لا ارانا الله ذلك ابداً »

فلا سمعت سلى كلامهم لم تمالك ان قالت مثل قوله والدمع ملء عينيهما . فانبه
طا بعض الوقوف فالتفتوا اليها فاساختت وبالغت في اخناء وجهها
اما الحسين فعاد الى الكلام ومخاطب ابناء عمومه فقال « يا بني عقول حسبي من القتل
يسلم فاذهولوا انتم فتد اذنت لكم »

فاجابوه « سبحان الله ماذا يقول الناس ؟ يقولون انا تركنا شيجنا وسيدنا وبني
عومتنا خيرا الاعام ولم نرم معهم بهم ولم نطعن بهم ولم نضرب بهم بسيط ولا ندرى
ما صنعوا ؟ . لا والله ما نتعل — ولكن تنديك بانفسنا واموالنا واهلينا ونقاتل معك
حتى نرد موردك فديع الله العيش بعدك »

فأرادت سلى ان تقول قوله « اذا برجل رفع صوته بين الناس وقال « نحن نخلي »
عنهك . . . وبادرا فتعذر الى الله في اداء حنك . . . اما والله حتى اطعن في صدورهم
برمي واضر بهم بسيطي ما ثبت قائمة في يدي . ولو لم يكن معي سلاح افاتههم بـ
لذذتهم بالخجارة . والله لا يخليك حتى يعلم الله انا قد حظينا عيبة رسوله فبك . اما والله
لو قد علمت اني اقتل ثم احرق ثم احرقا ثم اذري — يتعل ذلك في سبعين مرة
ما فارتك حتى الى حمام دونك . وكيف لا افعل ذلك ؟ وإنما هي قتلة واحدة ثم هي
الكرامة التي لا انقضاء لها ابداً »

فقالت سلى عن التائيل فقيل لها انه مسلم بن عوجة . ثم سمعت غيره قال مثل
قوله فانتعشت آمالها واعجبها ما رأته من الاتحاد والاسلام في سبيل الحق
فاثق الحسين عليهم وتحول الى خبايو وتحول البافون وسارط سلى الى خباء زينب
لتحتفظ الطفل . وكان الليل قد اقبل فاذا هولا يزال نائماً فسررت بيومه . ورأيت زينب
في جانب فراش المريض ترثى فجلست الى جانبها وقد انتعشت بما سمعته في ذلك المساء
وذهب كل الى فراشو وزينب وسلى ساهرتان تمرسان عليهما ولتحذثانها بتوقعونه
ونبأها شكلمان همساً والليل هادئاً وعليه قد نام وهو بين من شدة المرض سمعها
فائللاً بتناول :

ياده اف اك من خليل * ك لك بالاشراف والاصيل
من صاحب او طالب فليل * والدهر لا يقنع بالبدبل
وانما الامر الى الجليل * وكل حي سالم سيبلي
وكان الصوت خارجاً من فسطاط الحسين فعلمت زينب انه صونه فلم تملك نفسها

ان وثبت تجز ثوبها وفي حاسة الرأس فتبعتها سلي حتى انتهت الى الحسين فرأته
جالساً والى جانبه خادمة يعالج سينه وبصلحة فصاحت زينب « وانكلاه ليت الموت
اعدمي الحياة اليوم · ماتت امي فاطمة واني علي واخي الحسين · يا خلية الماضي
وئال الباقي ! . . . »

فظار الحسين اليها وقال « يا اخية لا يذهبن حلك الشيطان » ثم ترققت الدموع
في عينيه وقال « لورتك الفطا لام »

فتالت زينب « يا بنهاء اتفقدت نسلك اغتصاباً فذاك افرح لقلي وشد على
لنبي » ثم لعلمت وجهها وهوت الى وجهها فشققت وخررت مغشياً عليها · فهمت سلي بها
واجلستها وقام الحسين لها وقال « يا اخنهاء انتي الله وتعزى بعز الله واعلي ان اهل
الارض يموتون واهل السماء لا يموتون وان كل شيء هالك الا وجه الله · · جدي خير مني
واني خير مني قامي خير مني واني خير مني ولكل مسلم برسول الله اسوة » ثم قال لها
« يا اخية اني اقسمت عليك فابرقي قسي لانشيقي علي " جبياً ولا تخشي علي " وجهها ولا تدعني
علي " بالوابيل والببور اذا انا هلكت »

الفصل الثامن والتسعون

﴿ صباح القتال ﴾

فاطلعة وسلى شيعها وهي صامتة وقد احببت الموت مع الحسين · اما
الحسين فقضى ليلة بصلي ويدعف ويدعو ويضرع واصحابة كذلك وقضت سلي لها
مثلم وقد اخذ العطش منهم مأخذًا عظيمًا

واصبعوا في اليوم التالي وهو العاشر من المحرم فاشتغل الحسين في ترتيب رجاله
فأمرهم ان يدخلوا اطباب الاخيبة بعضها في بعض حتى تصير كائنا خباء واحد · وإن
يستقبلوا القوم من وجه واحد والبيوت من ورائهم · ولم يكادوا ينعلنون ذلك حتى رأوا
المجبل افقلت عليهم وفي مقدمتهم شمر بن ذي الجوش · وكانت سلي وافنة في باب
المجبل فلما رأت شمر ارتعشت اعضاؤها ورفعت يديها الى السماء وطلبت الى الله
ان ينعم منها

ولما رأت شر حديثها نانها ان ترميه بسم ولكنها تذكرت ان الحسين لا يد ذلك
فصبرت واكتفت بالدعاء وملائكة الطائل

اما الحسين فركب راحلته وعليه جبة وقلنسوة ونقدم وهو ينادي باعلى صوته « يا اهل
العراق » فسمعا اكترهم واشغلا لما سبقه فقال « ايها الناس اسمعوا قولي ولا تنجحوا
حتى اعظكم بما يحق علي وحق اعذر اليكم فان اعطيتنيونى الصدف كتم بذلك اسعد وان
لم تعطوني الصدف من انفسكم فاجمعوا رأيكم ثم لا يمكن امركم عليكم غدرة ثم افھموا الىي ولا
تنتظرون ان ولبي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين اما بعد فانسيوني
فانتظروا من انا ثم ارجعوا الى انفسكم وعاتبوا . فانتظروا هل يصلح لكم قتلي وانهلك
حرمي - ألاست ابن بنت نيكم وابن وصيي وابن عم وابن المؤمنين المصدق لرسول
الله صلى الله عليه وآلو ها جاء به من عبد ربكم او ليس حسنة سيد الشهداء عي . او ليس
جهنم الطيبار في الجنة يجناحون عي . او لم يبلغكم ما قال رسول الله صلى الله عليه وآلو لي
ولاخي هذان سيدا شباب اهل الجنة . فان صدقوني بما اقول فهو الحق والله ما انعدت
كتباً منذ علمت ان الله ينت عليه اهله . وان كذبوني فان فيكم من ان سأله عن ذلك
اخوركم » ثم قال « فان كتم في ذلك من هذا فشكرون اني ابن بنت نيكم - فوالله ما بين
الشرق والمغرب ابن بنت نبي غوري فيكم ولا في غيركم . وبحكم اطالبوني بقتيل منك
قتلة ؟ . او مال لكم استهلكته او بنصاص جراحة ؟ »

فاجابوه « اتنا لا نائم ما نقول » ^(١) وحملوا وحمل رجاله

فلما علت الفوضاء صحا الطائل من نومه فاسرعت سلي اليه وقلها ينقطع حزناً عليه
واشتغلت في اسكاته وهو يصبح من العطش كأنه ذعر لاصوات الناس فازداد بكاه
وعويلأ وزينب مشغولة ببنها لا تدرى ماذا تعمل وتد اشتد المرض بابن اخيها
وظهرت فيه اعراض الذرب فشغلا الاعتناء به عن كل شاغل

وفيمما في ذلك وقد علت الفوضاء رأت سلي فارساً مقبلاً من معسكر اهل الكوفة
يسقط فرسة نحو الحسين . وكان الحسين واقفاً ينتظر ما يهدو وهو لا يصدق انهم يحاربونه
لهما رأى الفارس مقبلاً ليث بموقع وصوله . ولم يكدر يقترب حتى عرف انه المهر بن يزيد
الذى كان قد لفهم قبل وصلهم كربلا . ورآنه سلي ايضاً من خلال الخبراء فعرفته
ونجحت لفدوه فلما وصل الى الحسين رمى قوسه بين يديه وهو يتول ^(٢) « جعلت فدارك

يا ابن بنت رسول الله انا صاحبك حستك عن الرجوع وسايرتك في الطريق وجمعت
بك في هذا المكان . وما ظلت ان اقمر رعدون عليك ما عرفته عليهم ولا يبلغون ملك
هذا المنزلة والله لو علمت انهم ينتظرون بك الى ما ارى ما ركبت مثل الذي ركب .
فاني تائب الى الله ما صبعت قلبي من ذلك توبه ^(١)

فتقال له الحسين « نعم ينوب الله عليك فائز لـ »

قال « فانا لك فارسا خير مني راجلاً - افأقام لك على فرسي ساعة . والى
النزول آخر ما يصور امري »

فتقال له الحسين « فاصنع برجمك الله ما بدا لك »

فلا سمعت على كلام الحر دمعت عينها وقالت في نفسها « هل يشعر مثل هذا
الشعور ابن زياد او يزيد؟ » ثم رأت الحر يسوق فرسة امام الحسين نحو معسكر اهل
الكونفة فتبعدة يبصرها واذتها لترى ما يكون منه فادا هو ينادي اهل الكونفة قائلاً
« يا اهل الكونفة لامكم المدل والغير ادعوم هذا العبد الصالح حتى اذا جاءكم السنبور
وزعهم انكم قاتلوا امسكم دونه؟ ثم عدوم علي لقتلهم وامسكم بفسو واخذتم بكتلهم
واحاطتم بهم كل جانب لتفنعن التوجه في بلاد الله العريقة فصار كالاسير في ايديكم
لا يملك لنفسه قياماً ولا ضراً ومتعبون ونساءه وصبيةه واهلة من ماء الزرات الجاري
يشربه اليهود والنصارى والجوس وشرغ فيه خازير السواد وكلابه؟ فهنا هم قد صرهم
العطش - بش ما خلقتم عبداً في ذريتو لاستقام الله يوم القيمة » ^(٢)

الفصل التاسع والستون

صلاة الخوف

ولم يتم كلامه حتى حمل اهل الكونفة وفي مقدمتهم عمر بن سعد وكان عمر هذا اول
من روى سهراً في هذه الواقعة . وتناول الفريقان وترموا بالسهام حتى وقع بعضها
في الحياة

وكان النهار قد أضي وملئ نشاغل العطل ونسكناه وفليها ميل الى الانزال لعلها
تلقي أجرأ في الدفاع عن الحق وشاعت عيناهما وهي تنظر الى التوم عن بعد لعلها ترى
ابن ذي الجوشن فلم تره بين الرجال فطلعت على مرتفع والطلبل بين ذراعيهما نظرة
يكفيها وزديها وقلبيها يختل . فارسلت بصرها في ذلك المهل فرأته ملوكها بالرجاله
والفرسان من أهل الكوفة بما يزيد عددهم على اربعة آلاف وليس مع الحسين الا ^{٤٣}
فارسًا وبعض الرجاله . ولكنها رأت رجال الحسين لا يحملون على جانب من جوانب
ال العدو الا ^{٤٤} كثنو . ثم ما لبثت أن رأت المحن يزيد وفع قتيلاً ووقع غور . فحولت
بصرها الى الحسين فرأته لم يحمل بعد فما زالت ترجو ان يمن الله اذا ضعف امن او
قتل رجاله

ولم تستطع سلي البقاء هناك خوفاً على العامل من نيل بهيبة فعامت الى
السلطان . فرأى زينب وسكتة وفاطمة بنتي الحسين يبكين وبالعلن يجانب فراش علي
المريض وهو يختلف عنهم ويهون عليهما كلام شيخه عبد الله وما هو مرض . فلما رأى سلي
منقبلاً واخوه بين ذراعيهما يبكي قال لهم وآخيه « فمن الى هذا العامل فاستثنين له
واتركني فلا يأس على »

فصاحت زينب « ومن اين ننسقي الله ومن يسفينا بالليلة يشرب الدمع فترويه من اماقنا » قالت ذلك وهمفت الى العذل فتناولتها وجعلت تقبله وهي تكى وتضمه الى صدرها . فيبكى سلى مثل بكاهها . ولكنها رأت من الماكمة ان تخرج وتصيرها فاسترجعت الفضل الى حجرها وقالت « تصيري يا سيدتي وسكنني روعك لعل الله يأتينا بفرج من عننك »

وكانت الشمس قد مالت عن خط المهاجرة فسمعت سلي في المعسكر اصواتاً من داخلة فبرعت الحال وخرجت من الفسطاط وخرجت زبيب في أزها . فرأى الحسين يصيح في رجاله يدعون إلى صلاة الخوف . فجاء الرجال وقفوا والنبيال تساقط عليهم وصلى عليهم الحسين صلاة حارة يخشع لها قلب المجاهد . فلما فرغوا من الصلاة تجددت آلامهم وأطاعت قلوبهم بالصلاة أحسن معز للإنسان في ضيقه . فتقدم أحد رجال الحسين حتى أقبل على أهل الكوفة وفهم حملة النبيال وحمله الديوب بين فارس ورجل وقال لهم « يا قوم ألمي أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب . يا قوم ألمي أخاف عليكم يوم النداد يا قوم لا تنهيوا حسابنا فيحيطكم الله بعذاب وقد خاتم من أفترى » قال ذلك وهبم وهو يقاتل حتى قتل . وهبم

غير في أثره وما زال رجال الحسين يقتلون حتى لم يبق منهم إلاً أهل بيته خاصة^(١)

الفصل الثاني

الاستفقاء للطفل

كل ذلك سلى لا يدرى ماذا تعامل والطفل بين يديها وقد شغل خاطرها بالعقل المريض فلما رأت رجال الحسين يقتلون طار خوفها ونسمت مهيبتها وغلب علىها اليأس وأاحت أن تخالف الحسين وتفاوت معها . ولكنها لم تجد سبيلاً إلى ذلك والطفل ينبعج وقد نقطع قليلاً لبكاؤه . وفيما هي في تلك الحيرة بباب الخيراء رأت علباً الأكبر بن الحسين وهو شاب أصبع الوجه جبيل الصورة في التاسعة عشرة من العمر تبحث المهمة من عنده - رأته هاجماً وسيئة مشرعاً يبت وهو يشد قوله حماسياً . ثم خيل لها أنه فرج مرسل من السماء . ولكنها ما لبست أن رأته أصبع بطعمنة في صدره فخر صريعاً يختبط بدمه . وكان أبوه الحسين بالقرب منه فصالح « قتل الله قوماً قتلوك يا بني ما أجرأم على الرحمن وعلى انتهاء حرمة الرسول » قال ذلك وإنهملت الدموع من عنده . فلم تخالك سلى ان صاحت « قاتلوا قاتلهم الله »

وما انتت كلامها حتى رأت زبيب تسرع وهي تناادي « يا أخياء وإن اخباراً وجاءت حتى أكبت عليه . فأخذ الحسين برأسها فرداًها إلى النسطاط ونادى فيها أنه فقال « أحملوا أخاكم » ثم جلوه حتى وضعوه بين يدي النسطاط . وتکاثرت النبال المنداقطة هناك فاصبب بها غبره وكلما أصبب واحد جمله إلى ذلك المكان

وخففت سلى على الطفل فارادت ان تلجهأ و إلى الخباء فرأها الحسين والطفل بين يديها فأشار إليها ان تأتي . فأتت إليه والطفل يبكي من العطش وقد يبح صورته ونبع صدره وهي تخبو عليه لنفيه من النبال . فتناوله الحسين من ذراعه واسرع نحو المركبة فاسرعت معه وتنصت ببصرها إليه وقليلها يختلط خوفاً عليه ولم تفهم معنى ذلك ولا هي ما تعلم . فإذا هي بالحسين يخاطب أهل الكوفة والطفل مرفوعاً بين يديه كانه يشير به اليهم ويقول « يا أهل الكوفة خافوا من الله واستقروا هذا الطبال . اذا أكبت أنا

في اعيباركم كافراً استوجب الموت عطلاً فما ذنب هذا الطفل الصغير؟ .. يا قوم خافتم
من الله واذ كروا عذاب يوم اليم^(١)
فتأثرت سلي من ذلك الكلام وظلت يشعر فيهن ولذلك التوم على الطفل فيستوه لكتها
لم تك تذكر في ذلك حتى رأت رجلاً من نبالة الكوفة اوزر قوساً ورمي الطفل وهو يقول
«خذ أسلو» فاصاب السهم احشاءه فصاحت الطفل صيحة الالم ثم تحول صاحبه الى اثنين
فاخسحت سلي كأن السهم اصاب قلبها وركفت الى الحسين فاذما بالطائل يختلنج بين
يديه وقد تدلى راسه على صدره والدم يقطر من جده .. فصاحت «وبلاه ما أظلمهم
وبلاه ما أفسى قلوبهم .. قتلوا الطفل ..» قالت ذلك وهبت بنانا ولو فمعها الحسين
من ذلك وقال لها «لا تبكي يا بنتي ان له اسوة مجيد وعمرو وسائر اهلو الصالحين» ثم رفع
يديه والغلام بينها وشخص يصرن الى السماء وقال «ان يكن حسنت عنا النصر من السماء
فاجعل ذلك لما هو خير منها واقتنم لنا من القوم الفطامين» ثم حمله حتى وضعة مع فتلى
أهل بيته وفيهم اخوه الحسين وأولاده وإبناه عمرو وإبناه اخيه .. ثم الثلت الى سلي وقال لها
«ارجعي يا فتاة الى الحياة» فتراجعت وقابها يقطر دمها وعينها تسکيان الدمع ولم
تجد سبلاً الى مخاللة الحسين

الفصل الخامس والمائة

— خاطف —

وفيها هي راجعة وكذاها على عينيها تستيقن الدمع وتندب القتل احسنت يد قبضت على
يدها وجرها بعنف شديد .. فارادت ان تخذب يدها ونظرت فاذا بالشيخ الناسك وهو
كالاسد الكاسر قد اعتنقتها من خصرها وحملها بين ذراعيه كأنه من مردة الجحان وخرج
يهما من بين الحيام حتى اتي مضيفاً فوق الخندق مر فوقه وهي تظن نفسها في حلم .. حتى اذا
وصل اليها الى كهف وراء الحيام قالها الى الارض وهو ياهث من شدة التعب فصاحت فيه
«الي ابن تذهب في يا عاه؟ دعني اموت مع الحسين فانها احسن موته برجوها المؤمن
في دنياه»

فلم يستطع الشيخ ان يجدها لسارع تنسو من القلب . ولكن اشار اليها ان نصرير
محاولات الافلات منه والرجوع الى المعركة فامسكتها وانعدما وهو يتول بصوت متقطع
« وما الموت ... ما يسرع ... الى ... كيف توترين ... وتنزركن ...
عبد الرحمن ... »

فلما سمعت اسم عبد الرحمن تجددت احزانها وزادت شجوبها فبكيت بصوت عالٍ
وقالت « ابن هو عبد الرحمن ألم يحياني الى العالم الآخر ... ؟ دعني اموت
والحق به »

قال « ومن اباك يهونه ؟ ... »

قالت « نعم انه مات وسبتي ... دعني الحق به دعني اموت مع الحسين واهل
بيته ... »

قال « ان عبد الرحمن لم يمت با بيته ... هداي روحك واعطي ان الحسين
ماتت ولا فائدة من الدفاع عنه »

قالت « ان لم اتم اهلا وطالب بقائي ... ؟ وما الثالثة من بنائي وبناء عبد
الرحمن اذا مات سيد شباب المسلمين ؟ ... دعني اموت بعد ... » قالت ذلك
وهضبت وهي تقول « لا لا لا يموت ... من يمس على قلبه ومن يد بده اليه ولا
تهبس ؟ ... واي ارض شلقي دمه ولا تخسف ... لا ... لا يهراون على قلبه وهو
ابن بنت الرسول وسيذهب المسلمين ... »

فامسكتها الشيخ بدها وقال « ألا تصدقين انه مات ؟ ... »

قالت « لا »

قال « قومي وانظري موتها »

ففاجمت وهي تهرب في مشهدتها حتى وفدت على اكمة تشرف على الراجمة فرأيت
الحسين يعيث خطاشه وذم ينطر من حيث لا لهم كان قد اصابه هناك ولم يقتله
ولم يصل الى النسطاط حتى احاطت به جماعة من رجال الكوفة فهم رجل ابرص حاما رائنه
على اتشعر بذهابها وارتدت فرانصها لانه شمر عن ذي الحجه وارادت ان تصفع فامسكتها
الشيخ وقال لها « اسكنني وادذكرني اني الشیخ النائم ... »

فوفقت كأنها على الجسر وعبئها على الموضع فرأيت رجالاً ضرب الحسين على رأسه
بالسيف ففطع السيف الفناسنة واصاب رأسه وابتلاه اللناسنة دماً . فرفع الحسين اللناسنة

ودعا بغرفة شدّ بها رأسه واستدعى فلسفة أخرى فلبسها وأعنم فرجع عن شعر وبن
كان معه

الفصل الثاني والعاشر

٢٥ هجوم اليأس

فلا رأيهم سلي يتراجعون ظنهم عدلوا عن قتله . ثم رأت الحسين عائداً إليهم ومعه
ابن أخيه عبد الله بن الحسن وهو غلام لم يراهق . وكان عند النساء فلما رأى عمه في ذلك
الفرق لم يقال ذلك أن تبعه وزيبه . ذكر في أثره . فصحته يقول لها « أحبيبي يا اختي »
فارادت أن تترجمه فأبي وأمتنع عليها امتناعاً شديداً وقال « والله لا أفارق عني » ولم
يتم كلامه حتى رأى رجالاً يهوي بالسيف على الحسين . فصاح الغلام فيه « وبلك يا ابن
الخينة انتل عني »

فصر به الرجل بالسيف فانقادها الغلام بين فانقطعت بين اليد الجلد حتى تدللت وهي
معلنة بقطعة من جلد وأصبغ رأسه . فنادي الغلام « يا أماء » فهم يو الحسين وضنه
اليه وهو يقول « أصبر يا ابن أخي على ما نزل بك واحتسب في ذلك الخبر فات
الله بذلك يا يائك الصالحين » (١)

ومات الغلام ل ساعته والحدث جذلته يحيط بهم وملئ نظار . فطار صوابها ولم تعد
 تستطيع صرراً فإذا بالحسين قد دعا بسرابيل يائة يلمع فيها البصر فقطعنها ولبسها فلما
رأته سلي ينقطعها استقرت ذلك منه فقال لها الشیخ « انطليون لماذا فعل ذلك
قالت « وماذا »

قال « قطع السرابيل لكيلا يملؤها بعد موته »

قالت « اهوما نت کا نقول ؟ ... لا اظنهم يقتلونة »

ولم يتم كلامها حتى رأت شمر بن ذي الجوشن هاجماً عليه وليس مع الحسين إلا
ثلاثة رجال قتلوا بين يديه ولم يبق صواه . ففهم الحسين عليهم وعلوه النسوة والنجدة وغلق

السرابيل المتعلقة وسيلة يبت وفي جهة اليمين . وكانت ذعرتا هجومه ففرغا من بين يديه فرار المعرى من الذئب . فاستبشرت سلبي بذلك وقالت للشيخ « المأجل لك انتم لن يتخلو ؟ الا تراهم كيف يفرون من امامكم »

ولم تقل ذلك حتى رأت الشهاد تناقض عليه كالمطر وقد ضار كالفنيد . فاجم الحسين والرجال واقفون بازائهم لا يهراً احدم ان يبدأ بيتلو . وبعد ذلك خرجت اخنة زينب الى باب النسطاط وصاحت وجند الكوفة يسمعها « يا عمر بن سعد ايقتل ابو عبد الله وانت تنظر اليه » فلم يجيبها

فأرادت « وبحكم اما فيكم مسلم » فلم يجيبها احد

الفصل الثالث والعاشر

— مقتل الحسين —

ثارت الجماعة في رأس سلي وافتلت من يد الناسك وجمعت نحو الخيم . فاعترضها الخندق والنار لا تزال شهد فتو ولم تجد المفتي الذي حلها الناسك عليه . فوقنت وهي تلament لعلها تجد لها مسلكاً تر على الى المعركة فسمعت ابن ذي الجوش يقول لرجاله « وبحكم ما تظرون بالرجل تكتلكم امهاتكم » فاللament سلي فرأى الرجال حملوا عليه فضربه احدم على كتفه البرسي قطعهما وضربه آخر على عانقه فكباه الحسين على وجهه الى الأرض . فصاحت سلي وهي لاتدرى ما تقول « وبكم قتلتم الحسين . . . شلت اياتكم » وهرولت ونسها تخدتها ان ثبت من فوق الخندق ولو وقعت في النار . وكان الشيخ قد ادركها واسك بذيل ثوبها وفي لاثاليه وعيدها شائعتان الى الحسين وهو طريح بجانب جثة اولاده واخواته وقد اخاطبت دماغه « بدمائهم ولكنها لم يمت . فرأى شمر وشب عليه وسيلة يبت فوضع الميف في عنق الحسين وحرزه حتى انفصل . فسمعت بيلى بعد المعرى قويها . ثم رأت شمر رفع الراس يبت وقد سقطت اللائعة عنه وباش شعره وقد تضصب بالدماء واغضبت العينان ونائلة الى رجل بازائهم وقال له « احمله الى الامير

عمر بن سعد »

فيجئ سلي وغاب رشدتها ولم تعد تعرف ماذا تعمل . وكانت قد اهتلت من موقفها بغدران تنبه فرأيت على عرض الخندق خثبة فاقفلت من الشيش بالرغم عنها ووثبت عليها وأسرعت نحو المعركة وهي تصبع « وبلك باشر با ظالم بالعيون ... كيف ثلقي وجه ربك يوم الدين ».

وما وصلت الى النساعط زينب حتى رأتها راجعة من المعركة ومعها نساء اخريات يعدون وفي اثرهن « ض الرجال يتضي الواحد منهم على ثوب المرأة فتذارعه وهي تفڑ من امامه حتى ينزع ثوبها عنها . فارادت سلي ان تدافع فامسكتها زينب بيدها وادخلتها معها الى النساعط حيث الغلام المريض

فدخلن المخاء ودخل في اثرهن رجال والسيوف مشورة في ابدهم وهن يتراسن الغلام يريدون قتلها . فصاحت سلي فيهم « ويكلم انتلون الصبيان » وخفتها العبرات وصاحت النساء مثل صيتها

وفي تلك اللحظة وصل عمر بن سعد فقال لاصحابه « لا نتناول احداً من النساء . ولا نأخذن عنهن شيئاً وكثيراً عن هذا المريض » وامرهم ان يجعلوا بالنساعط ثلاثة يدخلن احد واوصام ان يخروا الاختية اثلاً يخرج منها احد اما سلي فانقطعت للبكاء هي وزينب وسائر النساء . حتى علت الفوضى وارتقت اصوات العويل ما ينتهي له العصر

ثم سمعت سلي وقع حواجز وضجة فاطلت من خلال المخاء فرأيت عشرة فرسان جاؤا بخوبطم الى حيث جثة الحسين وهم اورهم عمر بن سعد وقد امرهم ان يعلووا ظهر الحسين بخوبطم

فرأتهم يطعون جثته بحواري المخبل حتى رضوه وهي تتألم لذلك كأنهم يطأون على حدقة عينها فنالت في نفسها « ما هي عاقبة ذلك يا رباه » ولكنها لم تخبر زينب خوفاً عليها

ثم رأتهم يقطعون رؤوس سائر القتلى فبلغ عدد الرؤوس المتعلقة اثنين وسبعين رأساً . يجلوها الى ابن زياد في الكوفة مع رأس الحسين



الفصل الرابع والماية

الندب والرثاء

ارسل الكوفيون روؤس النبل الى ابن زياد و بانوا تلك الليلة في معسكرهم بقرب
كربلا . وقد اقاموا خفراً يحرس خيام الحسين و فيها نساقه و جواريه وليس قبور من
الذكور الاً ابنة عليٰ الاوسط الملقب بزین العابدين وهو مريض

و سدل الليل ثقابة و انقضت الموقعة وقد قتل الحسين و اهلة و اصحابها جنباً هائلاً لا
حراك بها واستكاثت عناصر الطبيعة واشراق النور وهو في ليله الحاديه عشره فشكك بالنهار
فيول العشاء . و ارسل أشعنه على كربلا . وقد كانت في صباح الاٍمس فاحلة ظلمة
فامست وقد ارتقت من دماء الابرياء . ولو ادرك ذلك التراب خطأة ما جرى فيه
في ذلك المبيت المموج لفضل الضياء على الارتفاع . او لوعم القمر وقع اشعنه تلك الليلة
لبعها ليستر ذلك الجرم الذي لم يتحقق مثله في تاريخ العبران

اما سلى فلما أقبل الليل وهذا الطبيعة استولى عليها الجسد ولبس صامة
وطعنون المهام لا يزال في اذتها بما يخلله من اصوات الناس وخصوصاً صوت الحسين وهو
يزجر الناس وبعظام و يستعين الله . فنساط الخيال على سلو فتبدل ما ما رأته في آخر
الواقعة من مقتل الحسين وحزن رأس و وطء الموتى على ظهره . فلما تذكرت ذلك اقشعر
بناتها و شعرت بانفياض شديد وضيق صدرها و تاقت نفسها للبكاء ولا يحلو البكاء
اً بجانب الميت . فاختفت الخروج الى مكان الواقعه لتشاهد تلك الجهة الساكته
و تشكيها لنخرج كربلا . فنهضت وهي تظاهر بمحاجة نفسها حتى خرجت من الحباء والخار
لم يسموها لانتعالم بحديث اليوم وما كان من نصرتهم

فالسللت بين الحبائمه حتى غمازوت المعسكر واشرفت على الموقعة وقد عرفت المكان
ما يتعكس عن مستنقعات الدماء في خلال الجثث من الاشعة الحمراء . فلما رأت
ذلك اختلع قلبه في صدرها لما شتوق ان تراه هناك من الاجساد المضرجة بالدماء ولا
رؤوس لها . ففتحت الموباء وركبناها ترتعشان و تذكرت ما كان من الفوضاء في
ذلك النداء وما آكل اليه من السكون المرعب . فازدادت رهبة حتى حدثها نفسها

بالرجوع ولكنها تجلدت وظلت في سيلها وهي نهر الطريق وعينها شاحضتان الى الجفاف فارتعدت فرائصها لما عايتها من الامر المفظيع — رأت جنباً مطروحة لا حراك لها ولا روش لها . واكثراها عارٍ من الثياب لأن الفاثلين سايبوها الانوار الا ما يستر العورات . وفيما هي تحظى خطوا الخائف المأهوب سمعت صوتاً خارجاً من بين النطى فاقشعر جسمها وقفَ شعرها وجد الدم في عروقها . فوقفت وأصاحت بصوتها وقد غصت بربتها وأسكت نفسها وترست في مكان الموت وهو على بضعة عشر ذراعاً عنها فرأيت شيئاً يتحرك . فهمست في مخض بكماد بوارها وقد ودلت ايمانها ثم تخشم الندوة الى ذلك المكان . على ايمانها ما لبنت ان سمعت ذلك النذير يقول «رحمك الله يا اين بنت الرسول . . . رحم الله بدنا حلة رسول الله على ذراعيه وقبلة بشتيه . . . لمن الله الاروم الظالمين . . . كيف تحرأ على هذه الفلة المتعاء . . . كيف بدوى ايديهم الى هذا الجسم العظيم وفيه رائحة سيد المرسلين ؟ . . . »

فلما سمعت سلى الصوت عرفت انه صوت الشيخ الناسك فاطلان بالها وسكن روعها . ولكنها احببت البقاء في مكانها لسمع ما يقوله حتى اذا ابكتها قوله بكث وفرجت كربتها . فسمعته يبكي ويذهب ويقول «فيهم الله ما أقصى قلوبهم . . . المخالفون من موقف اليوم الرهيب ؟ . . . تحرأ على قتلك وفتك بقية من دم الرسول وانت اين بيتو . وقد قال فيك (انا من حسين وحسين مني احب الله من احب حسيناً) بخط من الاسياط) كيف يلقون وجه ربهم في يوم لا تغنى فيه نفس عن نفس شيئاً . . . ويل لهم قتلوا سيد شباب المسلمين قتلة لم يقتلها كافر ولا منافق . . . ولم يكتفى بذلك ولأنه عليك حق قطعوا رأسك ووطئوا ظهرك بالخيل . . . ولكن اراك مستقبلاً السهام وقد سمعت ذراعيك كأنك تشكوا امرك الى ربك وتدعوه للانتقام منهم — وما ربك بذا فال عما يفعلون . . . الويل لي انا الشيخ النعيس ويل لشيوخني . . . كتب علي ان ارى خورة المسلمين يقتلون وقد كنت اتوقع اذا حبيت ان اراك ياحسين مالاً رقاب المسلمين فتندم لي من ذلك الظالم الغادر قاتل الابرياء . . . فأخذ بيار فلان الكبد وحدثه الذلب المنشول في سبيل ايك وسبيل الحق . حق اذا لبنت اجي فارقت هذه الحياة مجور الذلب وقد عايتها الحق سائداً وبالباطل مذعوراً . . . فتضيي شيوخني ناسكاً هائماً نائماً لا آوي المنازل ولا ايته الا في المخلام . . . ولكن ابي الله الا ان ارى الحسين واولاده وابنه اخيه وابنه عم جيئاً لا حراك فيها . . . ارى الدم يجري من رفاتها

وجئناها وارى ابدانها مكشوفة وقد تاطخت بالدماء الجميلة بالتراب ... أبدانا بلا روؤس ... فيها الله ما هذه الليلة ... » فلما بلغ الشيخ الى هذا الحد خفتة العبرات فمسكت واوغل في البكاء

الفصل الخامس والمائة

— الفرار —

اما سلى فلم يهالك عن البكاء وهي تسمع نواح الشيخ . ولكنها استغربت ما جاءه فيو من التعرض والطبيع ولم تفه ما وراءه . ولو علم الشيخ انها تسمعه ما صرخ لها يكثه ضمرين وقد صبر على كفاحه بضع عشرة سنة

ولم يلت الشيخ صامتا برقة وسلى ان توقيع ان تسمع منه شيئاً جديداً لعلها تستطلع حقيقة حاله . فلما هو قد يهض ثم ألتى نفسه على جلة الحسين وجعل ينبلها وبفرغ يدمهاها ويقول « ما اطيب ريحك يا حسين وما ازكي ترابك ... تباً لهم كيف يقتلونك وانت بقية خاتمة النبويين ... اسكنلنك الله اذا لقيت حجرًا ان تقربه السلام . وتخبره انني صبرت على قذلو صبر الرجال . وسأصبر حتى الحق يه ... واراه وقد أخذت بشاره ... وارجو أن لا أموت قبل أن أثال هذه النعمة ... وإذا لقيت جدك رسول الله أخرين هما فعل المسلمين بعدن . آخرين كيف فعل العظام بالصالحين ... قل له انهم انفسوا على الخلافة وباعوا الحق بالباطل ... ولا غرو فقد علم (سلم) بذلك وتنبهأ ... قبل وقوته ... وقد تزل القضاء ... »

ثم هض الشيخ عن الجائحة وقد تاطخ وجهه بالدم وازدادت طينة تبعدها واختلاطها . فرفع بصري الى السماء وبسط يديه وهو يقول « اللهم أنت اعلم بما فعل أولئك الادعاءه بآمن بنت شوك وائلوه ... اللهم أنت أعلم بما يناسو انصار الحق من الجبور العظيم ... اللهم أقول كما قال الحسين ان معهم الى حين فرزقهم فرقاً واجعلهم طرائق قددأ ولا ترض الولاة منهم أبداً . فانهم دعوا الحسين ليصرنو ثم عدوا عليه فقتلوا ... »

ولم تهد سلى تصير عن اظهاره نفسها فخزرت للوقوف ولم تك تتف حق رأت الشيخ ينظر اليها ويعطاؤل بعنونه ليترس فيها . فلما عرفها ذعر ذعراً شديداً كأنه رأى

مارداً من مردة المجان وصاح قائلاً «أنت هنا يا سلى ؟ ... » وغول مثل حل البصر
وعدا عدو القبي النافر يلهم النهاه
فناذته واستيقنه وهو لا يسمع ولا يصنى . فظلت واقفة حتى توارى عن بصرها .
فاستجعنت رشدتها ولم تستغرب ذلك التغير من الشيخ لعلها باطلاه من ذي قبل ثم
مشت نحو الجثث وهي تispers ما بين يديها من أيد مبتورة قد عزّرها التراب وبهام متورّة
أغفلها الرماه واشقت زائحة الدماء وقد انت بعضها واصعدت ريحها حتى أقبلت على
الجثث وكلها بلا رؤوس - والجثث بروسها ترعب قلب الطعام فكيف وهي على
ذلك الحال بين يدي فناء لم تعود النبال . ولكن سلى انا أقدمت على ذلك وقد
غلب عليها اليس فنفرت في تلك الجثث فلم تستطع التمييز بينها لاما تهيز بروسها
وتباهيا وهي عارية بلا رؤوس وأكها عرفت جنة الطفل المتنول لانها أصغرها جميعاً
فهمت به وقلبت واطلت ل نفسها عنان البكاء وتدكرت مصائرها وما يتعلّقها من أمر عبد
الرحمن وهي لا نعلم مصيره ولا أين هو . على ا أنها تذكرت قول الناسك يناثو حباً
ولكها حملت ذلك منه على رغبها في امتحانها لكي تدق معه . فجعلت تدب حالمها وما
فامنه من العناو والبلاء حتى استقرت الدمع

الفصل السادس والعاشر

رأس الحسين

ثم انتهت وخافت ان يشعر بها الخضر فلأرحت جنة الطفل فوق جثث اهل وقاالت
الوداع ايه الساكون بلا حراك ... الوداع الى يوم الحشر الريء ..
وعسى ان ان الحق يكم وانا حاملة خبر الانتقام لكم باذن الله » وفي انا ترجو ذلك بما
سمعته ساعتين من كلام الشيخ الراشد من هذا القبيل
ثم عاشرت الى الحيام حتى دخلت النسطاط فرأيت زينب في قلق عليها فاعذررت
بانفعها باسم نفسها

وفي ضحي اليوم التالي عاد عمر بن سعد بجهد الى الكوفة وساقوا معهم نماء الحسين
وجواريه وبناته سكينة وفاطمة واخرين زينب وابنة عالي المربي . وتكلمت زينب بنياب

حتى لا يعرفها أحد ومارت سلي معها متذكرة أيضًا حتى دخلوا الكوفة فرأوا أهلها يطلقون من الدوادن والكوى ليغادلوا بقية بيت الرسول . وسلى نافرنس في الناس من خلال الكتاب لعلها تجد عبد الرحمن أو عامرًا بينهم لأن قول الناسك يهناه عبد الرحمن حيًّا أحياً آمالها — فلم تر أحدًا . حتى إذا أقبلوا بهم على قصر الامارة مشت زبيب وسلى وبعدها بعض الجواري وجلسن في ناحية من النصر على مقربة من مجلس ابن زياد . وكان ابن زياد جالساً والناس حوله . ورأت سلى بين يديه رأس الحسين وقد تعثر وتلخصت شفتيه وبيان ثنياه وتلطخ شعر لحيته بالدماء والتراب حتى أصبح الشعر كثلاً مخمدة وإن زياد ينظر إلى الرأس ويتنسم وفي يده قضيب يضرب به ثنيا الحسين . ورأت بجانب ابن زياد شيخاً جليل التدر عرفت بعد ذلك أنه زياد بن ابرهيم صاحب الرسول . فلما رأه الشيخ يضرب بقضيب ثنيا الحسين قال له « ارفع قضيبك عن هاتين الشفتين فإنه الذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ) عليهما مالا أحبب » قال الشيخ ذلك وانسحب باكيًا

قال لها ابن زياد « أباكِ الله عينك ... أنتي لعن الله ؟ .. ولو لا إنك شيخ قد خرفت وذهب عمالك لضررت عنك »

فهض الشيخ من بين يديه وخرج

ثم أتته ابن زياد إلى النساء الداخلات فالتفت إلى زبيب وقال « من هذه التي أخازت وجسلمت ناحية وبعدها نساً لها »

فلم تجده زبيب

فأعاده ثانية وسأل عنها فقال لها بعض أمائها « هذه زبيب بنت فاطمة بنت رسول الله »

فهض ابن زياد حتى أقبل عليها . فلما رأته سلي مقللاً بالغت في التشفع لولا يعترضها . أما هو فسجدها من جملة جواري زبيب أو خدمتها فلم يلتفت إليها بل خاطب زبيب قائلاً « الحمد لله الذي فضحكم وقتلتموا كذب احمدوثكم »

فقالت زبيب « الحمد لله الذي أكرمنا بيبيه محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ) علينا أبا ينضح الناسق ويكتب الفاجر وهو غيرنا »

قال ابن زياد « كيف رأيت فعل الله باهل بيتك »

قالت « كتب الله عليهم الفيل فider زروا إلى مضاجمهم ولجمع الله بيتك وبينهم يوم

القيامة فيجاجون الـو وينتصرون عنك»
 فغضب ابن زيـاد واستشاط . فقال له بعض أهل مجلسـو « إـيـها الـامـرـيـرـ اـمـرـأـةـ لا تـؤـخـذـ بشـيـءـ منـ مـنـطـلـقـهاـ ولاـ نـذـمـ عـلـىـ خـطـائـهاـ »
 فالـثـفـتـ ابنـ زيـادـ إـلـيـهاـ وـقـالـ «ـ قـدـ شـفـيـ اللهـ نـسـيـ منـ طـاغـيـنـكـ وـعـصـاـهـ مـنـ أـهـلـ بـيـتـكـ »

فـلـماـ سـمعـتـ زـيـبـ ذـلـكـ الـكـلامـ اـحـسـتـ بـضـعـفـهـاـ وـرـقـتـ وـبـكـتـ وـقـالـ لـهـ «ـ لـهـريـ لـقـدـ قـتـلـتـ كـلـيـ وـأـبـدـتـ أـهـلـ وـقـطـعـتـ فـرـعـيـ وـاجـتـهـتـ أـصـلـيـ فـانـ بـشـفـكـ هـذـاـ فـنـدـشـفـتـ »
 فـقـالـ لـهـ عـلـىـ سـيـلـ الـهـكـ «ـ هـذـهـ سـجـاجـهـ وـلـعـرـيـ كـانـ أـبـوـهـ جـاعـاـ شـاعـرـاـ »
 فـقـالـتـ «ـ مـاـ الـدـرـأـ وـالـسـجـاجـةـ أـنـ لـيـ عـنـ السـجـاجـةـ لـهـفـلـاـ وـلـكـ صـدـرـيـ نـهـتـ لـمـاـ قـلـتـ »

الفصل السابع والعاشر

نـهـةـ الفـظـاعـةـ

فـهـزـ ابنـ زيـادـ رـأـيـهـ مـنـ الـهـدـيدـ وـتـحـولـ إـلـىـ مـكـانـ رـأـيـ فـيـوـ عـلـيـاـ ابنـ الحـسـينـ وـهـوـ لـاـ بـزـالـ مـرـيـضاـ فـقـالـ لـهـ «ـ مـنـ أـنـتـ ؟ـ »
 فـقـالـ «ـ أـنـاـ عـلـيـاـ ابنـ الحـسـينـ »

فـالـثـفـتـ ابنـ زيـادـ إـلـىـ مـنـ حـولـهـ وـقـالـ «ـ أـلـمـ يـشـلـ اللـهـ عـلـيـ بـنـ الحـسـينـ ؟ـ »

فـجـاهـهـ عـلـيـ وـقـالـ «ـ قـدـ كـانـ لـيـ أـخـ يـسـيـ عـلـيـاـ فـتـلـهـ النـاسـ »

فـقـالـ ابنـ زيـادـ «ـ بـلـ اللـهـ قـتـلـهـ »

فـقـالـ عـلـيـ «ـ اللـهـ يـتـوقـيـ الـإـنـسـ حـيـونـ وـمـهـنـاـ »

فـغـضـبـ ابنـ زيـادـ وـقـالـ «ـ وـبـكـ جـرـأـةـ جـلوـيـ ؟ـ وـفـبـكـ بـهـةـ لـلـرـدـ عـلـيـ ؟ـ اـذـعـبـيـاـ بـوـ فـاضـرـ بـعـنـهـةـ »

فـلـمـاـ سـمعـتـ زـيـبـ ذـلـكـ بـهـضـتـ بـهـةـ الـأـسـدـ وـتـعـلـمـتـ بـالـفـلـامـ وـاعـتـنـقـتـ وـقـالـتـ «ـ وـالـلـهـ لـاـ أـفـارـقـهـ فـانـ قـدـلـهـ فـاقـتـلـيـ مـعـهـ »

فـنـظـرـ ابنـ زيـادـ إـلـيـهـ سـاعـةـ ثـمـ قـالـ «ـ عـجـيـاـ لـلـرـجـ !ـ ..ـ وـالـلـهـ أـفـيـ لـأـظـهـاـ وـدـكـتـ أـنـيـ قـتـلـهـهـ مـعـهـ دـعـوـهـ فـانـ أـرـأـهـ لـمـاـ يـوـهـ ثـمـ قـامـ مـنـ مـجـلسـهـ حـتـىـ خـرـجـ مـنـ الـنـصـرـ وـدـخـلـ

المجده فصعد المذير فقال «المجيد الله الذي أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين بزيداً وحزبه وقتل الكتاب ابن الكتاب وشيعته» فقام أبو عبد الله بن عبيد الأزدي وكان من شيعة علي فقال له «يا عبد الله ان الكتاب انت وايوب والذى لا يك وابو» يا ابن مرjanة بقتل أولاد النبيين وثوم على المذير مقام الصديقين «
قال ابن زياد «علي» بـ «

فأخذته الجلوازة ثم قتلواه . وكان قتله فاضيأ على المعاشر بصرة أهل البيت
اما سلى فانها لم تذر لحظة عن الفرس في وجون الناس والشبع لما يصل اليها من
احاديم لعلها تسع شيئاً عن عبد الرحمن او عامر فلم تتف لها على اثر ولا هي قادرة على
الخروج الى المدينة للبحث عنها لانها معدودة من جملة نساء زينب ولا بد من ارسالها
معهن مخنورة الى دمشق . ولم يكن لها امل فيبقاء عبد الرحمن لو لم تسع الناس
بتقول بيتاً . على اتها حملت قوله على غرض الله فلم نصدقة - ولكن الانسان منظور
على التعلي بعمال الامال ولو كانت اوهى من نسوج العنكبوت
اما ابن زياد فامر برأس الحسين فداروا به في سلك الكوفة على رمح ولم يبق
احد الا رآه وفهم من شئت هؤولهم قاتلواه ولكن اكرامه ودوا ائمهم لم يقتلوه
لاشك ان ابن زياد ارتكب بقتل الحسين جريمة كبرى لم يحدث اعظم منها في
تاريخ العالم . ولا غرو اذا نظرنا الشيعة لقتل الحسين وبكل في كل عام ومزقوا جندهم
وقرعوا صدورهم اسناناً علية لانا قتل مظلوماً . ولكن القاتلون يعتذرون بهم فطعنوا
دار الفتنة ببنلو فلو ابقوه عليه ولو في السجن لما اموتها قيام شيعته وعصبائهم . ولو كان
وحده المطالب بالخلافة دون بزيد لكان مذبحه كربلاه فاضية ببنلو الجو لبني ابيه
ولكم حار بـ حروباً هائلة قبل ان يخلاص لهم الملك



الفصل الثامن والعاشر

سفر الى دمشق

وبعد ان طافوا بالأسواق في اسواق الكوفة اسر بزید جماعة من رجاله ان يحملوا رايس الحسين ورؤوس اصحابه ومن بقي من اهل بيته الحسين الى دمشق ليرى بزید رأيه فيهم ^(١). فحملوا الاصحاح وقاموا بطالعون الشام وسلى في جملة الاسرى لاتفاق زبيب وسکينة وفاطمة وكانت تعزية كبرى لهن . ولم يكن عالماً بمحاجة الا زبيب ولكن مصاها شغلاها عن الافتخار معها بامر عبد الرحمن وعمره ولم تخرأ سلى على فتح ذلك الحديث .
 وكان بزید بن معاوية بعد ان امر ابن زياد على الكوفة واوصاه بدفع الحسين لم يهدأ له بال وهو يذكر في حال هذه الشيعة وماذا عسى ان يأول ابو امر الخلافة لعله ان قاتل المسلمين مع الحسين . ولكن كأن شديد النفة بين زياد لما يعلمه من دهائه وشدة تو ودهاء ابيوز زياد من قبله . وكان يرجو ان يكون الان له كما كان الا بلامي . على الله لم يكن يتوقع بلوغ الشدة بين زياد حتى يفتلك بالحسين واولاده واهل بيته الى هذا الحد .
 وكان لا يتنك عن استطلاع الاحوال من برد عاليه من رسول ابن زياد حينها بعد حين . فعلم بهوض الحسين من مكة وقد دموه الى الكوفة ثم لم يهد بمع شهنا . حتى اذا كان في مجلسه ذات يوم وقد جلس الامراء والاعيان بين يديه و اذا بغلاء دخل وانباء ان بالباب رسول من الكوفة . فخفق قلب بزید لما ينوعة من الخبر الجديده فقال « ليدخل » فدخل رجل عليه اشارات السفر وقد تزمل بعباء تو واعنم ^{بـ} يكوفيتو فابتدره بزید قائلاً « من الرجل »
 قال « زحر بن قيس رسول عبيد الله بن زياد الى امير المؤمنين »
 قال « وما ورائك »

قال « ابشر يا امير المؤمنين بفتح الله ونصره »

فما بشير بزید واشرق وجهه وانسم وقال « بشرك الله بالخمر »

قال « اعلم يا امير المؤمنين ان الحسين بن علي ورد علينا في ثانية عشر من اهل بيته وستين من شيعته فسرنا اليهم فسألناهم ان ينزلوا على حكم امير عبيد الله بن زياد او

القتال فاختنار وإلقاء القتال «

فقال يزيد « وهل قاتلتهم »

قال « نعم يا أمير المؤمنين إننا عدنا عليهم مع شروق الشمس فاحتطنا بهم من كل ناحية حتى إذا أخذت السيف ما أخذها من هام اللوم جعلوا هرثون إلى غير وزير وبلدوون بالآكام والخنجر كلاماً لاذ الجحائم من صفر »

فصاح يزيد « بورك فيكم وشد ازدراكم »

فقال زهر « ثم والله ما كان الأجر بجزر أو نومة نائم حتى إنينا على آخرم ... فما بقدرها يزيد وقد بعثت وقال « وهل قاتلتهم جميعاً »

قال « نعم يا مولاي وهابتك أجسامهم مجرد وثيام مرملة وخدودهم معنة تصرهم الشخص ونسق عليهم الريح . ذوارهم العقبان والرخم يفاع مهسب »

فصاح يزيد صيحة قوية وقال « والحسين ؟ ... »

قال زهر « والحسين أيضاً »

فدعنت عيناً يزيد وأطرق وهو يقول « لعن الله ابن سيبة ... قد كت أرضي من طاعتك بدون قتل الحسين ... أما والله لواني صاحبة لعنوت عنة ... فرحم الله الحسين »
قال ذلك وإنما الرسول وأخرجه من مجلسه ولم يصله بشيء . (١)

الفصل التاسع والمائة

--- الندم ---

فخرج الرسول ويزيد لا يزال مطرقاً وقد اقطل حاجبيه وبيان الحزن في وجهيه .
وفيها هو في ذلك سمع رجلاً في صحن الدار يقول « جتنا برأس أحق الناس والأئم »
فصاح يزيد « ومن ينادي هذا الدار »

قالوا « هذا عذر بن ثعلبة ومرة جماعة يقولون إنهم جاؤوا برأس الحسين »

فقال يزيد « حسبي عذر ... والله إن ما ولدت أم عذر ألام وألحق به ... ثم

قال « ابن الرجل ؟ ادخلوا بو علي »

فادخلوه عليه ورأس الحسين على كبو وقد تصاعدت ريحه . فاقبل الرجل حتى وضع الرأس بين يدي بزيد على البساط ومنظره ينضر له القاتل وقد تكش جاه وتحمد شعره واختلطت رائحة الطيب برائحة الدم المتناثر وتغير لون الشعر ، خالطة من الدم والزراب . فلما وقع نظر بزيد عليه انشعر بدنه وتصور هول ذلك العمل الفظيع . وتذكر انه يرى راس ابن بنت الرسول فتخشع وتهبس

وما كاد ينظر الى الراس حتى خرجت اليه من وراء ستار امرأة متنعنة هي احدى نسائه واصها هند بنت عبد الله . فاستغرب القوم خروجها على تلك الحال وهم بزيد ان يسألها عن سبب خروجها فصاحت فيهم وهي تشير باصبعها الى الراس قائلة « يا امير المؤمنين أرأى الحسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله ؟ .. »

قال وهو يلتجئ بكلامه « نعم فاعولني عليه وحدمي على ابن بنت الرسول وصربيه قريش .. ثم جعل عليه ابن زياد فقتله .. فقلة الله ؟ .. »

فأخذت بالموبل والبكاء ثم ادخلوها الى خدرها . واذن بزيد للناس فدخلوا عليه والراس بين يديه وهو ينظر اليه ومعه قضيب ينكث به ثغره وبنول « ان هنا ايانا كما قال الحسين بن الحمام

ابي قومنا ان يصنونا فالنصف قواضب في ايانا نتعطر الدما
يملئن هاماً من رجال اعزنا علينا وهم كانوا اعن واظلا

وكان في جملة المحضور رجل من اصحاب الرسول امه ابو برة الاسلي فلما رأى بزيد ينكث ثغر الحسين قال له « انكث بفضيلك في ثغر الحسين ؟ .. اما والله لقد اخذ قضيبك في ثغر ماخذنا اربها وأتيت رسول الله (صلم) برشنة . اما انك يا بزيد تحيي يوم القيمة وابن زياد شبيبك ويحيي هذا و محمد شابعة » قال ذلك ثم قام وولى ^{١١}
فلما سمع بزيد قول الرجل نظر الى الراس وعيشه لازلان تدمعن وقال « ولله بالحمد من لو كثت انا صاحبك ما قتلتك » ثم التفت الى الناس وقال « اقدر ون من اين اتي هذا ولماذا قتل — لانه لا عالم ان الله اكرم بزيدا بالخلافة قال اتي علي ^٢ خيراً من ايد وامي فاطمة خير من امو وجدي رسول الله خير من جهة وانا خير

منه واحق بهذا الامر (الخلافة) منه . فاما قوله ابي خير من ابي فند تجاج ابي وابه الى الله وعلم الناس ايهما حكم الله له . واما قوله امه خير من ابي فلم يرني فاطمة بنت الرسول خير من ابي . واما قوله جده رسول الله خير من جدي فلم يرني ما احد به من باشة وبال يوم الآخر برى لرسول الله فيما عدلا ولا نادا . ولكن انا انا اتي من قبيل فقهو لم يقرأ قبل اللهم مالك الملك »

الفصل العاشر والحادية

فاطمة بنت الحسين

ف لما فرغ بزید من كلامه علم الناس انه انا قال ما قاله تخنيفا طول فعلبو . ولكنهم لم يحسن احد منهم على قوله فسكنوا . ثم سمع بزید جلة في الدار فقال « ما هذه الجلة » فقال غلامه « هؤلاء نساء الحسين في صحن الدار »

قال « ادخلوهن »

فادخلوهن وفيهن زينب اخت الحسين وهمها فاطمة وسکينة بنت الحسين وبقية النساء . وفي جهنم سلى . وكانت سلى مدقعة كسائر النساء فلم تكن تخاف ان يعرفها بزید وبالغت في الشعاع لاخفاء امرها ولكنها ما لبثت ان رأت تلك الناء حتى تذكرت يومها في دار بزید وموقف عبد الرحمن هناك فخجدت احزانها على اتها صبرت نفسها لئن ما يكون

اما سکينة وفاطمة فتطاولتا من وراء الناس لترى راس ايهما ويزيد يستعن عنها فلما رأيا الرأس صاحتا وصاح سائر النساء وولوت بنات معاوية وقالت سکينة وكانت اكبر من فاطمة « أين رسول الله سبابا يا بزید ؟ »

فاثرقوطا فهو فقال « يا ابنة اخي اني لهذا اكت اكره »

قالت « والله ما تركوا لنا خرضا »

قال « ما انى اليكن اعظم ما اخذ منكن »

فقام رجل من الحضور وهو من اهل الشام وقال ليزيد « هب لي هذه »

يعني فاطمة

فَلَمَّا سمعتْ فاطِيْه فُولَة ارْتَعَدَتْ فِرَاصَهَا وَعَلِمَتْ أَنَّ زَيْدَهُ يَرِيدُ أَنْ يَأْخُذَهَا سَيِّهَةَ شَفَاقَتْ وَامْسَكَتْ بِثُوبِ زَيْدٍ . فَالنَّاسَتْ زَيْدَهُ إِلَى الرَّجُلِ وَقَالَتْ « كَذَبَتْ وَلَوْمَتْ مَا ذَلِكَ الْمَكْ وَلَالَهُ »

فَغَضِبَ زَيْدٌ وَقَالَ لَهَا « كَذَبَتْ وَافْهَمْ أَنَّ ذَلِكَ لِي وَلَوْ شِئْتْ أَنْ أَفْعَلَهُ أَعْلَمُ »
قَالَتْ « كَلَّا وَافْهَمْ مَا جَعَلَ اللَّهُ لَكَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ تَخْرُجَ مِنْ مَلَكَتِنَا وَتَدِينَ بِغَيْرِ دِيَنِنَا »

فَغَضِبَ زَيْدٌ وَاسْتَهَارَ ثُمَّ قَالَ « أَيَايِ نَسْتَبْلُونَ بِهَذَا ؟ ... إِنَّ خَرْجَ مِنَ الدِّينِ أَبُوكَ وَإِخْوَوكَ »

قَالَتْ زَيْدَهُ « بِدِينِ اللَّهِ وَدِينِ أَبِي وَأَخِي وَجْدِي أَهْدَيْتُ أَنْتَ وَأَبُوكَ وَجَدَكَ »
قَالَ « كَذَبَتِي يَا عَدُوَّ اللَّهِ »
فَقَالَتْ « أَنْتَ أَمْرَنَا شَمْ طَلَّاً وَنَاهَرَ بِسَلَطَانِكَ ... »
فَاسْتَهَيَ وَسَكَتْ

ثُمَّ أَمَرَ عَلِيَّ بْنَ الْحَسِينِ فَادْخُلْهُ عَابِدَ وَالْقَلْ في بَيْهِ وَرَفِيقَهُ وَهُوَ غَلامٌ صَفِيرٌ وَقَدْ تَعَبَ مِنْ حَلُولِهِ عَلَى الْأَفْتَابِ فِي اِنْتَهَى الْطَّرَبِيَّةِ وَكَانَ الْمَرْضُ قَدْ فَارَقَهُ وَلَكِنَّهُ مَا زَالَ ضَعِيفًا مَهْرُولًا . فَوَقَتَ الْفَلَامُ بِيَنْ بَدِيَّهُ وَنَاهَرَ « لَوْ رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مَفْلُوْبَيْنَ لَفَكَ عَابِدَ »

فَخَبَّلَ زَيْدٌ وَقَالَ « صَدِقْتَ » وَأَمْرَيْتُكَ خَلْوَةَ عَنْهُ
فَقَالَ عَلِيٌّ « لَوْ رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بَعْدَهُ لَاَحْبَبَ أَنْ يَقْرَبَنَا »
فَأَمَرَ بِيْوَ فَقَرِيبَهُ وَقَالَ لَهُ زَيْدٌ « أَيْهَا يَا عَلِيَّ بْنَ الْحَسِينِ ... أَبُوكَ الَّذِي قَطَعَ رَحْيِيْ
وَجَهَلَ حَنْيَ وَنَازَعَهُ سَلَطَانِيْ فَصَنَعَ اللَّهُ يَهُ مَا رَأَيْتَ »
فَقَالَ عَلِيٌّ « مَا أَصَابَ مِنْ مَصِيرَةِ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْسَكِمُ إِلَّا فِي كِتَابِ مِنْ قِيلَ
أَنْ يَرَأُهَا أَنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرُ لَكُبْلًا تَأْسُوْعًا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَرْجِعُهَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ
لَا يَحِبُ كُلَّ مُخَالَفَةٍ لِغُورِ »

فَقَالَ زَيْدٌ « وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مَصِيرَةِ فِيهَا كَذَبَتِيْ إِلَيْهِمْ » ثُمَّ سَكَتْ عَنْهُ



الفصل الحادى عشر والمائة

خروج سلي

وكانت سلي في اثناء ذلك تنفس من شدة الغضب ونوقعت ان يأول الامر الى التضييق وتهيأ ل الدفاع باى وسيلة كانت . فلمارأت بزيد اسكنت هدا روعها ثم رأته يشير بيد اخراجهن من مخرجها بين الى دار النساء خافت ان يتضخم امرها هناك اذ لا تستطيع البقاء متنعة بين النساء فاختارت في امرها ولم تز خبراً من ان تشكو حالها الى زينب وتسخيرها لاتها كانت عالمة بمحكمتها مع بزيد

ف لما خرجوا هن من مجلس بزيد ودخلوهن دار النساء اقبل عليهن نساء معاودة وسائل اهل بيته و يكن معهن واقموا المأتم وسلن ظاهر بالانشغل وهي ترى نساء معاودة وبيهنهن تلك الجوز و تستدر بها و تنظر فرصة لخاطب زينب بالأمر

وفي ذلك المساء جاءها على افراد واستشارتها في امرها

قالت زينب « لانظفي اني نسبت حالي وقد كرت ولانا في بيته ونبي افكرا في امرك . فاعطلي يا بنتي ان يزيد اخبارنا في الاقامة حيث شاء وستختار الاقامة في المدينة فاذا شئت المقي معنا فاهلا بك ومرحبا »

قالت سلي « اني على ما شاهدت بامولاتي ولكنني ما زلت آملة ...

... » ويكت

فادركت زينب اعها تزيد اهلها بعد الرحمن فقالت « لا قطع الله لك املا ... » وسكنت لاتها لا تدري ما أكل اليه حال عبد الرحمن وعمر بعد مسبرها الى الكوكة وان كانت ترجع موتها . وبعد السكوت برهة قالت زينب « ذلك امر منتظري فيه بعد خروجها ولكنني لا ارى بناهك هنا الا خطراً »

قالت « وانا اراه كذلك فهل تاذرين لي بالخروج الى القوطة فاقيم في دير خالد ربها تخرجون فاكون معكم ان شاء الله » وهي انا اختارت الدير لكي ترور قبر والدها وتبكيه من اخرى

قالت زينب « لقد رأيت رأياً حسناً . امكثي هناك حتى تخرج »

ثم ظهرت زينب بأمر ترددت سلي بواله خارج النصر وأخرجتها منه مفرحة وهي كالصانعة الثانية الرشد لفروط ما هاج من انجامها هناك اذ ذكرت كل ما فاسدة من الاحوال في ذلك المكان . فلما أصبحت خارج النصر سارت في اسواق المدينة نطلب الفوطة حتى اذا اشترت رائحة اليسانين وقع بصرها على تلك الفياض تذكر حالها مع عبد الرحمن وتذكر احزانها فسارت توًّا نفس قبر والدها وقد اشتد بها البأس ولم يجد ترزي في الحياة لذة

الفصل الثاني عشر والمائة

الدب

وكانت الشمس قد مالت الى الغروب فترددت سلي بين ان تحول الى الدبر او تسير الى قبر والدها والليل قريب . فاشتد بها الشجن وساقها خطواتها الى تلك الجحارة وهي لا تعلم حتى اطلت على المكان وقد غابت الشمس فارعنت الى القبر والتلت نفسها على التراب واخذت في البكاء والتحبب وهي لا تزال يهدها من الطعام المقابل . وما زالت تبكي حتى بللت ذلك التراب وجعلت تدبب والدها بصوت رخيم قد اضعله التعب وتقول « ولاء يا اباء قم وانظر الى فناء خلتها وخلفت لها اللئاء وحملتها فوق ما تحمله النساء .. شبيث وشب معي حب الانتقام .. ولكن وأسناه لم اجد الى الانتقام سيلآ .. قم وأنظر ما جرى .. انظر الى فناء عاشت بيته حر بيته لم يكن لها من معدات الحياة الا حبيب يحيى وقد بدل نفسه من اجل الانتقام لك .. وألكنه والهي عليه لا أدرى ما آل اليه امر .. آه من يهيني يهقاني حيآ فاسيء اليه .. ولكن اني له الحياة وقد كتب القتل على الصالحين والابرياء .. هل خطر لك يا اباء ما كنت في قيد الحياة ان الناس ينتقمون على الحسين ابن بنت الرسول وبقتلوه ويحملون رأسه من الكوفة الى البصرة وقد تغير وتصاعدت ريحه ويتركون جثته طعاماً لغربان كربلاء؟ .. هل خطر لك ان الشهرين اللذين قبلهما الرسول تصجان العوبة بين يدي بزيد بن معاویة وعبيد الله بن زياد .. آه يا ابني على اهل ذلك البيت كيف سفكت دمائهم وقطعت رؤوسهم وتبددت ابدائهم .. فاحرقوا قلوبكم على الحق كيف دامت الظالمون بأقدامهم .. لا

أظنني اذا استشرتك في البقاء على هذه الحال الا ناصحاً لي ان اموت والحق بك ...
وهل لي غير الحق بك سبلاً الى الراحة ؟ ... ففي الامر ومات الحسين ومات ابيه
وابناءه اخوه وسائر اهله معاً ... سقط عاد بيت الرسول . ذهب الحق ضحية الباطل
..... فهل من اسف على فتاة حنورة مليء ... »

قالت ذلك وهي جائبة فوق القبر ثانية ترايه بين كنفها وتستنشق ³ رائحة
مل حبايشها . ثم التفت الى ما حولها فاذا هي متفردة في ذلك الميدان وليس حولها
غير الاشجار بلا اظلال لتكاثف الظلام . فارتعدت فرائصها واشتعلت بالخوف عن
المزن ومحكت صامتة وهي لا تتوجه غير طين البعض وحشرة الخنافس وحريف الورق
اذا هبت الريح . فندمت على مجيئها في ذلك الليل وجعلت تسمع عينيها بهكمها وتنفرس بما
يحدق بها فلا ترى لظاهرها مفرجاً لشدة الظلام . واعاظم بها الخوف حتى لم تعد تستطيع
الحركة لولا تسمع صوت خطاياها فترتمد .

وفيا هي في تلك الحيرة تذكرت ليلة زارت ذلك القبر ومعها عامر وعبد الرحمن .
وتصورت عبد الرحمن واقفاً امامها وخرج يده يعهد بقتل بزيد . فاختلط قلبها في صدرها
حتى كادت تسمع صوت خلقها وعادت الى المزن وعاد اليها الباكي فقالت « ابن
انت يا عبد الرحمن يا حبيبي يا ابني عي ياخطيبي يا امي وسعادي ... كفت قافعة من
الدنيا ببقائك ... انت امي انت سدي انت مهني انت حيتي ... اين انت
يا عبد الرحمن ؟ ... هل انت حي بعد ؟ ... هل تسمعني اذا تاديتك ؟ ... انك
تحسبي ميتة وانا حية . هل لك من يخبرك ببقائي اذا كنت في عالم الاحياء ؟ ... يجب
ان تكون حيآ ... لا لا ... انت لم تمت ... كيف تموت ؟ ... كيف ي فعل ذلك
الجسم ... كيف يصدر تنفساً ... هل تجسر الديدان على الدنو من ذلك البدن ...
الا يهوي الدود من قائمتك ... يا احب الناس الي ... عبد الرحمن ...
عبد الرحمن ... قل لي هل انت حي ... فاحب الحياة من اجلك ... ام انت ميت فاسرع
في الخلاق بك نعم انت حي ... اين انت ؟ ... »

ثم اجهلت بفترة ومسحت عينيها بطرف كعبها ونباعدة وهي تتول « ويلاه ماذا
أرى ... أرى عبد الرحمن واقفاً امامي وعياه شاخصتان الي ولكن لا يكلني ...
تكلم ... عبد الرحمن ! ... كلمني تقدم الي انظر الي دموعي قد بللت
الثري ... عبد الرحمن تعال يا حبيبي ... وبلاه وأسنانه ... اتها اضغاث

احلام .. اني لا ارى احداً .. ام انا ارى روحًا؟ روح حبيبي عبد الرحمن تجلت
لي .. جديتي ياروح عبد الرحمن او خذنبي اليه
ثم سكنت لحظة ربيها ارتاحت وعادت الى البكاء وهي تقول «كيف لا يتلوكه
وقد قتلوا الحسين وأولاده .. قتلوا .. نعم قتلوا .. لام ياتلوك» ثم
التفت نحو السماء فتراءت لها النجوم من خلال الاغصان فقالت «لقد تعودت ان
اسمع مناجاة الارواح في هذا المكان .. هنا سمعت اهانات يقول وبشر الذين ظلموا
بعذاب اليه .. ويلاه اين ذلك العذاب؟ .. الله عذاب ولكنني لي انا
التعيسة .. الشقيقة» ثم اوقلت في البكاء وهي تلقي بذلک التراب وتسقى شفقة
فهافت وجهها ورثي بها ورثي بها وهي لا تدري حتى انهكها البكاء واخذت الشعب منها ماخذها
عظيمًا فانهيت لنفسها وودت لو انها اجلت تلك الزيارة الى الامام ونظرت الى ما يحيط
بها من جوش القلام فعاد المخوف اليها وصاحت واستكفت فاحسست كأن جماعة من
الناس وقف حولها يجدرون فيها بابصار كالنار . ثم جمد الدم في عروقها وكل شيء حولها
ساكن حتى الموت .

الفصل الثالث عشر والمائة

الربع

وفيما هي في تلك الحال وقد امسكت نفسها ثلثاً يذكر ذلك السكون واصبحت
كالمجاد لفترط خوفها ووحشتها سمعت سعالاً قوياً فوثبت من مكانها بالرغم عنها وصاحت
صيحة الرعب ولم تك تتحقق جهة الصوت حتى رأت شيئاًقادماً اليها من وراء شجرة
بالقرب من الجوزة فصاحت «ولاه من انت .. من انت .. من الجن أم
من الانس .. خف من الله وابعد عني»

ولم يتم كلامها حتى سمعت فائلاً «يقول لا تخافي يا سلى يا ولدي لا تخافي»
ضيادر الى ذهابها الاول وهلة ان والدها قام من القبر ففف شعرها واقشعر بدتها
ثم دنا الشبح منها فادا هو الشيخ الناسك . فلما عرفته وقعت متشائماً عليها فانهضها
وجعل برؤح لها يديه وهو حتى أفاق فقال لها «سامعيكي يا سلى على هذا السعال

فقد حدث بالرغم عني وما كنت مزعجك الاً مكرهاً» فتشددت وجلست وهي تقول «ابن عبد الرحمن ... قل لي أينما الشيخ - ان كانت فيك كرامة ... او ادفني في هذا التراب الاَن ... ادفني اقتلي ... »

فلم يجدها الشيخ الاَ بالبكاء بصوت عال وكانه اصبع بيته : وتركها وجعل يحشو التراب على وجهه ويسكي بكاء الطبل ول يقول « يا حبيبي يا حبر ... مت » في سبيل نصرة الامام علي ... قم وانصر ابنه الحسين بل قم وانكروا بيك أولاده وسائر اهله فقد ماتوا جميعاً ... هبنا لك انك جالس معهم الاَن في دار البقاء »

ف لما سمعته سلى يتول ذلك ورأى حالتها نسبت لنسها وغورت . في أمره وتذكرت ما سمعته منه ليلة مقتل الحسين في كربلا ، فازدادت حزنه وودت ان تعرف ما بعدة على ذلك فقالت « من انت اينما الشيخ ... قل لي وافرج كوني من انت ؟ »

ف لما سمع كلامها غيرت حالة وسكت كأنها ندم على ما فرط منه ثم تجد وفال لها « انك تسألياني عن امر ليس من شأنك يا سلى ... اسكنني وايكي ما شئت ... »

وإذا شئت ان تعطي من هو الشيخ الناسك خالقك تعلمون ... سألي ساعة يكتشف بها امن وارجو ان لا يكشف الاَ كا يريد هو »

فسكتت سلى وخافت ان يبدو منه ما لا تريه ثم ارادت ان تغير الموضوع فقالت « اخبرني اين هو عبد الرحمن ... هل هو حي كا قلت لي ؟ ... »

قال « لا اعلم ... ولو علمت ما كنت لا قول لك لانك لا تصغيين الى قولي »

قالت « قل ... بالله قل ... اني مصابة »

قال « انتملين كا اقول لك ؟ »

قالت « نعم افعل كل ما تريه ولو قلت لي ادفني نفسك حية للعلت »

قال « لا اقول ذلك ولكنني اطلب اليك ان تتركي هذا العالم وتأتي معي الى در

نقم فيه لا نرى فيه الناس ولا نسمع بهظالمهم »

فيما ذلك الاقتراح صدمة قوية على قلبها فقالت « وعد الرحمن ؟ »

قال « قلت لك لا تسأليني بل افعلي ما أقول لك ... »

فسكتت وقد تغيرت بادا تحيجه ولكنها عولت على الاصحاء لتوله فقالت « واي

دير تريد أن نقم فيه ... أنقيم في هذا الدير ... »

قال « كلام لا نقم في هذا الجوار انا لم نجد فيه مدخلاً هاماً بنا الى دير بمحرار في

بصري وإن كان يعز علي أن أفارق هذا القبر » قال ذلك وأخذني صونه
قالت « وابن هو هذا الدير »

قال « هو على بضعة مراحل من هذا المكان في جهات البناء »

الفصل الرابع عشر والمائة

الرحيل إلى الدير

وكان سلي قد استأنست بالناسك وذهب أخبارها وخوفها ولما آتت انعطافا
إليها وبكماءها على والدها زاد استئناسها به وتوسعت فيو شيئاً ترجو أن يخرج كرها
ولكنها ما زالت في ريب من أمره ولم تخسر على استئناسه عن حقيقة حاله بعد أن سمعت
ما سمعته من تبعه على أنها عولت على استطلاع ذلك في فرصة أخرى

فلا رأت تعويلاً على السفر إلى بصري ولا إقامة في الدير شق عليها إلا زواه
الدبور وهي في ريمان الصبا ولم تدق راحة مند فتحت عينيها ولم تدل غير النشل في
مناصدتها . وأعظم ما أصابها ضياع حبيبها ولو لا انتظار الانسان على الامل ولو في الحال
لقطعت يهوته قطعاً باتاً . ولبيت برهة تذكر في سفرها إلى بصري وتتردد في ذهابها أمر
خطيبها وقد علمت من زبيب أنه سار إلى الكوفة فكيف نعلم الدير وهي لم تستوثق من
وجوده هناك أو عدمه

فلا رأها الشيخ ساكنة قال « ما الذي يحول في خاطرك يا سلي .. اذهب
تتردددين في سدرك إلى دير بمحرار ؟ وكأني بك تتولون كيف أسرى إلى بصري وقد تركت
عبد الرحمن في الكوفة — فاعلي يا سلي التي لو لم أيام من وجوده هناك ما دعوتك
إلى ذلك الدير . أو لو علمت ابن هولوفي الصين لتصدنه كما قصدتك حتى لقيتك هنا »
قال ذلك وصونه يبلغ لجاج كأن البكاء يعيشه عن الكلام

فلم تردد سلي من ذلك إلا أستألاها كانت لا تزال حالفة الذهن ببقاء عبد الرحمن
في الكوفة — فإذا لم يكن هناك فابن يكون ؟ فازداد باليماماً وقلقاً فلم تجد بدلاً من
تسليم قيادها إلى ذلك الشيخ وهي تعتقد حسن قصد وصدق غيره في سبيل الأمر الذي
يُقامت في لاجلوه . على أنها لولا بقية أهل فيها بالقاء عبد الرحمن ما فضلت مكاناً على الدير

او القبر . . ثم قالت للشيخ « وهل اترك بقية بيت الرسول وقد فارقت زينب على
ان انتظراها هنا ريثما تخرج مع اهل بيتها الى المدينة فاسير معها »
قال « لا ارى ان تسيري معهم فند كذاك ما لاقيتو من الاموال في رفقهم تعالى
الى دير مجهراه فانه ذو كرامة ولنتم هناك حتى يأتي الله بالمرج »
قالت « اني فاعلة ما تزيد والاتكال على الله ولكن ابن نبيت الليلة ؟ »
قال « نبيت هنا ولا خوف علينا وبالبلاد في امان . . نامي انت وانا ساهر لاني قد
شت طول المار »

وباتا تلك الليلة وصلت في بحر من الموجين لا تدرى ما يصير اليه امرها
فلما اصبحا قال الشيخ « اعلى يا بنية ان طربتنا من هنا الى بصرى كثير الوعر
ولا بد لنا من قطعه على اقدامنا »

قالت « لا يهمني ذلك فما انا اولى بالراحة منك وانت شيخ وانا صبية »
قال « اعلى انا ستصير بضعة ايام نحو المحبوب حتى تقبل على بصرى مدينة الروم
ومركب نجارة بلاد العرب » . . فسكنت ولم تخسب ومهى سكونها ايه لا زاجحة في امرها
فقال لها « امكثي هنا ريثما اعود اليك »
فتركها ومضى ثم عاد ومعه جراب فهو زاد وفاكهه فتناولها وقال « هنا طعام
يكفيها يوماً كاملاً ورزق اللذ الى اللذ » فاكتلت

الفصل الخامس عشر والعاشر

— بصرى —

وبعد مسير بضعة ايام سيراً بطريقها اشروا على مدينة بصرى (وهي غير البصرة في
العراق) نحو العصر وكانت على قدم تعبت واستوحشت وتغيرت حالموا ولم تذهب صورة
عبد الرحمن من ذهابها . ولكنها لا ترى سبيلاً الا ولامها لا تعلم منه . وكانت قد
استسلمت الى الشيخ الناسك لاعتقادها انة انا يسير بها الخير وانه ذو كرامة وما تحيبه
يختلق خطوة الا لغرض مقدر تنفعه
فلم اطلأ على بصرى وهي اكبر مدن حوران في ذلك العهد انتهت ملي لعذبها

وعرائها وخصبها في تلك البلاد الجرداء التي يندر فيها الشجر ولا اثر فيها الخشب
ورأت خارج المدينة من جهة الغرب بحراً لامعاً بما يعكس عليه من أشعة الشمس
فسألت الشيخ النايك عذة فقال «ما هو بحر يا بنيه وإنما هو حوض كبير هزت
البصر بون مياثم فيو آمان الشهاد، ليستقي منها في الصيف وهو عباره عن خزان المياه
طولة نحو ١٣٠٠ زراع وعرضه ٥٥٠ زراع وكان لبصري أحواض أخرى تهدى
ثم قال «اعلى يا سلي ان يصرى مدينة قديمة عاصمت دول اليهود فاليونان
فالرومان وفيها آية رومانية ويونانية وسريلانية»

فاللهم سلي الى تلك المدينة والشيخ واقف بجانبها فاذاك هي بدعة الانتظام يكتنها
سور بزيد محاطة على أربعة أبواب وبحيط المدينة غياض وبساتين طابع الاشجار
والاثمار، ووراء ذلك سلاسل جبال حوران في عرض الافق، ورأت لون آية
المدينة مغيراً كلها تلوث بالدخان فنالت «وبالذى غير لون هذه الآية»
قال ذلك هو لون اتجاه هذه البلاد ذان فيها بحراً اسرى يسمونه البحر الحوراني هنا
لونه وما يزيدك عيناً ان آية حوران لا يدخل في بناها شيء من الخشب وإنما يصنعون
ستوف يومهم واجفنه أيامها ونوانذهما من البحر الصد

فاشتاقت سلي الى التزول للمدينة لمشاهدة اسوانها فقال لها الشيخ «اذا اردت النزول
الىها فما نازل معك لاني كما قلت لك لا آوي المدن ولا امر بها . وردد على ذلك
اني اعرف هذه المدينة كما اعرف بيتي فقد زرتها غرمرة ولانا شاب وكتب على دبر
الصرانية وزرت كاهها وحمامها وشوارعها وقصورها فاذاك هي من اعظم المدن
وربما سمعت لك الفرصة بعد حين يشاهدها واما الان فتعالي معي الى الدبر

الفصل السادس عشر والهاية

— دير بحيراء —

فلا سمعت قوله انه كان على دين الصرانية في شبابه ترست في حدتو فرأته يشبة
ان يكون كديباً من قبيلة ابيها لان كدة كانوا نصارى حق جاء المسلمين بلادهم فاعتنيطا

(١) اذا ثنت الاطلاع على تفصيل وصف بصرى اقر الجزء الاول من رواية فناة خان

الاسلام وزادها ترجيحاً ما رأته فيو من الدبر على أهلاها والاتصال لهت على . و لم يزدها كل ذلك الا حيرة وشكراً وهي مع ذلك لا تستطع مخاطبة الشيخ في هذا الموضوع لفلا يغضب فلم تر خيراً من الصبر حتى ينافي لها استطلاع الحقيقة
 أما هو فقال ما قاله وسار فسارت هي في اثره حتى اشرفا على الدبر فاذا هو بناءان احدها كبير وفي قبة فوقها صليب سلی اتها كيسة والآخر صومعة على راية . فمشيا نحو الكنيسة فلما اقبلوا عليها نظرت سلی في بناها فرأيتها مبنية على النسط الروماني واسها كيسة بمحيراء . فدخلوا صحبها حتى جاءوا الريعة فربا المكان ديراً وفيه كيسة وشاهدوا الرهبان والتسوس وكلم من الروم يتكلمون اللاتينية وبعدهم اليونانية والسريانية المزروحة بالعبرانية وهي لغة تلك البلاد بعد السبي

قالت سلی « مالي أرى الناس هنا اخلاطاً من لغات شق »

قال « لان بصرى يا ابتي عدد الصارى مركز استنباط بلاد العرب الكبرى وفيها يقيم رئيس الاساقفة ومنها يرسل الاساقفة الى الآفاق »
 قالت « وإن دير بمحيراء »

قال « هذا هو الدبر الان واما المكان الذي كان يقيم فيه الراهب بمحيراء فهو صومعة بجانب الدبر » . قالت « هل بما ابو »
 فخرج بها والرهبان لم يلتفتوا اليها ولا استغربوا حالها لان الدبر ملتقى الغرباء وفيهم المراكب والمهاجر ونمسافرون والمرتضى وأهل النور وغيرهم
 فلما خرجا من الدبر التفت سلی الى الصومعة فاذا هي لا تشبه الابنية ولا صدقت اهبا بناء لاهما عبارة عن خمسة أحجار ضخمة أربعة منها للبدران واحد للسنف والباقي حجر واحد مرتكز على مصراع يفتح ويغلق بسهولة . فاستغربت سلی تلك الصومعة فقالت « ما هذه الصومعة يا سيدى »

قال « ألم أقل لك أن هذه البلاد عذبة الاختبار واهلاها يصنون ابواب يومهم واحدة ثم اذا تم ومتلاطم ومتضائم وسائر آنية القبور والرقاد من الحجر . وقد يتعلون ذلك ولو كان المترجل مؤلفاً من عشر غرف او عشرين فانك لا تجدين فيو اثراً للخشب » قال ذلك ومشي امامها وعказبه يده وهو على ما وصفناه به من ارسال الشعر وعليه رداً القديم وساررت هي على ابن حقي دخلا الصومعة فلم يجدها فيها من الآنية الا مصباحون معلقين امام صورتين احداهما ثلل مرم العذراء والاخري ثلل السيد المسيح

وهناك صور أخرى لم يعرفاها ولم يجدوا في الصومعة أحداً
فلما دخلت سلي تخفعت وندكرت حاما فقلت للناسك «هـ إنـا آآنـ في دـيرـ
بـحـورـاـ» فـكـيفـ تـرىـ آنـ تـكـونـ أـقـامـتـاـ فـيـهـ »

قال «إنـ فيـ الـدـيرـ الـذـيـ خـرـجـاـ مـنـ الـآنـ غـرـفـاـ يـقـيمـ فـيـهـ الـمـسـافـرـوـنـ وـالـدـيرـ يـقـدـمـ
لـمـ ماـ يـجـنـاجـونـ الـبـوـ منـ الـأـطـعـمـةـ مـجـانـاـ فـتـبـيـعـيـنـ أـنـتـ فـيـ غـرـفـةـ وـاـنـاـ اـقـيمـ فـيـ هـذـاـ الـبـسـتـانـ
بـالـقـرـبـ مـنـكـ فـخـبـيـعـ فـيـ اـنـاـ الـهـارـ وـنـازـرـ فـيـ الـلـهـلـ فـتـبـيـعـيـنـ أـنـتـ فـيـ الـدـيرـ وـاـنـاـ اـيـتـ
فـتـحـ الـشـجـرـ لـاـنـ عـادـتـ اللـهـ عـلـىـ ذـلـكـ كـاـنـعـلـيـنـ »

فـاطـرـتـ سـلـيـهـ هـنـيـهـ ثـمـ فـالـتـ «وـلـكـنـيـ لـمـ اـرـ فـيـ الـدـيرـ نـسـاءـ» فـكـيفـ اـقـيمـ وـحدـيـ »
قال «فـيـ الـدـيرـ نـسـاءـ كـثـيرـاتـ وـاـكـثـرـهـنـ يـخـدـمـنـ فـيـ اـعـدـادـ الـطـعـامـ وـغـسلـ الـلـيـابـ »
قالـتـ «اـوـيـ اـذـاـ انـ اـجـعـلـ نـسـيـ فـيـ جـمـلةـ خـادـمـاتـ لـكـيـ يـكـوـنـ فـيـ اـقـامـيـ
فـائـنـ »

قال «لـنـدـ رـايـتـ رـأـيـاـ حـسـنـاـ وـاـنـاـ اـخـاطـبـ رـئـيـسـ الـدـيرـ بـشـانـكـ »

الفصل الرابع عشر والمائة

الأخـتـ مـرـيمـ

وـخـرـجـاـ مـنـ الصـومـعـةـ وـسـارـ الشـيـخـ النـاسـكـ إـلـىـ رـئـيـسـ الـدـيرـ وـقـالـ لـهـ «اـنـيـ وـاـيـنـيـ
هـنـ تـرـيدـ أـنـ تـقـيمـ بـقـيـةـ حـيـاتـاـ فـيـ هـذـاـ الـدـيرـ نـعـدـ اللـهـ وـنـخـدـمـ عـبـادـهـ وـاـنـ شـيـخـ نـاسـكـ
لـاـ آـوـيـ الـبـيـوتـ وـلـكـنـ اـبـيـ هـنـ تـرـيدـ أـنـ تـكـوـنـ فـيـ جـمـلةـ خـدـمـةـ الـدـيرـ فـيـ اـعـدـادـ الـطـعـامـ
وـنـظـيـفـ الـغـرـفـ قـلـ تـبـلـوـنـاـ ؟ـ »

قال «اـهـلـاـ بـكـ وـمـرـحـيـاـ »

« يـأـنـطـاـ سـلـيـهـ بـثـوبـ تـلـبـسـةـ خـادـمـاتـ الـدـيرـ فـلـبـسـتـهـ وـهـوـ لـاـ يـنـضـيـ عـلـىـ لـابـمـ بـشـروـطـ
الـرـهـيـةـ وـاـنـاـ يـأـنـضـيـ عـلـيـهـ بـقـيـةـ الـدـيرـ بـجـانـاـ»ـ ثـمـ سـلـوـاـ سـلـيـهـ إـلـىـ الـقـيـمةـ الـدـيرـ فـرـجـبـتـ هـاـ وـأـعـجـبـتـ
هـاـ شـاهـدـتـ فـيـهـاـ مـنـ الـجـمـالـ وـالـهـيـةـ وـمـاـ نـوـحـةـ فـيـ عـيـنـهـاـ مـنـ الذـكـاءـ وـسـهـاـ اـسـهـاـ جـدـيـداـ
عـلـىـ الـعـادـةـ الـجـارـيـةـ فـيـ مـثـلـ هـنـ الـحـالـ فـصـارـ اـسـهـاـ مـرـمـ وـلـمـ يـضـعـ قـلـيلـ حـتـىـ أـحـبـهـاـ كـلـ نـاسـ »

الدبر ورجاله وكلم معجب بما آتته من تعليها وصدق خدمتها وقد زادها الانقباض والسكوت هيبة ووقاراً وأصبحت بعد حين مرجع مشوارهم وزهرة جمعياتهم ولم يكن يضفي يوم لا يأتي الدبر فيه وفود الأضيفاف من أبناء جزيرة العرب والعراق والشام وفيهم أهل التجارة وأهل السياسة وأصحاب النذور ونحوها . ولتحببت الاخت مردم بضرب أمثال أهل الدبر بأسمائهم بالرزانة والتغفل

أما هي فكانت تجد في تلك الخدمة راحة عن مشاغل العالم وأحياناً بسعادة لم تكن
شعر بثقلها من قبل لولم يكن يعترض سعادتها تذكر عبد الرحمن وما مرّ بها من
الحوادث الغريبة . وبقايا الأيام كادت تنسى كل ذلك إلا عبد الرحمن فان صورته لم
تكن تذهب من خيلتها ساعة

وكان اذا احتجت بالرهان ودار الحديث على الاحوال العمومية
سمعت طعناً قوياً يزید وسوه تصرفه وما يرتكبه من شرب الخمور والانسغال باللهو
والطرب وضرب الطنا بررتيرية الفرود . وكانت اذا سمعت ذلك يتبين فلها وتنقول
في نفسم « لا يصلح الحاكم الا اذا أتيح له الاطلاع على سرائر رعيته وما يتولونه عنه في
بعالهم المخصوصية من افتقاد اعماله وما ينادون به ضحاياهم بشأنه . وهو اذا أتيح له ذلك
لا يتحقق على غيره ولو مها بلغ من حمته وجاهته كذلك كان يفعل عمر بن الخطاب
ذكراً يذكر ويختلط الناس فسبع ما يتوله ضحاياهم وصبيانهم وشبانهم وكبارهم ويتذر
ما يسمعه من الانفداد فوصلح خطأه فويصلح المظلوم ويضرب على ايدي الظالمين فماعنه
ذلك على تشديد عملة الاسلام ونقوم دعائهما على العدل والحق واما يزيد فإنه
انشغل بنسائه وخموره واستند في ابناء الرسول واضطهد اهل بيته حتى كاد يودي
بالاسلام وال المسلمين كاد يهدم بناء ائمة المخاتمه الراشدون على كتاب الله وسنة نبيه
ولو انه مني يناس من ارباب شوراء بعلمه على حقيقة حاله وما يتوله الناس عن
حكومته وما يشكونه من ضعنوا وإهاله لاضطر الاصلاح جهد طافتو - ولعل الله اراد
ذلك استدناه لاجله حق يخرج هذا الامر من يلا والله على بصیر



الفصل الثامن عشر والمائة

زیارتہ بیز پد

قضت سلى في ذير مجرها سنتين وبعض السنة وهي على تلك الحال والشيخ الناسك
معها حتى انت الوجهة وكانت تنسى مصائبه المولا ذكرى عبد الرحمن . فانها كانت اذا
ذكرته استغرت في التأملات فينزل لها احياناً انه لا بزال حياً فيجدد املها بلياه ثم
لا يلبث ذلك الامر ان يضخل من غولها فتعود الى البقاء عليه في خواهها والشيخ الناسك
لا يشفي غليلها بغير صرع او بباء صحيح

وأصبحت ذات يوم فرأت أهل الدبر في هرج ومرج وقد أخذنا في تربين الأبابا
والتوافد ومد الأسطلة وذبح الذبائح فسألت عما دعائم الى ذلك فتول لها ان المخينة
قادم الى حوران ولا بد له من المرور بالدبر والإقامة فيه يوماً او يومين . فلما سمعت
ذلك اخراج قليها في صدرها وتذكرت الشجاعها فانقضت نفسها ولم تر لها مخرجآ من ذلك
الا بخلافة الشيخ الناسك . فلما أقبلت عليه رأته جالساً تحت شجرة وعكاشه يهدى ينكت
الارض بها وقد بالغ في الاطراق كأنه يذكر في امر ذي بال . فلما دنت منه رفع بصص
اليها وعيناه شللاً لآن كأنها شعلتان وبادرها قائلاً « ان الطريقة اوشكك ان تقع في
الغُصْقُول قلت متيك هذه المرة ؟ »

فشعرت سلي للحال بخدد آمالها بالاعتقام ولم تهالك ان اجابت «ارجو ان لا تنتلم
فالله المستعان»

قال «اعلي يا سلی ان يزیداً قادم الى الدبر في مساء هذا اليوم وعینم هنا
ليلة ربنا يستريح ثم يشخص الى حوران . فاذما استطاعت امراً يتسبينا مصائبنا واحزاننا
غافلتك تتجاهن كـ مـاتـفـعـنـ عـهـ طـانـ المـلـكـ شـلـاـكـيـاـ»

فاطرقت سلی هیبه ثم قالت « اني فاعلة ذلك باذن الله ... ولكن هل يسعدي
المخل بعد ذلك بلانيا عبد الرحمن؟ »

قال « اذا نجحت في قتل هذا الرجل فانك غبيون عبد الرحمن وثانية من
يدين الاموات »

فأقشعر بهما وقالت «إذا أنت واثق بيوبته ..؟»

قال «كلاً وإنما أرجو أن تعمي العمل بالواجب عليك والله نصير المظاهرين .
وإذا كُنْبَ لِكَ لَنَا ، عبد الرحمن في هذه الدنيا فانك تلقيه ظاهرة وتعيشان سعيدين
وألاً فانك تلقيه في الآخرة وقد اتفقت لايك ولاهل البيت وذلك بكنيك »
وارادت ان تحيي فسمعت الناقوس يدعوا الرهبان وسائر اهل الدير الى العمل
فيهم بالرجوع . فناداها الناس «هللي يا سلي » وتناول طرف ثوبه وفيه عذبة
حلها واستخرج منها ورقة ومد بها وقال «خذلي هذه الورقة فان فيها دواء الظلم
اذا شربه يزيد شيء الاسلام من داؤه »

فعلمت الله سُمُّ فتناولت الورقة وفتحتها فرأيت فيها محفوظاً ناعماً فعادت وطوبها
وخجأها في جهتها وهرولت الى الدير حتى انت المطبخ واشتعلت مع سائر النساء في
اعداد الطعام

ولما مالت الشمس الى الاصليل ظهر غبار في عرض الافق ولم يكدر بري الرهبان
ذلك حتى خرجوا بالمبادر والقاموا صاعدين في ساحة الدير وعلقوا الملابس الرسمية
تللاً بالوالئها الزاهية وفيهم المرتلون وضاربو الصنوج والرئيس في متقدمة القوم وبين
يديه علان يحملون سعف القل وطاولات الزهور

وبعد هيبة اقبل الركب متقدمة الخليفة وفي صدرهم يزيد راكب على فرس
عربي عدته من النضة الناصعة الياس . وعلى كتنيه قبالة وردي اللون مزركش
بالقصب . فحالما وقع لنظر سلي عليه عرقنة فانشعر بهما وذكرت حاما معاً ولكنها تجلدت
وابشدت تتنفس ما يكون . فاذا بالرجال اسرعوا فضربيا فصطالة بقرب الدير وترجل
المرسان واقبل الخدم وفيهم خدمة الصيد يحملون البزاوة والترود ويسوقون الكلاب
والنهود كما رأئهم في دير خالد منذ نحو عاشرين . وكان يزيد اذا رحل جعل هبة الاشتغال
بالصيد



الفصل التاسع عشر والمائة

الضيافة

ولما ترجل يزيد استقبله الرئيس وكبار أهل الدير بالملابس الرسمية ورحبو
بها . فلما دخل الفسلاط دخلوا في اثنين واستمعطلوه لتقيم لهم وتناول العشاء . عدم
فاجاب دعوتهم

فامروا بالاسطة ففرشت في مكان معد لذلك وجاءوا^١ باصناف الاشربة الخلوة
بالوالها الزاهية وقدمو ليزيد ورجاله فشربوا . ثم امر الرهبان بالطعام فحملوه الى هناك
وكانت النساء تهيئة وتساعد الخدم في اسخضاره

فلما ترقيت المائدة وأصلحت المأمين والاطباق نزع يزيد كوفته وغسل يديه
وجلس في صدر المائدة على وسادة من الحرير المزركش وجلس امراؤه بين يديه وأخذوا
في تناول الطعام

وفيما هو في اثناء ذلك وجه الثناء الى الراهبات الواقفات للخدمة فوق بصره على
الاخت مرر فانهير من جمامها وهببها وتذكر سلبي وكان قد بلغه اعماقها ماتت منذ عاشر
وأكثر وقال في نفسه — يا للعجب كم يشبه الادميين
وفضي مدة الطعام وهو يردد بصري فيها ولم يغادر عن المول اليها والاعجاب بما رأها
لشدة شبيهها بسلبي

اما سلبي فكانت تتجاهل وتتناظر بعناد الاطماع والاشزبة وهي مطهثنة البال ان
يزيد لا يكتر أن يعرفها بعد ان بلغة موتها من طيبه . وخصوصاً لأنها بدلعاها وثوابها
وسائل احراجها

اما يزيد فانه شغف بالثناء وكم شغفه ريشا بمحاجل في استقدامها اليه . فأخذ يلطف
الرئيس ويشي على ما لاقاه من كرم وحسن وقادته وبعده خيراً بكل ما تمسك منه .
فلما بهضوا عن المائدة دعاه الى خصبه وبالغ في اكرامه حتى غرت الشس ودق
نافوس الصلاة فاستاذن الرئيس بالانصراف فاذن له . ثم أسر الى بعض اهل
بطاناته ما اخر من امر الاخت مرر وكله استقدامها بمحيلة

خرج الرجل نحو العشاء الى الرئيس وبلغه سرور الخليفة ما لاقاه من الاكرام والحفاوة الى ان قال « وقد تعود الخليفة ان يتناول المرطبات قبل النوم » فقال الرئيس « اتنا اعددنا لك كل ما ترتاح اليه نفسه ونحن طوع اشارته » قال « ولكنني لا اظلكم تستطيعون القيام بكل ما يحتاج اليه » قال الرئيس « كيف ذلك ونحن لا ننخر وسعاً في سبيل مرضاته » قال « لا اخفي عليك ان مولانا امير المؤمنين تعود ان تصلي للطعام فتاة جئنا بها معنا من دمشق فرضت في انتهاء الطريق فارجعناها الى اهلها وقد قضينا بقية السفر والخليفة لا يرى الطعام لذيداً . فلما تناول هذا العشاء عدكم العجيبة حسن طيبو ورأى بين النساء فتاة العجيبة لياقتها في اعداد المائدة وتعنى لواها تصحية بقية سفر الى حوران ولا اظن الراهبات يخرجن من الدبر ولذلك خشيت ان لا تستطعنوا القيام بكل ما يحتاج اليه امير المؤمنين »

فابدره الرئيس قائلاً « ان بين نساء هذا الدبر فتاة ليست راهبة ولكنها من احسن النساء عقولاً وذكاءً وهي تصلح الطعام احسن اصلاح . فاذًا كانت هي التي وقعت من مولانا امير المؤمنين موقع الاستحسان المحتداها ببطانته في هذا السفر ولا نقطعها الا فرحة بهذا الشرف العظيم »

فاستبشر الرجل بنيل المرام وقال « طي فتاة هي ؟ »

قال « هي التي تدعوها الاخت مریم »

فقطلع الرجل كلامه قائلاً « وهي التي العجيبة الخليفة فهل نظمها ترضي بخدمته ؟ »

فهز الرئيس راسه هزة الاستغراف وقال « ومن يحصل على هذا الشرف ولا

يقبل يوماً ؟ »

الفصل العشرون والمائة

— كأس العسل —

ونادى الحال قيمة الدبر وطلب اليها ان تستدعي الاخت مریم . فلما جاءت ووقفت بين يدي الرئيس قال لها « اعطي يا بنتي ان مولانا الخليفة مسافر الى حوران ويحتاج

إلى فتاة نصلح لها الطعام فامتدحت لها مهاراتك في ذلك وقد تنازلت أن تكوني في خدمته
فأبoshi، باقبال سعدك وأذهبني أليه . وأوصيك أن تبذل الجهد في ارضائي «
فسكتت سلي طابت الاستحسان هلام وجهها وقد خنق قلبيا سروراً
بتلك الفرصة

فرح الرئيس أيضاً واثنى على اطهها وقال لها « سيري منذ الآن مع هذا الامر
وكوني ساهرة في خدمة الخليفة فاتحة قد غربنا بفضل واحسانه »
فسارت سلي وقد تهيبت لتلك المهمة ولكنها صاحت على الفلك بابن معاوية ولو
مها كلتها ذلك

وكان يزيد في انتظار رسوله فلما عاد إليه ظافرًا غافلًا اثنى على صدق خدمته
وأمره أن يعود له المرطبات والناكحة ليتناولها قبل الرقاد . فاعده كل شيء وإنصرف
وبقي يزيد في الخيمة وحد فاستدعى الاخت مريم فدخلت وقد تلتمست بالخمار وتظاهرت
أن اللثام من عادات أهل الدين

فسابرها يزيد في ذلك ترغيبًا لها في خدمته على أن يتناول منها مرامة بعد سفره . على أنه
اكتفى بان يقنع برأي ما ظهر من عينها . فلما وقفت بين يديه أمرها ان تتناوله بعض الناكحة
فقدمت له ما شاء وهو لا يبدي شيئاً ما في شعور مخافته ان تغير منه فتأنى الذهاب معه
ثم تظاهر بالتعاس وقال لها « أسفوني كائناً من الماء الجلي بالعمل »

فتالت في نفسها « أني والله قاتلة بسلاحو » فتناولت الكأس وصبت فيها العسل
وتنظاهرت باستحضر ما . بارد فخرجت من الخيمة وبداتها ترتعشان من عظم الاضطراب
وفكرت هنئية في أمر السر الذي اعطتها أيام الناسك فرأيت أنها اذا صبته كلة ربيا
يظهر نار نور عاجلاً قبل ان تتمكن من الترار فيقبضون عليها . فصبت جانباً منها في الماء
ومزجته بالعسل وقدمته لها . فتناوله وشربه الى آخره وهو يزيد ان ينام ليذكر في الرجل
ويخلو بالنشوة في حوران

اما هي فلما تحققت انه شرب الكأس خرجت من الخيمة ولم يستغشها احد وسارت
تowards الى الناسك فرأته واقفاً في ظلل الشجرة فاشارت اليه اشاره فهم منها اهبا انت
مهمنها وترید الترار فقال « هنا هنا لاتخافي .. »

ونساق الشجرة وعاد منها بصرة تأبطها وأمسك سلي يدها وخرج بها في طريق
لا يراها فهو احد . ولم تخف برؤه حتى تواري اعن الدبر وأصبحا في الصحراء . فوقف الشيخ

وفتح الصرة فاصترخ منها ثوبين من أنواع أهل البناء أعنى سلي ثواباً وليس هو ثواباً فاصبح لا يشك من يراها أنها رجال من أهل البلقاء، فجعشت سلي لتأهيل الشیخ الناسك ونحوه ولكنها ما زالت خائفة فقالت له « أخشى أن يتحقق بنا الجيد وربما نكونوا هنا في العجل »

قال « لاختافي .. اتهمي والله المختفي » فصارت في اثره ففضلاً بقدرة ذلك الليل يلهمان الطريق والناسك برشدها كانه يسير في ضوء النهار

الفصل الحادى والعشرون والمايه

صحن الغدير

وأصبحا في اليوم التالي فإذا ها بالقرب من بناه حرب تدل بقابله على شفاعة أصله أكبر أحجاره وسعة مساحته . فقالت سلي « وابن نحن الآن يا مولاي »

قال « إننا في البلقاء وهذا صرح الغدير الذي يتغنى به الشعراء »

قالت « ألا يسكنه أحد الآن »

قال « كلاً فانه من بناء الفساسنة وكانوا عرباً فنصارى فلما جاء المسلمين الشام وفقوها دخلوا في حوزتهم . وكان هذا النصر لي بعض ملوككم ينتهيون فيه بعض السنة وهو من بناه أحد اجدادهم ثعلبة بن عمرو بنهاره من ذار بعة قردون وقد درس كما درسوا وسجافوا الحب الياني » ^(١)

قالت « فالنصر ينحصر الآن؟ .. »

قال « أجل . ولا يأس من الاستئثار فهو بقية هذا اليوم ولا يمكن أن يهدى إلى أحد . فإذا انقضى النهار نستأنف المسير ولا خوف علينا باذن الله »

قالت « والله لا أبابلي إذا مات برؤيد أن أموت أنا في اثره اذا أكون قد أفت بالواجب وشنقت مافي نسي ونجيت المسلمين من شر عظيم »

قال « إنما ماتت لامحالة لأن نصف ذلك المم كاف لتفاؤل »

(١) اذا شئت الاطلاع على وصف هذا القصر فاقرأ المازء الاول من رواية « فتاة غسان »